انجيل بوذا

ترجمه بأمانة

عيسى سابا

مكتبة صادر
بيروت

انجيل بوذا

انجيل بوذا

ترجمه بأمانة

عيسى سابا

مكتبة صادر
بيروت

١٩٥٣

بسم الله خير الاسماء

امّا بعد فان الغاية التي حملتني على نقل انجيل « بوذا » بامانةٍ الى اللغة العربية ، هي فراغ مكتبتنا من معرفة شيءٍ عن الآداب الهندية وتعاليمها ، والانسان طُلَعة يرغب في معرفة كلّ شيءٍ ، وقديماً قيل العلم بالشيء ولا الجهل به ، لذلك انتدبت نفسي مختاراً للقيام بهذا العمل ، وما زلت ابحث عن كتاب موفق الترجمة صالح العبارة حتى ظفرت بالترجمة الانكليزية عن اللغة السنسكريتيّة لكتاب :

THE GOSPEL OF BUDDAH
According to Old Records
Told By
Paul Carus

في طبعته الثامنة سنة ١٩٠٢ . فشرعت ادرس فصوله فصلًا فصلًا ، وارجع الى افاضل الهنود في ايضاح بعض المعاني حتى استقام لي فهمه مما يدعوني الى شكرهم الجزيل ، وهاءنذا اضعه بين ايدي قراء العربية راجياً ان ينال رضاهم ، ويروا فيه ناحية جديدة في الآداب القديمة والعصمة لله وحده ، والحمدُ للهِ ربّ العالمين .

بيروت ٧ ايار سنة ١٩٥٣ — عيسى ميخائيل سابا

دليل الكلمات الهندية

أَبهجينا : المعرفة الفائقة ، ولها ستة طرق .
آسيرا فاتي : نهر
آجاتا شاترو : ابن ملك بمبيسارا وولي عهده
آجاناتا : اول تلامذة بوذا
سَمْسارا : التبدّل ، التغيّر ، الزوال
أَمباپالي : المرأة الغنيّة التي تبيح نفسها لمن تحبّهم
آميتابْها : النور الفائق
آنندا : ابن عم بوذا
آناتا بيندريكا : المحسن
بهيكشو : الراهب الزاهد
ديڤا : الروح السماوي
دْهارْما : اصل الاشياء والاحياء ومصدر الدين
جامبو : اسم شجرة هندية
بُودهي : علم ومعرفة وحكمة
بُودهيساتْفا : المستنير
برهمي ، براهمة : فرقة هندية
ديڤابوترا : ابن إله وأحد تلامذة بوذا
كارما : خادم الشريعة

مالاّ : اسم قبيلة
مارا : روح الشرير
ماتالي : اسم شيطان
مُوني : مفكّر ، متأمّل
نيرڤانا : مكان الراحة والطمأنينة ،وهي مسكن الابرار
سانغا : كنيسة بوذا
شارمانا : الطاهر الناذر العفّة
ڤِيهارا : الدير ، مقرّ الاخوة
شُود هودانا : العنصر الطيّب
ناجا : الحيّات
بوذا هود : رتبة القداسة او المجاورة
جِينا : الغالب
أَجْناتا : العارف
إِيشڤارا : الخالق

المدخل

الفرح

لنفرح ونتهلّل مستبشرين ، لانّ بوذا ربّنا قد ظهر له اصلُ كلِّ شرّ ، فأرانا طريق الخلاص .

ان بوذا قد بدّد خداعَ عقولنا ، وافتدانا من رهبة الموت .

ان بوذا ربنا قد منح الراحة للمتعبين والحزانى ، وأَحلّ السلام في قلوب اولئك الذين أثقلتهم الحياة بهمومها ، وأعطى الضعفاء شجاعة عندما استسلموا بسرورٍ الى الاعتماد على النفس والرجاء .

تهللوا وافرحوا بالبشرى ايهـــا المثقلون بكوارث الحياة ، ايها المكدودون والصابرون ، ايها التائقون الى الحقيقة في الحياة .

هوذا بلسمٌ للجرحى ، وخبز للجياع ، وماء للعطاش ، ورجاء لمن ليس لهم رجاء ، ونور للسالكين في الظلمة ، وبركة لا تنفد للمستقيمين .

ضمّدوا جراحكم ايها الجرحى، وكلوا واشبعوا ايها الجياع، وتطمأنوا ايها المتعبون ، وأطفئوا غليل عطشكم ايها العطاش ، انظروا الى النور ايها الجالسون في الظلمة ، وامتلئوا جودةً وبهجةً ايها البائسون، آمنوا

بالحقّ يا من تؤمنون بالحق، فان ملكوتَ البرِّ قد انتشر على الارض.

وبدّد نورُ الحق رهبة الظلمة، وتعبّدت طريقه امام المبصرين بالروح فلا يعثرون .

ان بوذا ربنا قد اعلن الحقيقة والايمان .

الحقيقة التي شفت امراضنا وافتدتنا من الهلاك .

الحقيقة التي وهبتنا قوةً في الحياة والموت .

ان الحقيقة وحدها تقدر ان تتغلب على رهبة الشرّ، فلنفرح مسرورين بالبشرى .

سمسارا والنيرفانا

تعهدْ نفسك وامعن النظر في الحياة ، تجد أن كلَّ شيءٍ زائل، وما من باقٍ على الارض ، حيث الولادة والموت ، والنموّ والانحلال، والتركيب والتفريق .

ان َمثلَ مجد العالم َمثلُ زهرةٍ ندية غضة في الصباح، ذاوية ذابلة في حرّ النهار اللافح .

وحيثما تلفـَّتـَّ تجدْ ازدحاماً وتدافعاً في تطلب اللذّات، وخطفة راعبة من الالم والموت، تذهب بكل لذة وتبدّد كل رغبة ، فكل جمـال باطل ، وكل ما في العالم يتغير ويتحول ، فالكل هو « سَمْسارا » ...

اما من شيء دائم في هذا العالم ؟ اما فيه مكان راحةٍ وطمأنينة ، لا اضطراب فيه ؟ أين يجد القلبُ المغموم سلاماً ؟ أما من شيء سرمدي؟ اما من انقطاع عن القلق والاضطراب ؟ أيمكن ان تُطفأ هـذه اللذات المتّقدة ؟ متى يطمئن البال ويرتاح الخاطر ؟

إنَّ بوذا ربنا كان يتألم لمرضى الحياة ، فوجد أنَّ كل مـا في العالم باطل ، فشرع يبحث عن الخلاص في النفس التي لا تفنى ولا تضمحلّ بل تبقى الى الأبد .

فيا مَن تطلبون الحياة الطويلة ، اعلموا أَنّ الخلود وراءَ الفنـاء .

أَيها الراغبون في السعادة التي لا يعتريها ندامة وألم، هلموا الى حياة البر والصلاح .

يا مَن تحنـُّونَ الى الغنى ، تعالـَوا الى الكنز الدائم ، إنـّه الـبرُّ والحقّ ، حيث السعادة التي لا تعرف زوالاً .

الحقَّ الحقّ أقول لكم، إنَّ كل مركـَّب ينحلُّ وامّا الحقيقة التي ينتهي عندها كل مركب ويتبدّد بحسب نظام الطبيعة، فهي وحدها تبقى أبداً .

إنَّ الأجساد تصير الى تراب ، ولكنَّ الحقيقة العقليـة التي تسكن الجسد وتتصرَّف به ، لا تضمحلّ البتة .

فسلام عليك أيتها الحقيقة التي لا تعرفين ولادةً ولا موتاً ، لا بداءة ولا نهاية ، فأنتِ أنتِ الجزء العقليّ الخالد .

اجعلوا الحقيقة في عقولـكم ، لأنها صورة عن الابدية ، وهي غير متبدّلة تتراءى نقية حتى الابد ، وهي التي تمنح المائت عِظام عدم الموت .

إنَّ الحقيقـة هي « بوذا » فاجعلوا قلوبكم مسكناً طـاهراً له ، وأَبعِدوا عنكم كل رغبةٍ يُنكرها ، فتصيروا « بوذا » بتجلـّي أرواحكم .

اطـَّرحوا القلوب السقيمة التي لا تقدر أن تنمو في « بوذا » فبدونه كلُّ شيءٍ وهمٌ باطل .

إنَّ القلوب الراغبة في الشهوات مصدر ضلال وسبب تعاسة. واعلموا انـكم عندما تحسّون الحقيقة بعقولـكم تصلون الى الخلود . لذلك كونوا إناءً طاهراً يستوعب كلمات السيّد ، وطهّروا ذواتـكم من الخطيئة ، قدّسوا حياتـكم لانـكم بدون هذا لن تصلوا الى الحقيقة .

تعلّموا ان تميزوا بين الذات والحقيقة ، فان الذات سبب الانانية ومصدر الخطيئة ، والحقيقة لا تقرب الذات البتة ، إنها الحقيقة عامة ، وهي وحدها تقود الى البرّ .

انّ الذات تصوُّرٌ باطل يرغب فيها الانانيون منذ وُجدوا ، وهي زائلة ليس لها خلود البتة .

لنعرض عن الذات ونبحث عن الحقيقة ، إذا تحررت قلوبنا من الأنانية نبتعد عن كل مَضرة ، ونصبح حجراً كريماً لامعاً تنعكس عليه أنوار الحقيقة ، ونظهر صورة نقية منزهة عن كل رغبة متّقدة في داخلنا ، بعيدة عن كل خطيئة .

أيها الباحث عن الذات تعلّم أن تميز بين الذات الخاطئة والذات الصالحة ، فكلُّ ذاتٍ أنانية هي ذات خاطئة تنحلّ وتتبدّد . وكل من غمس ذاته بالحقيقة تكون له حياة « النيرفانا » ، وكل من دخل « النيرفانا » يصل الى الاندغام في بوذا ، وينال بركة ، ويصبح خالداً غير مائت .

كلُّ مركّبٍ ينحلّ ، والعالم بأسره يتبدّد ، وشخصياتنا تتيه متبدّدة ، وأمّا كلام بوذا فيبقى الى الابد . ولا خلود لذات إلاّ ان تخلص ، وهلاكها بالابتعاد عن « النيرفانا » . فطوبى لمن سعد واستنار بنور الحقيقة واطمأنّ اليها فبركتها العليا تُرفُّ عليه .

هلمّوا الى « بوذا » الذي وجد الخلود في الفناء ، هلمّوا الى « بوذا » الخالد الذي لا يتبدّدُ ، الى ذلك الذي لا يغيّر وجودنا ، هلمّوا اليه ، الى الحقيقة المنبثقة من نوره .

الحقيقة هي المخلص

ان العالم وما فيه من احياء عرضة للتغير، انهم متولدون عن اشياء كانت من قبل ، فسائر المخلوقات الحيّة تتنقل متحوّلة بحسب اعمالها الماضية ، سنّة المبدع التي لا استثناء فيها .

ان بتغييره الشامل تبقى الحقيقة محتجبة ، فلا تتّضح الاشياء بجلاء . وهي في تغيّر دائم ، ولكنها ترغب في أن تظهر، وقد اصبحت مع تطاول الأمد ضميراً ، تعمل دائبة بدون انقطاع لان تعلن ذاتها .

الحقيقة في الحجر وهو موجود ، فما من قوة في العالم تقدر ان تزيله وتعفّي أثره ، لا اله ولا انسان ولا شيطان يقوى على ذلك. امّا الحجر بحقيقته فخلوٌ من كل ضمير ، انه جامد أَصمّ .

الحقيقة في النبات ، انه يحيا وينمو ويزهر ويحمل اثماراً، وله جمال خارق ولكن ليس له ضمير .

الحقيقة في الحيوان ، انه ينمو ويتحرك ويحافظ على كيانه ويتعلم كيف ينتخب النافع ويتنكّب عن الضار ، إنّ فيه ضميراً ولكنه ضمير ناقص ، هو ضمير الذاتية وليس ضمير الحقيقة .

ان ضمير الذاتية يلقي غشاءً على عيني العقل ويخفي الحقيقة ، فهو أصل الضلال ومصدر الوهم الباطل وجرثومة الخطيئة .

٢

الذاتية مجلبة الانانية ، لا شرّ فيها منذ البدء ، ولكن ما الذي يصدر منها ، ومن يثبتها ؟ الأنانية .

الذات الأنانية ، مصدر كل بغض وإثم ونميمة وغفلة وسفاهة وسرقة وسلب وجور وسفك دماء .

الذات هي « مارا » الغرور وصانع الشرّ وخالق الصغارة والدناءة .

هذه الذات التي تتملق وتحبّب المسرات ، وتَعد بفردوس زاهر ، إنها شرّ يغشى عيوننا ، فمسراتها عابرة ، وفردوسها تيه يقود الى العذاب ، وجمالها المتغيّر يوقد سعيراً في اللذات التي لا تنفد .

من ينقذنا من سيطرة الذات ؟ من يخلصنا من التعاسة ؟ من يسكننا في حياة غبطة وسعادة ؟ في العالم شقاء « سَمْسارا » ، فيه آلامها وبلاؤها ، وأرفع من هذا كله وأحلاه، قداسة الحقيقة التي تعطي السلام للذين يتوقون الى العقل الذي يتغلَّب على الضلال ، ويطفىء لهيبَ الشهوات ، ويقود الى « النيرفانا » .

مبارك هو الذي يجد سلام « النيرفانا » فهو في طمأنينةٍ من اضطرابات الحياة ، هو فوق كل تغيّر ، فوق الولادة والموت ، انه يبقى غير متأثر بشرور الحياة .

مبارك هو الذي يمتزج بالحقيقة ويرغب في الوداعة ، انه ظافر غالب ، ممجّد مغبوط ، وإن كان يتألم .

إنه قويّ وان أتعبه وقرُ أعماله ، انه غير مائت وإن مات بالجسد ولكنَّ كُنه وجوده خالد غير مائت .

مبارك هو الذي يصل الى قداسة ملكوت « بوذا » ، إنه مدعوّ لعمل الخلاص ، والحقيقة قد استقرَّت فيه ، والحكمة الفائقة قد أشرقت على ما استتر من ضميره ، فسدّدت كلّ أعماله واستقامت .

إنها الحقيقة قوة الحياة للصلاح ، فلا تُقهر البتّة . دع الحقيقة تشيع وتنبثق عنك وانشرها بين الناس أجمع ، لأنّ الحقيقة وحدها تخلص من الخطيئة والتعاسة . الحقيقة هي « بوذا » و « بوذا » هو الحقيقة .

فمبارك هو « بوذا ».

الامير سيدهارتا يصير بوذا

ولادة بوذا هيساتفا

كان في « كابيلا فاستو » ملكٌ عظيم محترم ، متحدّر من أصل « ايكشافو » المنبثقة من عائلة « شاكيا » الملوكية ، وكان يلقّب نفسه « غوتاما » وأمّا اسمه « فشود هودانا » او العنصر الطيّب . وكان له امرأة تدعى « ماباذافي » خارقة البهاء فائقة الجمال تحكي زنبقة الماء طهارة فكر وزهرة « اللوتس » نقاءً ، إنها ملكة السماء نزلت لتسكن الارض ، وهي بريئة من كل عيبٍ ودنس .

فأحبَّ الملكُ زوجها بقداسته أن يشرّفَها فأنزل عليها روحَ الحقيقة ، فحلّت عليها وحملت من دون دنسٍ .

ولما أن أَجاءها المخاض ، وأَحسّت بقرب الوضع ، سألت الملك أن يبعثها الى بيت أبويها ، وكان هو قلقاً من أجل امرأته والمولود المزمع أن يشهد النور ، فأجابها الى ما طلبت ، وبينما هي تجتاز بستاناً من شجر « اللمبيني » الغضّ فجأَها أَلم الوضع فلجأت الى ظلّ شجرة حرير ، واذا تحتها طفل كامل معافى ، يحكي الشمس اشراقاً ، فانتشر نوره وملأ العالم ، فتفتّحت عيون المكفوفين وشاهدوا المجد الآتي من العلاء ، وحُلَّت عقدة أَلسنة الخرس وسمعت آذانُ الصمّ ، وأَخذ يكلم بعضهم

بعضاً مستبشرين بولادة « بوذا »، واستقام قوام المحدودبين ، ونهض المقعدون يمشون ، وتكسّرت قيودُ المسجونين وخمدت نيرانُ جهنم .

واذا وجه السماء صافٍ لا غيم يغشاها ولا ضباب وصوت مرنان يترقرق مع طيّات الهواء يعلن فرح الملائكة ، لانه وُلد من ينقذ المتألّمين من بحر الظلمات والعذاب .

وأصاب الفرح العجماوات فجهرت بأصواتها طرباً وتهللت القلوب فرحاً ، وانتشر السلامُ على الارض . وأمّا « مارا » روح الشر فقد حزن وغُمّ .

وجاء ملوك « ناجا » أي الحيّات يقدّمون فائق احترامهم للشريعة العليا كما قدّموا شكرهم «لبوذا» وهم يرغبون الآن ان يشهدوا « بودهيساتفا » فرفعوا اليه أزاهر « مكندارا » اعلاناً لفرحهم وعربوناً لشكرهم .

وأمّا الملك الأب ، فقد دهِش لهذه العلامات الخارقة، وفرح فرحاً شديداً ، وتبدّدت أحزانه وصفا له وجه الكون .

واحتضنتِ الأمُّ الطفلَ الذي أوجد بولادته العدلَ وأزال آلام قلبها وأتعابها . وسألتِ السماء بحنانٍ أن تبارك الطفل .

وفي ذلك الزمان ، كان يسكن غابة « آسيتا » نبيّ برهميّ ، يدعو الى حياة النُّسك ، وقد عُرف بحكمته وتقواه وبتلامذته العديدين وبتأويله الرُّؤى والعلامات ، فدعاه الملك لينظر الى الطفل الملوكيّ .

وما إن وقعت عين الشيخ النبيّ على الطفل حتى تساقطت الدموع من عينيه غزيرة ، فدهش الملك لدموع الشيخ وقال له: أَأحزنك منظر

ولدي وسبّب لك ما أساءَكَ فاجرى دموعك ؟

على أنّ دموع الشيخ النبيّ ، ما كانت إلاّ دموع فرح ، فنظر الى الملك وقال : إعلم أيها الملك : لقد نلت حظوة من العلاء وأنت كبدرٍ تمٍّ ، مملوءٍ غبطةً بما أُعطيتَ .

فأنا منذ الآن، لا أعبد « براهما » ولا أسجد له بل أعبدُ هذا الطفل وله أسجد ، ولقد حان الوقت الذي تتنحّى فيه آلهة الهيا كل عن أماكنها ، وتنحني ساجدة للمولود الجديد . وها هو الروح يجهر قائلًا : إنّ هـذا الصبيّ هو مخلّص العالم أجمع من القلق والاضطراب والشكّ ، ولذلك ما قدرتُ أن أحبس دموع الفرحِ ساعة لمحت محيّاه الجميل .

وهاءنذا أقول وقد تصرّمت أيامي وجاء وقت انحلالي انّ الصبي هذا يحكم العالم وهو مخلّص الاحياء .

فتعاليمه ميناء سلام تلجأ اليـه السفن الضالة ، وقوّة تفكيره تحكي مياه بحيرة مطمئنة وعلى الخليقة ان ترد اليها مستقية .

فالنـار المتأجّجة العاقدة في الاجواء غيوماً تعلن شكرها متبدّدة ، وهذا ما تعمله الامطار ايضاً .

وابواب اليأس الموصدة قد تفتّحت لتستقبل خلاص المخلوقات الغارقة في الجهالة والضلال .

إن سيّد الشريعة جـــاء ينقذ الفقراء من احمالهم الثقيلة ويساعد التعِسين .

وما انهى الشيخ كلامه حتى تهلّل وجها الوالدين فرحاً وامتلأ قلباهما

سروراً واطلقا على مولودهما الجديد اسم « سيدهارتا » ومعناه المتمّم قصده .

ثمّ التفتت الملكة الى اختهـا « ياراجاتي » وقالت : إنّ الامّ التي ولدت « بوذا » لن تـلد ولداً آخر . وقريبـاً اترك هذا العالم مخلّفة زوجي الملك وولدي « سيدهارتا » فكوني لولدي امّاً .

فبكت « ياراجاتي » ووعدتها خيراً ، وفارقت الملكة الحياة وضمنت « ياراجاتي » الصبيّ وكان كضوء القمر يتكامل شيئاً فشيئاً ، ينمو بالروح والجسد ، ويزداد قوّة ويمتلىء قلبه محبّة وحقاً .

قيود الحياة

كبر « سيدهارتا » ودرج الى ميعة الشباب ، فاراد ابوه ان يزوّجه، فارسل يطلب من امراء مملكتـــه ان يحضروا مع بناتهم ، لينتخب ابنُه الامير من بينهنّ زوجة له .

فقال امراء المملكة له : إنّ الامير ما زال يافعاً طريءَ العودِ ، لم يثقف علماً بعد ، فهو غير اهلٍ لأن يجعل احدى بناتهم في ضمانه ، ولا سيما انه لم يمارس الحرب ليردّ غارات الاعداء .

على أن الامير لم يكن قوياً ، ولكنه كان منذ نشأته ذكياً لقناً ، فكان يلجأ الى ظلّ شجرة « جانبو » في بستان ابيه ويستعرض الحياة وما فيها ، مستسلماً الى التأمل .

وذات يومٍ سأل الامـير أباه ان يدعو امراء المملكة ليشاهدوه ويباحثهم ، فلبّى الأب طلبه .

وجاء الامراء يحفّ بهم جمٌّ غفير من مدينة « كبيلفاستو » ليشهدوا الامير وما هو عليه من شجاعة وعلم ومعرفة ، فاتضـح لهم أن ليس في شباب الهنـد ورجالها من يفوقه شجاعة وحكمة وفهماً . فقد كان يجيب عن كلّ سؤالٍ بما أبكم الحكماء واسكت العلماء معاً .

وأخيراً اختار « سيدهارتا » زوجته، ووقع اختياره على « ياشودهارا »

ابنة عمّه ، ملك « كولي » ، فزفّت اليـــه ، ووُلدَ لهما ولد اسمياه « راهولا » ففرح الملك « شودهودانا » لأن قـد وُلد لولده من يرث الملك من بعده ، وقال : أمَّا وقد اصبح للأميرِ ولد فهو يحبُّه كحبّي له ، وهـذا الولد قيد شديد يقيّد قلب « سيدهارتا » ويصرفُه للنظر في مهام العـالم . وستبقى مملكة « شاكيا » الى الأبـد ويقبض خلفاؤها على الصولجان .

ولم يكن « سيدهارتا » أنانياً فكان يُعنى بولده وشعبه عناية شديدة ، وقد احب العالم ومنحه راحة وطمأنينة كحب الآباء ابناءهم ، لأنه تطهر بنهر الغانج المقدس وغسل خطايا قلبه بماء الشريعة .

الاحزان الثلاثة

كان القصر الذي وهبه الملك للأمير آية بالابهة والجلال لم يُرَ له مثيل في الهند كلها ، وقد قصد بذلك ان يُدخل الفرح والسرور على قلب ولده ، ويبعد عنه الاحزان والآلام والتعاسة والشقاء ، وحاول ان يصرف ولده عن تعرّف العالم فلا يرى ما فيه من بلاء .

على أن الامير كان يتوق الى ان يرى العالم ويختبر ما فيه ، فسأل اباه يوماً أن يأذن له بتفحّصه ، فلا يكون مثلُه مثل فيل مقيّد برسن طويل في ارض وعرة .

فامر « شودهودانا » ان تُعَدَّ مركبة فخمة يقودها خيول مطهّمة ، وتزدان الطرق احتفاءً بالامير .

فزيّنت الشوارع وشُرُفات البيوت إكراماً لوارث العرش ، وسار الامير « سيدهارتا » بعربته يجريها حوذيُّه « شانا » في الشوارع الراقصة زينة .

وفي طريقهما شاهد الأميرُ رجلًا هِمّاً على قارعة الطريق ، رسمت الكآبة على وجهه أثر الحزن وبلاء الايام .

فسأل حوذيَّه : من يكون هذا الرجل ؟ وقد اشتعل رأسه شيباً وتجعدت تقاسيم وجهه وغارت عيناه وانحطت قواه حتى انه لا يقوى على النهوض .

فارتبك الحوذيّ ولم يقدر إلاّ ان يدلي بالحقيقة فقال : إنها علامات

الشيخوخة وبلوغ أرذل العمر ، على انه كان في مطلع الشباب حسن القوام ، قويّ البنية ، حديد النظر ، وأمّا الآن فقد أنهكته هموم الحياة ، وذهبت السنون بجماله وطراوته . فتأثر « سيدهارتا » من كلام الحوذيّ ولحظ في ضمير نفسه ألاّ سرور ولا فرح ولا طمأنينة تدوم بتقدم السنّ ، فكل شيءٍ زائل وكلّ حبور باطل .

وسارا في سبيلهما ، واذا مريض ملقى على قارعة الطريق يئنُّ وجعاً .

فسأل الأمير حوذيَّه : ما خبره ؟

قال : إنه مريض لأن عناصر جسمه الأربعة قد اختلَّ نظامها ولذلك هو مريض يتألم ، وكلنا عرضة لذلك ، فلا فرق بين غنيّ وفقير ، حكيم وجاهل ، وإنه ليصيب ذلك كلَّ حيٍّ على السواء .

فوجم « سيدهارتا » متأمّلًا وقد ندَّ عنه كل سرور، وجدَّ الحوذيّ يستحثُّ الخيل على المسير لينقذ الأمير من مناظر البشرية المتألمة ، واذا هما أمام مشهد آخر .

رأى الأمير أربعة أشخاص يحملون جثة ، فسأل حوذيَّه : ما يحمل هؤلاء ؟ وما هذه الاكاليل من الزهر ، والناس من ورائهم حزانى مُطرقين ؟

قال : انه رجل مائت ، قد تقطعت أنفاسه فهمد جسمه وندَّت عنه الحياة فسكنت أفكاره. وهؤلاء ذووه ومحبّوه يشيّعونه الى المرقد الأخير .

فاضطرب الأمير وحزن وأردف يقول : أهو وحده يموت أم

احياء العالم يصيرون مصيره ؟

أجابه الحوذيّ بقلبٍ منكسر : كل حيّ في العالم مصيره الى الفناء. كل من بدأ الحياة عليه أن ينهيها فلا مفرّ من الموت .

فقال الأمير بصوت كئيب : إذن كل ما في العالم باطل ، فالجسم مصيره الى التراب ، فلا استمرار للحياة .

لحظ الحوذيّ تأثر الامير وما حلّ فيه من كآبة ، فلوى ارسنة الخيل ورجع يطلب قصر الأمير . وبينا هما في الطريق شاهد الأمير قصور النبلاء ، فلمح الاميرة « كريشا كوتامي » الشابة النديّة الغضّة ، وعرف « سيدهارتا » بضمير نفسه طهارتها ونقاوة افكارها ، وسمعها تقول :

طوبى للأب الذي جاء بك ، ومباركة الأم التي ألقمتك ثديها ، ومغبوطة المرأة التي صرت لها زوجاً .

أما الأمير فقال : طوبى للذين عرفوا طريق الخلاص وسلامة الضمير ، وهاءنذا أبحث عن بَركة « النيرفانا » . وقدّم لها عقد لؤلؤ ثميناً ورجع الى منزله كئيباً .

دخل « سيدهارتا » قصره ونظر الى ما فيه من كنوزٍ بازدراء ، ورحّبت به زوجته وأخذت تستدرجه لتكشف خبر حزنه ، فقال لها : لقد رأيت أثر التغيّر في كل مكانٍ ، فتكاثرت هموم قلبي ، وأَحزنني الأحياء ، إنهم يولدون وينمون ويمرضون وأخيراً يموتون ، فلا استمرار للحياة ، فكل ما في العالم تنغيص لها . وعرف الملك ما نال ابنه من أحزان فتأثّر وأحسّ كأنّ سيفاً يجوز في حشاشته .

يقظة « بودهيساتفا »

لم يطمئن الامير ليلًا وهو في فراشه الناعم ، ولم يشعر براحة فهبَّ يطلب بستانه « ألاس » وهو يردد بألمٍ وحزن : العالم بأسره مملوء ظلمة وجهلًا ، وما من احدٍ يقدر ان يشفي امراض الوجود .

وصل «سيدهارتا» البستان ولجأ الى جذع شجرة « الجانبو » واتكأ عليه مستسلماً الى التفكّر بالحياة والموت والتغيّر والانحلال، وتراءت له بعين عقله تعاسة العالم واحزانه وآلامه ومسرّاته، وكلّها زائلة بالموت ، فعلى الاحياء ان يستيقظوا من غفلاتهم ويتجهوا نحو الحقيقـة طالبين . وفيما هو مستغرق بتفكيره شعر بانقباض قلبه ، وتلفت نحو العـلاء ، واذا وجه نبيل تراءى له فاضطرب وأسقط في يده، وقال : من يكون صاحب هذا الوجه النبيل ؟

ــ انا « شارمانا » الرازح تحت عبء الايام والامراض والموت ، تركت منزلي وجئت أترسَّم طريق الخلاص باحثاً ، وقد رأيت ان كل شيءٍ ينحلّ فلا دوام إلا للحقيقة ، وكل شيء لا يلبث طويلًا حتى يتغيّر ، ولكنّ كلام « بوذا » هو وحده خالد لا يتغيّر ولا يتبدّل، وهاءنذا أسعى وراء السعادة الدائمة ، ووراء الكنز الذي لا ينضب ، ووراء الحياة التي لا تعرف بداية ولا نهاية، ومن أجل هذا كله ،تركت العالم وأفكاره ،

وهمتُ على وجهي أعيش عيشة نسكٍ وانفرادٍ ، مكتفياً بالكفاف من الطعام .

فسأله « سيدهارتا » : أيمكن للسلام أن يكون في هــذا العالم المضطرب ،وقد رأيت بعين رأسك ان كل مسرّة أو متعة باطلة، وكل سعادة عالمية زائلة ؟ فأجابه « شارمانا » : حيثما تكن الحرارة فهنـاك البرودة ، والخليقة بأسرها عرضة للاحزان كما أنها عرضة للسرور وروح الشر . إنَّ الخير يتزايد وبازائه الشر ، وحيثما تكن لعنة تكن بركة ، بشرط ان تفتح عينيك وتبحث. وما مَثل المرء إلا كمثل من سقط في بركة غامرة قد نبت فيها « اللوتس » فهو يبحث عن زهرة يتشبث بهـا فينقذ نفسه من الغرق ويصل الى الميناء الامين الى « النيرفانا » متطهراً من خطاياه .

فان هو لم يظفر بالبحيرة فما الذنب على البحيرة اذا لم يجدها وهي موجودة . فعـلى المرء ان يبحث عن الطريق المؤديـة الى البـركة ، فيتطهر من خطاياه ويصل الى خلاص « النـيرفانا » ، فاذا لم يجد الطريق اليهـا ، فليس الذنب ذنب الطريق ولكن ذنب الذي لم يعرف ان يسلكه ، والرجل الذي يشعر بمرضٍ يذهب حالاً الى استشارة الطبيب ليبرئه من مرضه، فان ضلَّ طريق الطبيب فما الذنبُ ذنبه لأن المريض لم يسرع اليه . وهكذا يجب على الشخص الخاطىء ان يبحث عن الطريق التي تنقذه من خطاياه وتـُطهره .

لقد اصغى الامير الى كلام الوجه المترائي له ، ولكنَّه شعر في نفسه

مَن يقول له : لقد أُعطيت بشارة وتمّ الواجب ، ولكن ابي قد نصحني أن أُسرّ بالحياة وأُتمم واجب العالم فشرّفني وشرّف مضجعي وقال : اني لا ازال صغيراً فليس عليّ ان أحيا حياة تقوى وزهد .

واذا الوجه النبيل المترائي يقول : إن الدين الحقّ يجب ان يُبحث عنه منذ الساعة لأن الفرصة لن تعود والروح اوحى فلن يوحي مرّة ثانية .

وللحال شعر « سيدهارتا » بفرح يتمشى في قلبه، واذا الصوت يقول له : إنه الوقت الذي يجب ان أنقّب فيه عن الدين ، فعليّ ان اتخلّص من القيود التي تمنعني الاستنارة . إنها الساعة التي يجب ان أرود بها الانحاء باحثاً عن طريق الخلاص .

ولما اطمأنّ « سيدهارتا » الى روح الرسالة، نهض يلبّي صوت ضميره فقال : نعم ، نعم ، ان الوقت الذي ابحث فيه عن الدين قد جاء فهلمّ يا « سيدهارتا » وامشِ في سبيلك متمّماً قصدك ، وانتَ يا « بودهيساتفا » قد اشرق عليك « بوذا » وأنار العالم ، فانت « تاهتاغاتا » الكامل المملوء حقاً ، فلأنت ملك الحقيقة ، ولأنت « باغافانتا » المبارك، المدعوّ لخلاص العالم وفدائه ، انت الممتلىء حقيقة كاملة ، تنقضّ كصاعقة على الرؤوس فتهديها طريق الحقّ ، وانت الشمس المشرقة في كل الفصول ترسل نورك على المخلوقات بأسرها لتسلك طريق الاستقامة فيصير المختار « بوذا » . امضِ في بحثك تجد ما تبحث عنه . اتبع القصد الحسن يزدد لك كلّ شيء . قاوم بجرأة تغلب . إن بركة القديسين تنزل على الذين يبحثون عن النور ، والسماء تسدّد خطواتهم . انكم انتم الذين تصيرون

كبوذا معلّمنا وسيّدنا . انتم الذين تنيرون العالم وتخلّصون الجنس البشري من الضلال .

وما أنهى الوجه المترائي كلامه حتى اختفى، وامتلأت نفس « سيدهارتا » سلاماً وقال في نفسه : إن الحقيقة قد استيقظت في نفسي ، وعليّ أن أتمّم القصد ، واتخلّص من قيود هذا العالم، وهاءنذا منذ الساعة اتخلّى عن منزلي بجملته لأبحث عن طريق الخلاص .

إن كلام البوذيين حقٌ لا شكّ بصدقه . إن الحجر الذي يُرمى بالهواء يسقط ، والغزالة البازغة فجراً تحجب مساءً ، والاسد الذي يترك عرينه يتزايد زئيره، والتخلّي عن المرأة والولد سبيل الخلاص ، وكلّها حقائق لا ريب فيها ككلام البوذيّين الذين أُعطوا الحقّ وأعلنوه .

وهاءنذا سأصير « بوذا » بحقّ .

رجع الامير الى قصره ودخل غرفته ليودّع زوجه وهي احبُّ ما لديه ، لا يساويها كنز ولا يعدلها جوهر ، وحاول أنْ يأخذ الصبي بين ذراعيه ويقبله قبلة والدية ، ولكنَّ الطفل كان بين ذراعي امّه ، فلم يقدر ان يرفعه بدون أن يوقظه وامّهُ .

ولبث « سيدهارتا » ينظر الى جمال امرأته وابنه المحبوب بقلب منفطرٍ كئيب ، ولكن أنّى له ان يصيرَ « بوذا » ان لم يتغلّب على مشاعر قلبه؟ وفجأة تحوّلت الكآبة الى مسرّة وقوة ، وصمّم على ألاّ شيءَ يحوّله عن قصده ، لا الحسن ولا الرديء ، ولكنّ العبرات تسابقت الى عينيه فتساقطت مدراراً ، وتقسمته الهموم ، فإمّا ان يجبنَ

فيقعد عن القصد ، وإمّا ان يذهبَ لطيّته متمماً ما انتُدب اليه .

واذا هو بعد فكرة خاطفة يتغلّب على شعور قلبه، فامتطى جواده، ورأى باب القصر مفتوحاً، فانسلَّ في عتمة الليل مصحوباً بجوذيّه «شانا» مطّرحاً كلّ مسرّات العالم مزدرياً بها، مخلّفاً وراءه ملكَهُ، متخلّصاً من كلّ قيدٍ ، هائماً على وجهه ، لا مأوى يلجأ اليه ، فالظلمة تغمر الارض والنجوم تشعّ في السماء .

الملك بمبيسارا

حَلق « سيدهارتا » شعر رأسه المتموّج ، واستبدل ثوبه الملوكي بثوب آخر من لون الارض ، وأرسل حوذيَّه « شانا » مع « كانتاكا » الى الملك « شودهودانا » يدليان اليه بخبر الامير من انه ترك العالم ، ومشى في قارعة الطريق يحمل في يده قصعةَ .

وتنزّلت افكاره الملوكية عن كبريائها ، وعلتْ وجهَهُ علاماتُ الذلّة والمسكنة ، وغارت عنه أَمارات الابّهة والمجد ، وتراءت حول وجهه هالة التواضع والقداسة والحقّ .

وكان كلّ من نظر اليه يعجب من هذا الانقلاب السريع ، ويقدّم له المديح اللائق بهِ .

وكان الامير عندما دخل مدينة « راجاغريها » يتنقّل من بيتٍ الى آخر صامتاً، يستجدي المحسنين طعاماً ، فيقدمون له ما عندهم ويسجدون له باتضاعٍ ممتلئين شكراً لانه شرّفهم ببركته وقداسته .

ولهج الكبار والصغار بذكره قائلين : هذا هو المفكّر النبيل، ان قربه منّا بركة لنا ، فما اعظم فرحنا به ! واتصل خبر القادم المبارك بالملك « بمبيسارا » فاراد ان يختبر خبره ، وقد سمع عنه الشيء الكثير، وانه من عائلة ملوكية شريفة قد تخلى عن أُبّهة الملك وجاء يأكل طعامه

في قصعةٍ على ضفاف الانهر في الغابات، فلبس الملك ثوبه الملوكيّ ووضع التاج الذهبيّ على رأسه ومشى يحفّ به شرفاء المملكة وحكماؤهـا يرحّبون بالضيف المقدّس .

تقدّم الملك، فرأى المفكرَ النبيل « شاكيا موني » جالساً تحت ظلّ شجرةٍ ووجهه يتهلّل فرحاً وابتهاجاً ، فقال له :

إنك يا « شارمانا » قد خُلقتَ لتقبض على صولجان الملك وليس على قصعة الفقراء، اني لأشفق على شبابك، ولو لم اعلم انك من اصلٍ ملوكي لما أتيت اسألك ان تشركني في الملك ، فتحكم معي ، وبذلك يكون لك الغنى والدين والحقيقة وتصبح الحكيم المرموق في العالم اجمع .

فنظر اليه « شاكيا موني » وقال :

انك تعلم جيّداً ايّها الملك ، ان الحريّة والدين وكلامك الذهبيّ قد اثرت فيّ كثيراً ، وإن من كانت له هذه الامور الثلاثة ، كان الغنيّ المتفوّق على كلّ شيءٍ ، واعلم أنّ المحبّة هي الغنى وهي الثروة التي لا تنضب في قلوب التائبين .

وهاءنذا قد تفلّتُّ من كلّ القيود وهمتُ على وجهي اطلبُ الخلاص فكيف اعود الى العالم وقيوده ؟ وإن من كان يطلب الدين الحقّ ، لا يلتفتُ الى الوراء ، وقد اتجه ببصره وبصيرته الى الامام ، محرّراً نفسه من كلّ إغراء وزينة ومتعة .

ومن طلب الحقّ عليه ان يطرح عنه كلّ شهوة ويرجع كطفلٍ صغير لا يعرف فساداً ، مزدرياً بكلّ ما في العالم من مغريات . لندع

العالمَ وما فيه ، ونطلب حياة القداسة والطهر وثمار البرّ .

لقد عرف «بودهيساتفا» المغريات العالميّة فهو لا يرغب في ان يرجع ويأكل طعاماً سامّاً ، أتعودُ السمكة الى الشص وقد تخلّصت منه ؟ ام يعود العصفور الى فخّه وقد تحرّر منه؟ أتتّجه الارنب نحو فم الحية وقد عرفت خداعها؟ أيُلسع المرءُ مرّةً ثانية وقد خبر النار ومضارّها؟ أو يرغب المكفوف ان يعود الى العمى وقد تفتّحت عيناه وأبصر طريقه ؟

إنّ المريض المرتجف من الحمّى يفتش عن دواءٍ مرطّب يخفف عنه الألم ، أتشير عليه بان يتجرّع دواءً حارّاً يزيده ألماً وارتجافاً ، أتطفىء النار بالهشيم اليابس ؟

ارجو منك يا سيدي الملك، ألاّ تشفق عليَّ البتة بل اشفق على اولئك الذين غرّهم المجد والغنى وراحوا يطلبون ما للعالم ، وهم لو عرفوا وتأملوا أنْ ليس من فرقٍ بين ميتة الملك وميتة الفقير ، كلاهما الى مصيرٍ واحدٍ ، لما غرّهم العالم وأغواهم وانخدعوا به .

ان قلبي لا يأسف ولن يأسف على ما خلّفتُ ورائي من ملك وجاه ومجوهرات ، وان قلبي لطروب لأنه تحرّر من آلام الحياة وغرورها، فلا تجرّب أن تغريني وتعيدني الى العالم واحزانه، دعني اتمّم ما بدأت به.

واني لآسفٌ لأن اتركك واتصل بالحكماء الذين يرشدونني الى الدين القويم ، ويدلونني على الطريق التي تنقذني من الشيطان وشروره .

وليملأ ملكك السلام ، ولتنتشر فيه الحكمة ويكتنفه الحقّ، وليبقَ

مزدهراً ، والحقيقة صولجان في يمينك .

ولمّا سمع الملك هذا الكلام الذهبيّ، رفع يدَه تحية اجلالٍ واحترام وسجد « لشاكيا موني » وقال له بقلبٍ متهلّلٍ فرحاً : ليكن لك ما اردتَ، وعندما تَظفر بالحقيقة، تنازل وادعني لأكون احدَ تلاميذك الصغار .

وانصرف « بودهيساتفا » مملوءاً محبّة راجياً أن يمتلىءَ قلبه حقّاً وإشراقاً .'

بحث بودهيساتفا

إنّ شهرة « ارادا » و « بودراكا » البراهمانيّين لا يعدلها شهرة ، ولا يستطيع احد ان يتفوّق عليهما علماً وفلسفة . ولذلك اقبل عليهما « بودهيساتفا » وقعـد تحت اقدامهما يُصغي الى ما يشرحانه من العقائد المختصّة بالنفس وهي جزء من العقل الذي تصدر عنه الاعمال .

إنّ البراهمانيّين العالمين كانا يعلّمان تقمُّصَ النفس وانتقالها من جسمٍ الى آخر . فنفوس الاشرار تلبس اقمصة حيوانيّة، تتألم وتتعذّب او تصير الى ما يزيد بلاءَها حتى تتطهر وتتنقّى من الادران التي علقت بها ، فتصبح في زمرة الملوك او البراهمة او الملائكة ، ولن يكون لها ذلك إلاّ اذا تدرّجت متطهرة في وجودها الارضيّ حيث تتعلّم الطريق الموصل الى هذا الخلاص .

أمّا « ارادا » فقال : ان للنفس خمس حواس باطنة وظاهرة معاً هي اللّمس والشمّ والذوق والنظر والسمع، والرِّجلان اللّتان تقودان الى سُبُل هذه الحواسّ . فاثبات النفس يظهر بالتجربة ، انا اعلم وألاحظ أَني اجيء واذهب واجلس هنا ، إنّ النفس ليست الجسد قطّ، وليست العينين ولا الاذنين ولا الانف ولا اللسان ولا العقل ، فكلمة « أَنا » هي التي تلامس الجسد ، ان كلمة « أَنا » هي التي تشمّ بواسطة الانف

وتذوق بواسطة اللسان وتنظر بالعينين وتسمع بالاذنين ، و « انا » هي المفكـّرة بالعقل .

إنَّ « أنا » هي التي تحرّك اليدين والرجلين ، إنَّ « أَنا » هي النفس، فان شككنا بالنفس شككنا بالدين ، فوجودها حقيقة لا ريب فيها ، وبدون الاقرار بهذه الحقيقة لا سبيل الى الخلاص . والفكر العميق يقود الى المغالطة وعدم الايمان ، ولكن طهارة النفس تقود الى النجاة، والخلاص يتمُّ بهجر العالم، والانقطاع الى حياة النسك واستجداء الطعام، وترك كل رغبة ونكران الذات، فتتفرّغ النفس لغايتها ، فتجد حياة مجرّدة عن المادّة، كما يجد العصفور حرّيته عند انفلاته من قفصه، والتحرّر من الذات الماديّة هو سبيل الخلاص الحقّ . ومَن اراد ذلك بايمانٍ يُعطَ لهُ .

على أنَّ « بودهيساتفا » لم يطمئنّ لهذا التعليم ، فقال : ان العالم مقيّد لانَّه لم يتخلّ عن كلمة « أَنا » .

فالاشياء واجناسها متغيّرة بفكرنا وليس بحقيقتها ، فالبرودة غير النار في فكرنا ، ولكنّ الحقيقة تقدر ان تستخلص البرودة من النار ، تقول : انك تقدر ان تجذب الحسن وتترك الرديء ، فاذا كنت تظنّ ذلك فنظرتك خاطئة وهي بالنتيجة غير ما زعمت .

اليس الانسان مركّباً من عناصر شتى؟ ألسنا عرضة لتنوع أمزجة شتى كما يقول حكماؤنا ؟ ان الانسان ملتصق بالمادة، باحساسه وأفكاره وفهمه وحالته، وهذه كلها تدعو الانسان الى الانانية عندما يقول « أنا »

وهي وراء رغائبه ، ومن طبعه الميل اليها . في الانسان عقل واحساس وفكر وفيه حقيقة ، والحقيقة هي العقل عندما ينصرف الى سبيل الاستقامة ولكنّ حاجزاً يحول دون الأنانية والفكر ، فالذي يؤمن بأنّ الأنانية هي ظاهرة ، لا فكرة صائبة لها في الحكم على الاشياء ، وانّ البحث الجديّ عن نسمة الحياة خطأ ، فقد أخفق في محاولته التي تقود الى الضلال .

وكم هي الارتباكات الفكرية التي تأتي من عنايتنا بأنفسنا ومن بطلاننا عندما نفكر قائلين : « أنا عظيم » او « اني اتممت هذه الأعمال العظيمة » . ان فكرك بالذات « أنا » يقف حاجزاً بينك وبين الحقيقة . انكر ذاتك تتجلّ لك الحقائق على علاّتها . إنّ من يفكر بالصواب ينفي عنه الجهالة ويطلب الحكمة . إنّ فكرة « أنا » او « سأكون » أو « لن أكون » لا تجعلك مفكراً حسناً ، وكلما تأصّلت الأنانية فيك ابتعدت عن الحقيقة والخلاص .

واذا تجدّدت ولادة الحقيقة في الاقطار الثلاثة قل انها جهنم جاءت الأرض او إنها ما زالت في السماء وسنحظى ثانية بالمنكرات التي تسيطر على وجودنا ونغرق بالأنانية والخطيئة .

انّ كل مركّب عرضة للانفصال ، ولا نقدر ان نفرّ من الولادة ومن الحرص والانانية القديمة والموت وهو آخر المراحل .

قال « يودراكا » : ألا تنظر من حولك ما يأتي به « كارما » ? ما الذي جعل تفاوتاً بين عقول الرجال ؟ أليس هو من فعل « كارما » الذي

وهب كل واحد نصيبه بحسب عمله ، فيقمّص النفس ويجعلها في القميص الذي تستحقه نتيجةً لما عملت من خير أو شرّ ، فان لم يكن ذلك كذلك فمن أين نتج التفاوت بين البشر إذن ؟

إنّ « تاتاكاتا » الطاهر قد بحث مليّاً مع « كارما » فوجدا أنّ الحقيقة هي ما أقرّاه وقالا به .

قال : ان عقيدة « كارما » غير حقيقية ولكن عقيدتك بصحة المماثلة أو المشابهة لا أساس لها .

ألا ترى ان كل شيء في الطبيعة يشبه حياة الانسان وهي عرضة للناموس الطبيعي؟ إنّ الغلة الحاضرة نتيجة ما زُرع من قبل، والمستقبل نتيجة الحاضر ، ولا شكّ في وجود كائن مماثل لا يتغيّر في الذات التي تبقى متنقلة من جسد الى آخر .

أليس هذا التغيّر الذاتي هو تركيب آليّ كما هو تركيب عقليّ أيضاً ، يتجلى في الكائن الذي يصير اليه ؟ إنّ الحواسّ الخمس التي فينا قد اتصلت بنا من جدودنا ، إنّ الافكار التي تراودني جاءتني من أُناسٍ آخرين كانوا قد فكروا بها من قبل وقد استيقظت في عقلي ، فالذي يفكر فيه الفرد الآن هو ما فكر فيه سابقوه في الوجود .

إنهم اسلافي الذين هم « انا » احدهم من قبل، وإنّ اعمالي السالفة هي التي اهلتني ان اكون ما أنا اليوم في الوجود .

لنفرض انه كان « « أتمان » او النفس الاولى التي تتصرّف في عملها بحسب شعورها ، فلو حدث وأغلق عليها باب الشعور او الطريق المؤدية

اليه، أكانت تقدر ان تستيقظ وتتعرّف الى ما حولها من حسن وبشع ؟ أكان يمكن ان تسمع صوتاً حسناً لو تعطلت آلة السمع، او تشمّ حسناً لو تعطلت آلة الشم ، أو كنت تذوق جيداً لو تعطلت آلة الذوق، أو كنت تشعر لو انهدم الجسد وتعطلت آلته ؟ اني ألاحظ ان الطبيعة الانسانية لا تتغير ولا تتقمص ، وأُقرُّ بحقيقة « كارما » ولكنّ النفس الاولى « اتمان » ليس لها ان تعمل ما تعمل أنت .

يوجد ولادة ثانية ، بدون تغيُّر الذات ، لأنّ النفس الاولى ، هذه الذات ، هـذا المماثل لـ« انا اقول » و « انا اريد » كلها تجلّيات ، فاذا كانت هذه الذات حقيقة فكيف اذن تقدر ان تتخلص من كيانها ؟ ان الخوف والعذاب يجب أن يكونا دائماً ولا شيء ينقذنا منهما . إنّ شرّ الوجود يجب ألاّ يسيطر على جهلنا الخطيئة بل يجب ان يسلمنا الى طبيعة وجودنا .

وللحال ذهب « بودهيساتفا » الى كهنة الهياكل وهنالك وجد عقل « شاكيا موني » اللطيف فاوحى اليه ان المحرقات للآلهة باطلة فقال له :

إنّ الجهل وحده يدفع الناس الى تقديم الذبائح ، وإنـه لخير للمرء أن يطلب الحقيقة مجردة بدون ان يسترضي الآلهة بسفك الدماء . ايّ حبّ يملك الانسان اذا كان يسعى لهدم كيانه بأعماله الشريرة ؟ وهل خطأ جديد يصلح خطأً قديماً ، وهل ذبح الضحيـة البريئة يغفر خطايا الجنس البشريّ ؟ إنّ ممارسة تقديم الذبائح ليست من الدين الحقّ في شيء .

والدين الحق هو طهارة القلوب والامتناع عن تقديم الذبائح . إنّ الطقوس ليس فيها قوة فعالية للخلاص، فتكرار الصلوات باطل والتعازيم ليس فيها قوّة الخلاص ، ولكنّ ترك الشهوات والتحرّر من آلام الشرّ والبغض والافكار السيئة هما الذبيحة والعبادة الحقة .

•

« بوريفيلفا » او قمع الجسد

مضى « بودهيساتفا » يبحث عن طريقٍ أصلح ، فظفر بمقرّ خمسة من الفقراء قد انقطعوا الى برية « بوريفيلفا » يذلون حواسّهم محافظين على فضيلة التقشّف ، متحملين قهر الجسد واذلال النفس ، فأعجب بغيرتهم « الرجل المبارك » وبتقواهم وأحبّ أن يكون مجاوراً لهم .

وبغيرةٍ مقدسة ورباطة جأش استسلم « شاكيا موني » او الرجل المبارك الى قمع جسده وقهره منصرفاً الى حياة التأمّل ، وقد فاق الفقراء الخمسة تقشفاً وزهداً وتقىً حتى انهم نظروا اليه نظرة احترام وأقاموه عليهم معلماً وسيداً .

وعَبَر « بودهيساتفا » او « شاكيا موني » اي الرجل المبارك ستّ سنوات يمارس فضيلة النسك كافراً بملاذ الدنيا ، يروّض عقله على حياة الزهد والقداسة ، فكان لا يأكل من الطعام إلاّ الكفاف مرة واحدة في اليوم ، راجياً بذلك ان يجتاز خضمّ الولادة والموت فيصل الى شاطىء الخلاص .

ضعف جسد « بودهيساتفا » الرجل المبارك حتى أصبح خيالاً او كغصنٍ عارٍ من ورقه ، ولكنّ عبق قداسته قد انتشر في كل ناحية فتقاطر الناس اليه من كلّ صوب وحدب ينظرون اليه ويلتمسون بركته .

على أنَّ الرجل المبارك لم يرضِه هذا فواصل زهده باحثاً مفتشاً عن الحقيقة والحكمة ولكنه لم يظفر بهما. وأخيراً اتضح له انَّ قمع الجسد لا يوصله الى ما يرغب فيه ان لم يقرنه بحياة التأمّل، فجلس الى جذع شجرة «جانبو» مفكّراً بما جناه من ثمار تقشّفه، فرأى ان جسده قد ضعف وانحطت قواه وأنَّ صيامه لم يدنه من الخلاص، وقد طلبه جادّاً فما ظفر به.

فقال: إنَّ ما قمت به لم يكن صواباً، فعليَّ اذن ان أعودَ الى تقوية جسدي بالشراب والطعام ولكنَّ ذلك غير صالح لامتلاك النفس.

وهبَّ يغتسل في النهر، فنزل الماءَ، ولما أراد الصعود لم يقوَ لهزال جسده وضعفه، فتعلّق بغصن شجرة يستعين به على الصعود من الماء، فتمَّ له ذلك وترك النهر قاصداً مقرّه، وبينما هو ماشٍ عثرت رجله فسقط ارضاً، ونظره الفقراء الخمسة فظنّوا انه قد مات.

وكان بالقرب من ذلك المكان راعٍ، وابنته الكبرى تدعى «ناندا» مرّت بالرجل المقدس فرأته طريح الأرض فمالت اليه وسجدت وقدمت له عصير أرزّ، فاقتبل التقدمة شاكراً، ولمّا شرب مما قدّمت له، تشدّدت قواه وتصلبت أعضاؤه وانجلى عقله، وشعر انه أهل لاستقبال النور العُلويّ.

وللحال عاد «بودهيساتفا» الى الأكل، ولما شاهد تلامذته الفقراء الخمسة المشهد الذي قامت به «ناندا» ورأوا أنَّ سيدهم قد عاد الى حياته الاولى، وتراخت غيرته الدينية وتناسى القصد الذي رمى اليه،

أَخذتهم الشكوك، ولما رأى « سيدهارتا » ان الفقراء الخمسة قد انصرفوا عنه أُسقِط في يده وأخذه حزن شديد لانفراده في الحياة ، ولكن ما عتَّم ان اطمأنّ بعد ذلك الى نفسه وخفّف احزانه ، وأخذ يتجوّل في الانحاءِ منفرداً . فقال تلامذتُه : ان « سيدهارتا » سيدنا قد تركنا منفردين في نسكنا نطلب مسرّاتنا الروحية .

« مارا » الشخص الشرير

مشى الرجل الصالح الى شجرة الحكمة والمعرفة المباركة ، وتحت ظلالها استسلم الى افكاره باحثاً . وبينما كان يمشي نحوهـــا اضطربت الارض ومادت وسطـع نور ملأ العالم اجمع . ولمّا اتكأ الى جذعها تفتّحت السماء وسمع صوت فرح ملأ الارجاء مسرّة وحبوراً .

ولكنّ « مارا » روح الشرّ وإله الرغائب الخمس وجالب الموت وعدو الحقيقة ، وحدَه قد حزن ولم يفرح . فجاء ببناته الثلاث المجرّبات وضيفه الشيطان الرجيم وقصد الى المكان الذي جلس فيه الرجل الصالح ، ولكنّ « بودهيساتفا » الصالح لم يلتفت اليه ولم يأبَه له .

وللحـال أحدث « مارا » عاصفة شديـدة اظلمت منها الاجواء ، وطغت ميـاه البحار وزمجرت امواجهـا ، ولكنّ الرجل الصالح بقي متكئاً تحت ظلال شجرة الحكمة والمعرفة مطمئنّاً ولم يخف البتّة لأنه متأكد أن ما من شيء يقوى على اسقاطه في التجربة . وشرعت بنات « مارا » الثلاث يجربنه ، فلم يقوينَ عليـه لانه لم يلتفت اليهنّ . ولمّا رأى « مارا » أنْ ليس باستطاعته ان يجوز قلب الرجل الصالح ويستهويه ويَصرفه عن فضيلته ، أمر ارواح الشرّ كلّهـا ان تتجمّع وتستدرجه الى العالم وشهواته ، ونظر الرجل الصالح الى ذلك كلّه كمن ينظر الى اولادٍ

يتلهون بلعبهم. فلم تقوَ عليه الارواح الشريرة، فكأنّ لهيب جهنم قد تحوّل الى نسيم عليل مضمّخ بالعطر، وكأن الرعود والبروق قد تحوّلت زمجرتها ولمعانها الى زهرات اللوتس .

فلما شاهد « مارا » ذلك فرّ مع جنوده الاشرار من امام شجرة الحكمة والمعرفة ، فتساقطت ازاهر كالمطر من السماء وصدحت اصوات الملائكة بفرح تقول : مبارك هو الرجل الصالح فان عقله لم يتبدّل ولم ينله ضعف ، إنه طاهر وحكيم ومحبوب وانه مملوء نعمة . وكما تُبدّد انوار الشمس ظلمة العالم هكذا الحقيقة تحفظ مَنْ وجدها وهي وحدها تملأ قلبه فرحاً ونوراً .

الاستنارة

طرد « بودهيساتفا » « مارا » روح الشرّ وانقطع الى حياة التأمّل فرأى ان التعاسة في البشر والشقاء مصدرهما اعمال الشرير . واستعرض الآلام فقال :

بالحقيقة لو أنَّ كل حيّ استبصر العاقبة التي تنتجها اعمال الشرير لحوَّل نظره عنها وازدراها . ولكنَّ الذات تعميه وتقيّده بالشهوات الباطلة .

انه يشتاق الى المسرّات التي تسبب له آلاماً ، وعندما يخمد الموت انفاسه لا يجد سلاماً ، فيحسُّ بظمإٍ للوجود ، فتولدُ ذاتيته ولادةً جديدة ، ويستمرّ متنقلاً في دائرة الحياة فلا يقدر ان يفرَّ من شرِّ اعماله ، فيحسُّ فراغ لذّاته وبطلان تجاربه ، ومثله في ذلك مثل وادٍ غضّة اشجاره البريّة المورقة ولا ثمار فيها .

ان العالم يَغصُّ بالخطيئة والحزن لانه مملوء ضلالاً ، والناس فيه يتيهون ولا يفكرون بغرورهم ويزعمون ان الضلال خير من الحقيقة فيتركونها ساعين وراء تيه اللذات التي تصل بهم الى التعاسة والشقاء والاضطراب .

إنَّ « بودهيساتفا » بدأ يعلن معنى « دهارما » اي الدين الحقّ .

« دهارما » او الدين المستقيم هو الحقيقة .
« دهارما » هو الشريعة المقدّسة .
« دهارما » هو الاستقامة .

إنّ « دهارما » وحده لا يقدر ان ينقذنا من الضلال ومن الخطيئة والحزن .

فكّروا في اصل الولادة والموت ، فالرجل المستنير يعلم ان الجهالة هي سبيل الشرير، وهي امتداد الحياة المدعوّة بالاثنتي عشرة « نيدانا » اي السلسلة التي تؤلّف التعاسة .

في البدء كان الوجود عماءً وبدون معرفة ، وفي بحر الجهالة هذا تنفّس الوجود وتنظّم واستيقظت المعرفة والشعور .

وكان اول ما تنظّم الشعور الذي دبّت فيه الحياة ، ومن هذا نشأت طرق المعرفة الستّة وهي : الحواس الخمس والعقل . والتصقت الطرق الستة بالاشياء ، وبهذا الالتصاق كان الاحساس الذي اوجد تعطّش الافراد الى تفحّص الاشياء وتقسّمها ، وهذا التقسّم ولّد الذات التي اخذت تجدّد الولادات . وكان سبب الحزن والآلام وتجدّد ولادات الذات . فالشيخوخة ، والمرض ، والموت ولّدت الحزن والشوق والزوال .

وسبب هذه الاحزان كلّها هو البدء المخبوء وراء المجهول الذي منه صدرت الحياة .

فألقوا عنكم الجهالة فتهدموا الغواية الضالّة التي ينتجها الغرور .

ابعدوا عنكم المشتهيات الرديئة وهي آخر ضلال الافراد . بَدِّدوا الطمع من ذواتكم فتستقيم طرق المعرفة الستة. ازيلوا الوَهم من ذواتكم فينصرف عنكم الضلال .

بدّدوا سوءَ الفهم والغرور فترِدوا معيناً يُطفىء غليلكم وتتحرروا من كلّ سقمٍ .

تحوَّلوا عن الطمع فتبيدوا الانانية التي فيكم ، وعندما تتحرَّرون من الانانيّة تصبحون فوق الولادة والشيخوخة والمرض والموت وتنجون من كلّ ضيق وألم .

ان الرجل المستنير رأى الحقائق النبيلة الاربع وهي التي تَضعُ قدمه على طريق « النيرفانا » او موت الذات .

فالحقيقة المثلى الأولى : الولادة حزن ، النموّ شقاء ، المرض آلام والموت عذاب، وإنَّه لَمِن المضني المؤلم أن نجاور ما لا نحبّ ونرغب فيه ، وإنَّه لَمِن الحزن العميق ان نفترق عمن نشغف به حبّاً ونتحمَّل العذاب والقهر من اجله .

والحقيقة المثلى الثانية : الألم وسببه الشهوة التي تكتنف العالم، احساساً واستجداءً وعطشاً ، وتتطلّب الارواء من الاشياء التي تتراءى للذات وهذه كلّها تقود الى اللذة المرغوب فيها وهي سبب الأوجاع .

والحقيقة المثلى الثالثة : الاحساس بالحزن ، ومن يقهر شهواته ويتغلّب عليها يُعَدُّ عظيماً ، لانه يتحرَّر من القيود فلا يأخذه طمع او بريق لذَّة .

والحقيقة المثلى الرابعة : هي الممرّ الثامن الى الاحساس بالحزن ، وللذات التي تسعى وراء الحقيقة المجرّدة خلاص اذا سلكت سبيل الصلاح ورفضت كل لذّة عالمية ، فالحكيم الحكيم هو ذلك الذي يسلك الطريق المعبَّدة باخلاصٍ فيتفلّت من كلّ حزن وألم .

والممرّات الثمانية هي :

١ — صحّة الفهم واستقامته .

٢ — النتيجة التي تعقب الطمأنينة .

٣ — الكلام الحقّ .

٤ — الاعمال الصالحة .

٥ — الطريق السويّ لكسب العيش .

٦ — الجهد الحسن في الخير .

٧ — الافكار الصالحة .

٨ — سلامة العقل والضمير .

هذا هو الصلاح ، هذه هي الحقيقة ، هذا هو الدين ، والرجل المستنير ينشد هكذا :

لقد طال تجوالي لقد طال
وتقيَّد بسلسلة من الرغبات
وتعدّدت الولادات
وانا افتّش عبثاً وألذّ بالباطل
متى تهيمن الطمأنينة على الانسان ؟

متى يتخلّى عن مطامعه وأنانيته ؟
متى يجوز عنّا الألمُ وننجو من الولادة ؟
لقد جاء وقت الراحة وأَوجد لي موجد الذات بيتاً مريحاً هادئاً.
فعليّ ان احطّم قيود الخطيئة، واكسّر جسر الآلام واجوز بعقلي الى النيرفانا
وهاءَنذا وصلت الى ما اتوق اليه ، وافرحتاه !

يوجد ذات وحقيقة، وحيثما وُجدت الذات فُقدَت الحقيقة ، وحيثما تكن الحقيقة تبطل الذات ، فالذات هي الشعور بـ« سمسارا » خضمّ الولادة والموت والأنانيّة التي تسيطر على الفرد فتقوده الى محبّة الذات التي ينشأ عنها الحسد والبغض .

الذات تستسلم الى اللذة والشهوة الباطلتين .

ان الحقيقة هي الفهم المستقيم للأشياء ، وهي الخلود الدائم واثبات كلّ موجود وبركة الصلاح .

إنّ وجود الذات وهمٌ، وليس في العالم ريب ولا رذيلة ولا خطيئة الاّ من الذات .

ان بلوغ الحقيقة ممكن عندما تعرف أنّ الذات وهمٌ، وممارسة الاستقامة تتمّ بتحرير عقلنا من الطمع ، ويستقرّ السلام فينا عندما ننفي الغرور .

مباركٌ هو الذي قد فهم « دهارما » روح الحقّ .
مباركٌ ذلك الذي لم يسىءْ الى رفيقه .

مبارك هو الذي يتغلّب على الخطيئة ويتحرّر من اوجاعه .

والبركة العُليا تحلّ على الذي يتغلّب على ذاتيته وعلى غروره ، إنَّه سيصبح « بوذا » ، انه الكامل ، إنَّه المبارك ، إنه الشخص المقدَّس .

•

اول المؤمنين

لبث الرجل المقدَّس في وحدته سبع مرَّاتٍ في سبعة ايَّامٍ فرحاً ببركة التحرّر والانطلاق من العبودية ·

وفي تلك الحال الانخطافية مرَّ به تاجران كانا يجتازان الطريق وهما : « تابوسيا، وبهاليكا »، ولمَّا شاهداه بعظمته الروحيّة مملوءاً سلاماً، اقتربا منه باحترام وقدَّما له كعك أرزٍ وعسلًا ، وكان هذا اول طعام ذاقه الرجل المستنير منذ ان وضل الى رتبة القداسة « بوذاهود » . فالتفت اليهما بحنانٍ وكلَّمهما بكلمة طريق الخلاص .

وللحال لمح التاجران بصفاء عقليهما ومضات القداسة ، وشعرا أَنهما قد غلبا « مارا » الشرّير، فسجدا باحترام للرجل المستنير وقالا : إنّنا نلجأ اليك ايُّها المبارك ونطلب بك « دهارما » روح الحقّ طارحين وراءَنا الدنيا وامجادها .

فكان « تابوسيا ، وبهاليكا » التلميذين الأولين « لبوذا » .

التماس براهما

ان الرجل المبارك قد صار في مقام الاستنارة فجرى على لسانه النشيد الآتي :

ان الذي أَفعم قلبه بالبركات قد تحرَّر من كلّ إثم ، وانصرف عن كلّ شهوة ، وعن كلّ عروسٍ يشتهيها فكر « أنا » . لقد تعمقت بمعرفة الحقيقة التي طمأنتني واعطتني سلاماً ، وفهمت صعوبة الناس الذين يتخبطون في خضمّ الوجود مهتمين باحثين عن النور في رغبات العالم .

إنّ الناس لا يفهمون العقيدة الحقة لأنَّهم منغمسون في الذاتية وحدها ، والبركة التي تكتنفُها الحقيقة غير مدركة عندهم . إنَّها ستدعو المنقطع المطمئن الى الاستنارة فيتهلّل فرحاً . وبنظرة الى انحلال الذاتيّة سيجد الخلود ، وبالموت سيغلب الذات التي تعرف ان الحياة سرمدية .

إن الحقيقة تبقى مخبوءَة عمَّن تقيّد بالبغض ومتطلبات الجسد ، فلا يفهم « النيرفانا » لأنّ عقله المهتم بما للعالم مكتنف بغيوم الضلال .

إنّه لواجب عليّ أن ابشر بما لا يفهمه الناس ، ولو نالني من ذلك تعب واضطراب .

وفيما هو في انخطافه يُنشد ، تنزّل جندُ الملائكة من السماء وسجدوا له وقالوا : واأسفاه !! إنّ العالم سيهلك ، أليس من الواجب على الرجل المقدّس ان يعلن « دهارما » او الدين الحقّ ؟

طوبى للذين تغلّبوا على آلامهم ووارحمتاه لأولئك الذين انغمسوا بدون رجاء في الاحزان .

إنّ بعضاً منهم ما زالوا اطهاراً لم يدنسهم غبار العالم بعدُ، ولكنَّهم يضلّون ان لم تتصل بهم العقيدة المبشر بها ، فإن هم سمعوا بها آمنوا وخلصوا .

وما إنْ سمع الرجل المقدس هذا حتى امتلأ قلبه حزناً من اجل الضالين ، ونظر بعين القداسة الى الخليقة كلّها ، فرأى بينهم مَن عقله غضّ لم ينغمس في ضلالات العالم بعد ، وهو على استعداد لاقتبال الكلمة، ورأى بينهم مَن عقله غارق في الشهوة والخطيئة ، فجهر قائلاً : إنّ باب الخلود واسع للذين لهم آذان فيسمعون ، ويقتبلون بايمانٍ « دهارما » او دين الحقّ .

وعرف جند الملائكة ان الرجل المبارك قد اقتبل الرسالة لأن يكون مبشّراً بعقيدة الايمان .

تأسيس ملكوت البر

يوباكا

فكّر المبارك في نفسه قائلًا : ترى مَنْ سأبشّر بالعقيدة أوّلاً ؟ ان معلميّ الشيوخ قد ماتوا ، ولو أنّهم احياء لاقتبلوا الخبرَ المستقيم بفرحٍ .

ولكن تلاميذي الخمسة السابقين ما زالوا احياء يُرزقون، سأذهب اليهم واعلنهم بشارة الخلاص . وكان النسّاك الخمسة يقطنون ميدان الغزلان في « بنارس » ولم يكن المبارك مطمئناً الى وداعتهم بعد ان تخلّوا عنه في محنته ، وكان بحاجة الى مؤانستهم ومساعدتهم ، ولكنّ واجب الخدمة الذي كان يسيطر عليه ، ونكرانه الذات حملاه على ان يصفح عمّا بدر منهم ، وأَهاب به لأن يجاورهم ويهديهم سبيل الخلاص لأنّ ما يأتونه من ضروب العبادة لم يكن حقّاً .

وبينا « سيدهارتا » في طريقه الى بنارس، لقيه « يوباكا » البرهميّ الحدث و « جين » الصديق السابق، فانحنيا امام عظمته باحترام و كفّرا بين يديه والفرح ملء قلبيهما وقالا : ان طلعتك ايّها الصديق زاهية

وعينيك ساطعتان تعلنان الطهارة والقداسة .

فأجابهما « بوذا » المقدَّس : لقد اقتبلت الخلاص بنكران الذات ، وقهرت جسدي وحرَّرت عقـلي من كلّ رغبة عالمية ، وحلّـت الحقيقة الكليّة في جُمع قلبي ، فاقتبلت « النيرفانا » وهـذا هو السبب الذي تظهر فيه طلعتي زاهيـة وعيناي ساطعتين ، والآن ارغب في ان أُوجد ملكوت البرّ على الارض ، فأعطي النور للسالكين في الظلمة وافتـح باب الخلود للناس اجمع .

فأجابه « يوباكا » : إنك تُعلـّم أيُّها الصديق ، لتكون « جينا » اي غالباً ، فتقهر العالم وتكون الفرد الواحد والمقدَّس الواحد . فأجابه المبارك : ان الغالبين هم اولئك الذين تغلـّبوا عـلى الذات واذلـّوها ، اولئك هم المنتصرون الذين يراقبون عقولهـم مبتعدين عـن الخطيئة ، ولهذا تراني يا « يوباكا » غالباً منتصراً .

فرفـع « يوباكا » رأسه وقال : « غوتاما » المحـترم ، إنَّ طريقك صعب بعيد ، فخذ لك طريقاً آخر . وتركه ومضى .

الاحتفال في بنارس

شاهد النسّاك الخمسة معلمهم القديم مقبلاً عليهم فقال بعضُهم لبعض: علينا أَلاّ نحيّيهُ ولا ندعوه معلّماً بل علينا ان نناديه باسمه لأنّه نقض دعوته وترك القداسة ، فما هو بزاهدٍ ، انه « غوتاما » و « غوتا » لانه صار يعيش عيشة عالمية ، ويبحث عن مسرّاته .

ولمّا اقترب منهم المبارك ، هبّ كلّ منهم على غير ارادته واقفاً وحيّاه باحترامٍ ، مع أنّهم دعوه باسمه واقتبلوه كصديق ، ولمّا شاهدَ منهم ما شاهد قال لهم : عليكم أيُّها الاحبّاء ألاّ تدعوا الكامل باسمه ، ولا تستقبلوه كضيفٍ صديقٍ ، لأنّ « بوذا » هو المبارك ينظر الى الخليقة باسرها بحنانٍ فتدعوه أباً ، ومن الخطل ان يُعَقّ الأب ، والابتعاد عنه خطيئة . وتابع « بوذا » كلامه وقال : ان الخلاص لا يُبحث عنه بالذلّ والمسكنة والتقتير في العيش . واعلموا ان « بوذا » لم ينغمس في مسرّات العالم ، ولكنّ الكامل « تتغاتا » ، وهو انا ، قد وجد الطريق العدل .

ليس الانقطاع عن الاكل والشرب واكل السمك واللحم، والعري وحلق شعر الرأس ولبس المسوح والاثواب الخلقة والتقلّب في الاوساخ، ولا التضحية « لأجين » تكفي لأن تطهّر الانسان الذي لم يتحرّر من الافكار الرديئة .

إنّ قراءة « الفيدا » التي في ملك الكهنة وتقـديم الأضاحي للآلهة وتنحية الذات عن الحرارة والبرودة الى غير ذلك غير كافٍ للبحث عن الخلود ، لانّ هـذا كلّه لا يُطهِّر المرء الذي لم يتحرّر مـن افكاره الخاطئة بعدُ .

إنّ البغض والابتعاد عن الشراب وعدم الحركة والعناد والخـداع والحسد والاعتـداد بالذات والنميمة والعبودية وفكر الشرّ والقذارة والاقلاع عن اكل اللّحم كلّه باطل ان لم نتحرّر .

دعوني اعلمكم أيُّها النساك الطريق العدل الذي هو وسط بين غايتين . اي فضل يكون لِمَن ينقطع عـن العالم ويتحمّل الآلام التي لا تنتج له إلاّ مرض العقل ؟ إنّ قمع الجسد لا ينفي الافـكار العالمية . ان الذي يرفع حَمَلَهُ من الماء لا يُبعِدُ الظُّلمة ، والذي يحاول ان يوقد النار بحطبٍ اخضر يخفق في عمله .

ان قمع الجسد عذاب باطل وبدون فائدة ، والانسان لا يقدر ان يتحرّر من الذات الامّارة بالسوء ، ان لم يفلح في اطفاء نيران شهواته .

إنّ كلّ قمع للجسد باطل مـا دامت الذات تسعى وراءَ الشهوات العالمية والمسرّات . إنّ الذات المميّزة هي التي تتحرّر من كلّ شهوة، فلا ترغب في العالم ولا في المسرّات، والذات التي تكتفي بحاجتها الطبيعيّة لن تتضايق ، فدعهـا تأكل وتشرب بحسب متطلبات الجسد ، ولكن لا تجعلها تسيطر عليك. ان الماء يكتنف زهرة « اللوتس » ولكنّه لا يبلّل بتلاتها . إنّ الشعور بكلِّ شيء يُضعِـفُ ، ورجل الشهوة عبد

لشهواته ، والانقياد للشهوة ذلّ وسفالة .

والاكتفاء بضروريات الحياة ليس شرّاً ، والعناية بالجسد واجب ، وإلاّ فلا نقدر ان نظفر بالحكمة ونحفظ عقلنا قويّاً صافياً .

إنّها الطريق العدل أيُّها النسَّاك ، إنّها وسط بين غايتين .

وتابع المبارك خطابه لتلامذته لينقذهم من الضلال مبيّناً لهم خطأ الطريقة التي يسلكونها ، فكان كلامه برداً وسلاماً على قلوبهم ، وشرع يعلّمهم فاتحاً امامهم باب الخلود موضحاً لهم عن سلام « النيرفانا » . ولمَّا تجاوبت اصداء تعاليم المبارك في الكون كلّه ، تركت « ديفا » اي الملائكة سماءَها وجاءَت تتنصّت الى حلاوة الحقيقة . والقديسون تحلّقوا حول المبارك يصغون الى اقواله ويقتبلون البشارة المفرحة حتى ان حيوانات الارض شعرت براحة وطمأنينة ولم يبق حيّ إلاّ سمع رسالة الخلاص فاقتبلها وفهمها بلغته .

وتابع « بوذا » قائلًا :

اليكم الكلام الذي فيه طهارة التصرّف في الحياة ، تجمعه العدالة والحكمة والوداعة والفكرة الصالحة ، فعلى هذه كلها يدور دولاب الحقيقة .

ان من يعرف سبب الحزن ودواءَه يعرف الحقائق النبيلة الاربع فيسلك في الطريق المستقيم .

ان النظرة الصالحة تضيء ، والقصد الحسن رائدها ، والكلام الجيّد يثبّت اركان الجسد فلا يعثر .

ان الطمأنينة هي الطريق المعبّدة لسلامة الحياة . والجُهد الحسن

يُسَدِّدُ الخُطى ، والفكر الصالح ينشر السلام .

ان كلّ اهتمام بالذات باطل مهما كانت الحال ، ومَثلُ الذات مَثل سراب يتبدّد كلّما اقترب منه الرائي . كلّ متطلبات الذات يغيب كحلُم عابر يتوارى في اليقظة .

ان من يتحرّر من الذات واضطرابها يصبح «بوذا»، ومَن يعرف بُطلان ما يهتمّ بهِ من مطامع يصبحُ « بوذا » ، ومثل ذلك مثل رجلٍ اراد ان يستحمّ فوطىءَ حبلًا رطباً ، فتوهمه حيّة تنفث السمّ فأخذه رعب شديد وخوف عظيم وظنّ ان هلاكه محتّم ، فتراخت أعضاؤهُ ووهنت قوّته ، وما عَتّم ان حدّق الى ما تحت قدميه فاذا الحيّة حبل فتبدّد خوفه ورعبه وعادت اليه طمأنينته .

فاذا كان الحبل قد اعاده الى صوابه وأذهبَ عنه كلّ قلقٍ واضطراب واخذه الفرح والطرب ، فكم يكون فرح ذلك الذي يعرف أن ما يشعر به في « الذات » هو سراب باطل ، او أشباح متراثية ، او حلُم عابر ؟

فطوبى للذي يتغلّب على ذاتيته ، وطوبى لِمَنْ ينتظر السلام ، وطوبى للذي وجد الحقيقة فإنّه مغبوط .

الحقيقة نبيلة وجميلة ، لانّها تنقذك من الشرّير ، وما من مخلّص في العالم يعدلها او يساويها .

لنثق بالحقيقة وان كنت غير قادرٍ على ادراكها ، فتظن حلاوتها مرارة ، فتهرب منها . فثق بالحقيقة لأنها اجمل ممّا هي، ولا احد يقدر

ان يسيطر عليها، وادراكها لا يكون إلاّ بالايمان، فآمِن بها واحيَ فيها. الضلال يقود الى الظلمة، والغواية تجلب التعاسة وسمّها كمعاقر الخمرة تتركه مريضاً مهدّماً.

الذات هي حمّى. الذات خدّاعة، تتراءى حلُماً جميلًا ثمّ يضمحل. امّا الحقيقة فتجلب الصحّة والطمأنينة. الحقيقة بلسم. الحقيقة سرمدية، ولا خلود إلاّ فيها، لأنّها وحدها تبقى ابداً.

وما انهى «المبارك» كلامه حتى قام اكبر النسّاك الخمسة المدعو «خوندينا» وقد تراءت له الحقيقة فقال: حقّاً إنّ «بوذا» ربّنا قد وجد الحقيقة.

وشمل الفرح الملائكة والقديسين والارواح الصالحة. وكلّ الذين سمعوا التعليم اقتبلوه بفرحٍ وصاحوا بملءِ افواههم: حقّاً إنّ «المبارك» قد وجد الحقيقة والطريق المستقيمة. إنّ «المبارك» قد زلزل الارض ونشر الحقيقة التي لا ريب فيها، فلا احد غيره ولا اله او انسان يقدر ان يرجع بعد ان سمع ما سمع لأنّ ملكوت الحقّ قد انتشر على الارض، والارادة الحسنة والسلام يملكان في قلوب المبشّرين الصالحين.

السانغا او الجماعة

بعد ان هدى « بوذا » النسّاك الخمسة الى سراط الحقّ قال : ان الشخص الذي يكون منفرداً بعد اطاعته الحقيقة قد يتهاداه ضعف فيسقط ويرجع الى سيرته الاولى ، لذلك اقول لكم اتحدوا وليشدّد بعضكم ضعف الآخر .

كونوا اخوة متصافين وليحبّ الواحد الآخر بالقداسة ، ولتكن غيرة كل منكم ناراً متقدة تجدّ وراء الحقيقة . انشروا الحقيقة وبشروا بها في كل انحاء المسكونة ، وليكن كل حيّ وطنياً في ملكوت البرّ .

هذه هي الاخوّة الحقة المقدّسة ، وهذه هي كنيسة « بوذا » ، انها الجماعة المباركة الموحّدة بالالتجاء الى « بوذا » .

وكان « خوندينا » اول تلميذ قد فهم عقيدة الواحد المقدّس ، فنظر « تتغاتا » اي الكامل الى قلبه وقال : ان « خوندينا » لفهمه العقيدة قد استحق لقب « آجناتا خوندينا » اي العارف لانه عرف الحقيقة .

ثم التفت المحترم « خوندينا » الى « بوذا » باتضاع وقال : سيدي دعني اقتبل سيامة الواحد المقدس .

فاجابه « بوذا » وقال : تعال ايها التلميذ الصالح ومعلم العقيدة ، لك اعطي ان تمنح الصلاح للحزانى .

وللحال قدم « خوندينا » مع التلامذة الباقين نذورهم معترفين بها ثلاث مرات وقالوا : الى « بوذا » يجب ان ننظر بايمان ، لانه الشخص الكامل والمقدس الاعلى .

إن « بوذا » عرّفنا الحكمة والخلاص ، وهو الواحد المبارك الذي عرف شريعة الكائن، هو سيد العالم الذي يجعل اتحاداً وثيقاً بين الناس، انه معلم الآلهة والناس معاً . «بوذا» المعظم فاليه يجب ان ننظر بايمان.

الى العقيدة يجب ان ننظر بايمان ، وعلى كل منا ان يبشر بها بقوّة الواحد المعظم « بوذا » . ان العقيدة التي تراءت وهي منظورة الآن ، العقيدة التي لا يتناولها زمان ولا مكان لا ترتكز على السمع بل على « تعال وانظر » .

ان العقيدة المقدسة تنيل الرغد والغبطة فما يعرفها غير الحكماء ، يحسونها في قلوبهم، فاليها يجب ان ننظر بايمان، لانها تعلّمنا نحن تلامذة «بوذا» كيف نسير بالناس الى حياة البرّ. ان تلامذة «بوذا» يعلّمون الناس كيف يجب ان يسلكوا بشرف وعدل . ان تلامذة « بوذا » يعلّمون كيف يجب ان تمارس الحقيقة . انهم يؤلفون اخوّة الوداعة والاتضاع والمحبة .

ان قداستهم اهل للاحترام . ان تلامذة « بوذا » والجماعة معاً قد تأسسوا على الاتحاد المقدس الذي يساوي بين كل واحد منهم بالطاعة والعمل الحسن .

فالى الجماعة يجب ان ننظر بايمان .

ياشاس شاب بنارس

في ذلك الزمان كان في « بنارس » شاب شريف يدعى « ياشاس » ابن تاجر مثرٍ، قد اخذه قلق عظيم من اضطرابات العالم واحزانه، فاستيقظ ذات ليلة وتسلل في جنح الظلام يطلب « الواحد المبارك » . فلما شاهد « الواحد المبارك » الشابَّ الشريفَ « ياشاس » مقبلًا عليه من بعيد، مقترباً منه قائلًا : واأسفاه، اي بلاء واي اضطراب في هذا العالم، أَجابه « الواحد المبارك » : هنا لا تجد بلاءً ولا اضطراباً ، تعال اليَّ فاعلمك الحقيقة التي تبدد احزانك وتذهب قلقك .

فعندما سمع الشاب الشريف « ياشاس » انْ ليس عند « الواحد المبارك » بلاء ولا اضطراب ولا احزان ، اطمأنَّ قلبه ، فجاء وجلس بقرب « الواحد المبارك » الذي شرع يبشّره بالمحبّة ويبيِّن له الاخلاق الرضيّة ، مظهراً له بُطلان الشهوات وخطيئاتها وشرورها، مرشداً اياه الى طريق الخلاص ، فبدلاً من ان يكره « ياشاس » العالم شعر بمجرى الحكمة يترقرق في قلبه، فاقتبل الطهارة وانقشعت له الحقيقة ، فأحسَّ نفسه كأنه حجر كريم او حبة لؤلؤٍ تلمع في عين الشمس ، وأخذه حياء . فعرف « تتغاتا » اي الكامل سريرة قلبه فقال : مهما ازدان المرء بالجواهر فقلبه يتغلّب على كل شعورٍ إنْ اراد لأنَّ الكلمات

البرّاقة لا توصل الى الدين ولا تطهّر العقل ، وإن جسد « شارمانا » رجل العلم وان ازدان بالالبسة الثمينة فان عقله يزدري كل ما هو عالميّ.

انّ من ينقطع الى الغابات متنسكاً مبتعداً عن العالم فانقطاعه باطل ، لان من يبقى في العالم يقدر ان ينال فكراً سماوياً ، فلا فرق بين رجل العالم والناسك ان لم يتخلصا من فكرة « الذات » .

وبينما « ياشاس » مزمع ان يجتاز الطريق عائداً ، نظر اليه « الواحد المبارك » وقال له : تعالَ ، اتبعني . فصار اليه وانخرط بين الاخوة وارتدى اللباس الاصفر مقتبلاً بركة السيامة .

وفيما « ياشاس » والواحد المبارك يتجادلان بالعقيدة مرّ ابو «ياشاس» بالمبارك يبحث عن ولده ، فسأله قائلاً : عفواً يا سيدي ، لعلك نظرت ولدي « ياشاس » ؟ فاجابه « بوذا » : أُدخل فانك واجد ولدك. وللحال اضطرب قلب الوالد فرحاً ، ودخل وجلس بقرب ولده ولكنه لم يتبينه جيّداً لان غشاوة قد استقرت على عينيه، فلم يعرفه، وتابع المعلم السيد تعليمه ، فلما فهم والدُ « ياشاس » عقيدة « الواحد المبارك » قال : لتتمجّد الحقيقة يا سيّد ، لا شكّ أنّ « الواحد المقدس » هو سيّدنا وانه « بوذا » لانه اعاد الرجاء واعلن المخبَّأ ، وعَبّد الطريق للضالين واوضحها ، وأنار الظلمة ، فمن له عينان يقدر ان يميز الاشياء التي تحيط به . اني الى « بوذا » ربّنا التجىء ، والى العقيدة التي اعلنها اسعى ، والى الاخوة الذين اوجدهم اتوق ، فهل « للواحد المبارك » ان يقتبلني في عدادهم منذ اليوم فانّ نفسي ترغب في ان تكون في عدادهم وقد التجأوا اليه .

فلما اقتبل التاجر المثري كلمة « بوذا » انقشعت الغشاوة عن عينيه وشاهد ولده جالساً بقربه، وعليه ثوبه الاصفر، فصاح: ولدي « ياشاس » انّ امك قد انهدّ حيلها وأخذها ألم وحزن لفراقك، فعُد اليها وأعد لها اطمئنان الحياة . فنظر « ياشاس » الى « الواحـد المبارك » مُنتظراً جوابه ، واذا « المبارك » يقول : لا يمكن لياشاس ان يعود الى العالم ويلتذّ بافراحه كما كانت عادته من قبل .

فقال ابو « ياشاس » : اذا كان ولدي « ياشاس » يرى بالقرب منك يا سيّد راحة وطمأنينة، فليبق وله الطوبى لانـّه تخلـَّص من العالم وقيوده .

فغبـَّط « الواحد المبارك » قلب والد « ياشاس » لانه اقتبل كولده الحقيقة وحياة البرّ. فقال والد « ياشاس» : هل لسيدي « الواحد المبارك» ان يتنازل ويقبل دعوتي فيؤاكلني مع ولدي « ياشاس » ؟

وللحال ارتدى « الواحد المبارك » ثوبَه وأخذ قصعته بيده وذهب و « ياشاس » الى بيت الوالد التاجر المثري .

ولمـّا وصلا ، قامت أُمُّ « ياشاس » وامرأته وحيـّتا « الواحد المبارك » مرحبتين وجلستا بقربه .

وأَخـذ « الواحد المبارك » يبشّر بالعقيدة ، ولمـّا سمعت المرأتان عقيدته تعجبتا وقالتا : مُمَجّدة هي الحقيقة يا ربّ ، يا « بوذا »، أَيـُّها الواحد المقدَّس « سيّدنا » إنك اوضحت الحقَّ وكشفت المخبَّأ وعبّدتَ الطريق للضالين ، وانرت الظلمة ، فمن له عينان يقدر ان يميّز الاشياء التي تحيط به .

اننا نلتجىء الى « بوذا »، الى العقيدة التي أظهرها، الى الاخوة الذين أوجدَهم . فهل « للواحد المبارك » ان يقبلنا منذ اليوم في عداد تلاميذه الذين وجدوا فيه ملجأً وخلاصاً ؟

فكانت أمُّ « ياشاس » وزوجَتُه اولى التلميذات اللواتي اتحدنَ في « بوذا » .

وكان « لياشاس » اربعة اصدقاء من العائلات الغنيّة في « بنارس » وهذه اسماؤهم : « فيمالا » و « سوباهي » و « بنياجيت » و « كفمياتي »، فعندما سمعوا ان صديقهم « ياشاس » قد حَلق شعره ولبس الرداء الاصفر ، تاركاً العالم ومخلّفاً وراءه بيته ، قالوا : لا شكّ في انّ العقيدة التي اعتنقها صديقنا « ياشاس » ليست من العقائد الشائعة ، حتى تسلّطت على شريف فترك من اجلها العالم ، ونحن نعلم ان « ياشاس » شاب صالح وحكيم، إنّها عقيدة حقّة من اجلها حلق شعره ولبس الرداء الاصفر وتخلّى عن كلّ شيء عالميّ .

وللحال ، قصدوا الى « ياشاس » الذي أعلَم الواحد المبارك بهم وقال له : هل « للواحد المبارك » ان يتكرَّم ويعلّم اصدقائي هؤلاء الاربعة؟ فشرع « الواحد المبارك » يبشّرهم ويعلّمهم حتى اقتبلوا « بوذا » « الواحد المبارك » والتجأوا اليه .

ارسال التلاميذ

ان بشارة «الواحد المبارك» كانت تزداد يوماً فيوماً والناس يتقاطرون اليه وحداناً وأزواجاً، ليسمعوه ويقتبلوا دعوته سالكين في حياة القداسة، متحررين من آلامهم.

فلمّا رأى «الواحد المبارك» انه من الصعب ان تنتشر بشارته في ملء العالم ليسمعها الذين يرغبون في اعتناق الحقيقة واقتبال الدعوة، ارسل جماعة من تلامذته ليبشروا ويعلنوا «دهارما» أي شريعة الوجود او الدين الحقّ وأوصاهم قائلاً:

إذهبوا الآن أيُّها الزهَّاد وخلِّصوا الناس من أحزانهم، وبشّروهم بالعقيدة التي تمجّدت منذ البدء والآن والى الأبد، وتمجدت في الروح كما في الكتاب. يوجد أحياء كُثُرٌ تكاد تغشى أعينُهم من غبار الجهل، فإنْ هم لم يبشَّروا بالعقيدة الحقة لا يقدرون أن يخلصوا، فأعلنوهم حياة القداسة، فإنهم يفهمون العقيدة ويقتبلونها.

إنّ «دهارما» شريعة الوجود او الدين الحقّ و«فينابا» اي الروح المتجلّي، يعلنان النورَ بواسطة «تتغاتا» اي الكامل عندما تنشر الحقيقة وليس عندما تحتجب. احذروا من ان تسقط هذه العقيدة المملوءة حقاً بين ايدي الذين لا يستحقونها لئلا يستخفّوا بها ويحتقروها ويسيروا بها سيراً غير لائق.

وهاءنذا أعطيكم الآن سلطاناً ، ان تمنحوا في مختلف الاقطار بركة السيامة والدخول في الدين لكل الذين يتشوّقون لاقتبال العقيدة ان رأيتموهم أهلاً لها .

وقد جرت العادة منذ ذلك الحين ان ينتشر الزهّاد مبشرين صَيْفاً وامّا في الشتاء فيرجعون ويجاورون السيد مصغين الى ارشاد « تتغاتا » اي الكامل .

●

كاشيابا او الاخوة الثلاثة

في ذلك الزمـــان ، كان يعيش في « بورفيلفا » كهنة النار الذين يعبدون « كريشنا » ويسجدون للنـار ، وكان رئيسهم يدعى « كاشيابا » وهو رجـل معروف تجاوبت شهرتـه انحاء الهند كلها ، وهو من اكابر الحكماء المعدودين في العالم وله سلطان ديني مطلق .

فجاء « الواحدُ المباركُ بوذا » الى « كاشيابا » في « بورفيلفا » وطلب منه ان يصرف الليل في الغرفة التي يحفظون فيها النار المقدّسة .

ورأى « كاشيابا » مظاهر العظمة والجمال تبدو على سيماء « الواحد المبارك » فقال في نفسه : انه مفكّر ديني كبير ومعلّم نبيل ، أأسمح له بان يصرف ليله في غرفة النار المقدسة، فتلسعه الحية فيموت؟ فأجابه : اني لا أدعك تصرف ليلك في غرفة النار المقدسة لأنّ الحيّة القائمة على حراستها تلسعك فتهلك ، ويكون ذلك سبباً لحزني .

على أنّ « بوذا » أصرّ على طلبه ، فقبل « كاشيابا » وأذنَ له في دخول غرفة النار المقدّسة .

دخل « الواحدُ المباركُ ، بوذا » وقعد القرفصاء وحرص على استواء جسده ، يتطلّع بانتباه الى ما حوله .

ولمـّا أَظلم الليل ، جاءت الحية الخبيثة ، واقتربت من « بوذا » تنفث

سمّاً قاتلًا، حتى امتلأ الهواء من لُهاثها الملتهب ، ولكن ذلك لم يؤثر على « الكامل » ولم يؤذه البتة ، وأخذت النار تخبو امام الواحد المشرّف بقداسته ، فأخذ الحيةَ الخبيثةَ غيظٌ شديد من ذلك ، فماتت قهراً .

ولكنّ « كاشيابا » عندما رأى النار تستعر ويزداد لهيبها في الغرفة ، ظنّ ان المقدّس المبارك الجميل قد أهلكته الحية فصاح بملء فيه : وا أسفاه !! ايّ بلاء وقع !

وفي الصباح الباكر، أشار « الواحدُ المباركُ » الى « كاشيابا » أنِ أنظرْ الحية الخبيثة منطرحة أرضاً ولا حراك بها . فقال « كاشيابا » في نفسه : ان ناره قد اخمدت ناري ، انه ربّ مقدّس صالح وله قوة عظمى ، ولكن قداسته لا تعادل قداستي .

وحدث أنّ العيد كان قريباً ، ففكّر « كاشيابا » في نفسه قائلًا : لا شكّ في ان الناس سيتقاطرون من كل صوب وحدب ، وسيشاهدون « بوذا الحكيم » وربما ينقادون له عندما يسمعون كلامه ويتركونني ، وأخذه من أجل ذلك الفكر ، غضب شديد .

ولمّا وقع العيد أحجم « بوذا » عن الحضور ولم يجىء الى « كاشيابا »، فذهب « كاشيابا » الى « بوذا » وقال له : لِمَ لم يجىء « بوذا الحكيم » الى العيد ؟

فأجابه « تتغاتا ، بوذا » اي الكامل: ألم تفكّر في نفسك يا « كاشيابا » أنه خير لك أنْ أبقى بعيداً عن العيد ، لا أظهر للناس لئلا يتركوك ويتبعوني ؟

فتعجّب « كاشيابا » في نفسه وقال : عظيم هو « كاشياموني » اي بوذا الحكيم ، ولكن ليست له قداستي .

وتابع « الواحد المبارك » حديثه وقال : إنك وجدت الحقيقة يا « كاشيابا » ولكنك لم تقبلها لأنّ الحسد ما زال يتأكل قلبك ، أو يكون الحسد مقدّساً ؟ إنّ الحسد هو آخر ما يبقى في « الذات » فالقها عن عقلك ، واعلم انك غير مقدّس ، ولم تعبر الطريق بعد .

فانتبه « كاشيابا » لنفسه حالاً ، وترك الحسد والغيرة وسجد أمام « الواحد المبارك » وقال : ربي ومعلّمي دعني أقتبل الدخول في عقيدتك .

فأجابه « الواحد المبارك » : إنك يا « كاشيابا » رئيس عبدة النار ، اذهب اولاً الى قومك واعلمهم بعزمك واتركهم يعملوا ما يليق بهم .

فصدع « كاشيابا » للأمر وذهب الى قومه عبدة النار وقال لهم : اسمعوا وعوا ايها الشعب الكريم ، إني مزمع ان اعتنق عقيدة ربّنا « بوذا الصالح » فاختاروا انتم لحياتكم ما يصلح لكم وتجدون فيه راحة.

فأجابه الشعب بصوتٍ واحد : اننا نشعر بحبّ عظيم نحو « شاكياموني بوذا الصالح » فاذا كنت ترغب في ان تكون في عداد تلامذته فنحن نرغب ذلك ايضاً .

وللحال ، هبّ عبدة النار جميعاً الى معبدهم والقوا كل ما فيه الى النهر وأقبلوا على « الواحد المبارك » .

وكان أخَوا « كاشيابا » وهما « نادي كاشيابا » و « غايا كاشيابا » من

عظماء « بورفيلفا كاشيابا » قد شاهدا أواني عبادة النار المقدسة في النهر ، فقالا : لا شكّ ان حادثاً عظيماً قد أصاب أخانا ، وللحال جاءا مع جموعهما الى « بورفيلفا » ليجلوَا الحقيقة ويعلما ما حدث فاذا هما يتمبلان على « بوذا » ويسجدان له .

ولمّا رأى « الواحد المبارك » ان « نادي » و « غايا » اللذين كانا يسجدان للنار ويعبدانها، قد اصبحا في عداد الراغبين في دعوته ، وقف والقى عظة عن النار ، قال :

كلّ شيء يا عبدة النار ، يحترق ، العين تحترق ، الأفكار تحترق ، الحواس تحترق وكلها تحترق بنار الشهوة. يوجد غضب وجهل وبغض؛ وهذه كلها لهيب النار وغذاؤها ، وفي العالم ولادة وموت ، طمع وأثرة ، أنين وآلام ، فراق وحرقة .

ولكنّ من تدبّر طرق الحقيقة تمكن من ان يظفر بالحقائق الأربع فيسلك في الممرات الثمانيـــة التي تبهر عينه ، وتبهر افكاره ، وتقلق حواسه ، فيغرق في التجارب ليتحرّر ويخلص من الانانية ويتلقى بركة ملكوت « النيرفانا » .

ففرح عبدة النار واقبلوا مختارين الى « بوذا » المقدّس الصالح .

مهرجان راجاغريها

مكث المبارك مدة في «بورفيلفا» ومن ثم قصد الى «راجاغريها» مع جمهرة من الزهاد، وكان القسم الاعظم منهم من عبدة النار، وكان معه رئيسهم «كاشيابا» ايضاً .

ولما سمع «بمبيسارا» ملك «ماغادها» بقدوم «غوتاما شاكياموني، بوذا» الذي اطلق عليه الشعب لقب «الواحد المقدس» و«المبارك بوذا» جاء الملك يحف به جنده وقواده واعوانه وجمع غفير ليشهدوا معلم الشريعة الاعلى .

وهنالك شاهدوا «الواحد المبارك» مع مرافقيه الزهاد وكبار معلمي عبدة النار، فدهشوا لذلك وفكروا في انفسهم قائلين : ترى هل «شاكياموني» العظيم وضع نفسه تحت تصرّف روح «كاشيابا» او انّ «كاشيابا» صار من تلامذة «غوتاما»؟ فعرف «تتغاتا» اي الكامل افكار الشعب فقال يخاطب «كاشيابا»: قل لي يا «كاشيابا» اي علم ربحت او اي شيء انالتك النار المقدسة، هلُمَّ فقدِّم كفّارة عن تقشّفك وزهدك .

فاجابه «كاشيابا»: لقد تخلصت من عبادة النار التي ما كانت تزيد الافراد الا احزاناً وبطلًا، ولقد خلّيت ورائي خدمتها واستعضت عن

الكفّارة والتضحية لها، بأني قد اتجهت ابحث عن « النيرفانا » السامية.

ورأى « المبارك بوذا » ان الجمع متأهب لاقتبال العقيدة فحوّل وجهه الى الملك « بميسارا » وقال : ان الذي يعرف طبيعة ذاته، ويفهم اعمال حواسه ، لا يجد مقراً لكلمة « أنا » فهو يقتبل السلام الذي لا ينضب مَعينُه .

ان العالم ما زال متمسكاً بكلمة « انا » وهي اصل كلّ ادراكٍ خاطىء .

ان البعض يزعُمُ أنّ « أنا » تبقى بعد الموت ، والبعض الآخر يزعم انها تهلك ، فالزعمان كلاهما خطأ وضلال عظيم .

فالذين يزعمون ان « أنا » تهلك ، فثمارها تهلك معها أيضاً ، ولن يكون لها وجود بعد ، فالخلاص من خطيئة محبّة الذات باطل وبدون جدوى .

والذين يزعمون ان « انا » لا تهلك بل تبقى وسط الحياة بعد الموت كما كانت قبلاً ، فإذا كانت لا تولد ولا تموت ، فهي إذن كاملة فلِمَ تتفلت من كيانها ، فعدم هلاكها لا يتغير وهي بالتالي يجب ان تكون ربّاً ومعلماً ، وليس من الضرورة في شيء ان تكون « أنا » كاملة او ناقصة ، ولا ضرورة للخلق الرضيّ والخلاص .

وهاءنذا المح على تقاسيم وجوهكم علامات الفرح والحزن معاً ، ولهذا اسأل : اين تكون الطمأنينة والراحة ، انْ لم تكن « انا » هي التي تنتج كل عمل وفعل ، والا فلا ضرورة لوجود « انا » لانه ما من فاعل وراء

العمل ، ولا مراقب وراء المعرفة ، ولا ربّ وراء الحياة .

الآن اسمعوا وعوا ، انّ الحواسّ الظاهرة والباطنة قد التقت بالمُدرَك ، وبالتماسهما تولّد الشعور ، ومن ثم كانت النتيجة تذكّراً ، والمثل في ذلك مثل قوّة اشعة الشمس التي تخترق نقطة تجمّع الحرارة في الزجاجة المحرقة ، فتنشأ عنها النار ، وبواسطة تولّد الحسّ والادراك تولّدت الذات التي تدعونها ربّاً . واعلموا ان النبتة تنتج عن الحبّة والحبة غير النبتة والاثنتان كلتاهما ليستا واحداً والحقيقة ألاّ فرق بين النبتة والحبة من حيث الجنس ، وهذه هي ولادة كل حيّ .

انتم يا عبيد « انا » يا مَن تتعبون وتشقون في خدمة « الذات » من الصباح حتى المساء ، وتحيون في مخاوف الولادة والشيخوخة والمرض والموت ، استوعبوا البشارة الصالحة حيث لا خصام فيها ولا وجع ولا تنهّد .

انّ الذات ضلال ، انها حُلُمٌ خادع ، افتحوا عيونكم واستيقظوا ، وانظروا الاشياء كما هي ، فانكم تطمئنون .

ان الذي يستيقظ لا يطول خوفه من الجُثّام الرابض على قلبه وهو نائم .

ان الذي يعرف حقيقة الحَبْلِ لا يتوهمه حيّة فيرتعد خوفاً .

انّ مَنْ كان ضالاً فيوجَدُ ، « فأنا » لا تصرفه الى الشهوة ومتطلبات الذات .

انّ الالتصاق بالاشياء طمع ، والاحساس وراثة من وجوده السابق ، وهذه كلّها سبب التعاسة والغرور في هذا العالم .

انّ الاذعان للمطامع يتوقف على محبتك الذات، ونكرانها يصل بك الى البرارة واطمئنان العقل حيث يستقر السلام والصلاح والحكمة . فكما ان الامّ تضحي بنفسها في سبيل ولدها الوحيد هكذا يجب ان نضحي في سبيل الحقيقة فنتعرف اليها وننال الجودة والصلاح بدون قياس .

لنحصل على الجودة والصلاح فلا ننظر الى العالم بطوله وارتفاعه وامتداده وبدون ان نشعر بما فيه من مميّزات وافضليات ، لندع المرء يستقر على حقيقة العقل عندما يستيقظ من ذهوله سواء كان واقفاً او ماشياً او قاعداً او مضطجعاً .

إنّ اطمئنان القلب هو أجمل ما في العالم ، إنّه « النيرفانا » . إن الانفلات من الاعمال الخاطئة ، والانقياد الى حياة الفضيلة وطهارة القلب هي بجُملتِها ديانة كلّ بوذيّ .

ولمّا فرغ « الواحد المستنير » من عظته التفت اليه ملك « ماغادها » وقال :

عندما كنت اميراً تمنيت أن أنال خمس رغبات :

الأولى : ان تُعلنَ ملوكيتي وقد تمّت .

والثانية : ان يظهر بوذا المقدّس ، الواحد الكامل في الارض التي احكمها ويبشّر في مملكتي ، وقد تمَّ ما رغبت فيه .

والثالثة : أن احظى بشرف الخضوع له، وقد تمّ ايضاً .

والرابعة : ان يبشّرني « الواحد المبارك » بالعقيدة المقدّسة، وقد نلتها .

والخامسة وهي العظمى : أن اتفهَّم عقيدة « الواحـد المبارك » ، وها هي في ملء قلبي .

فليتمجّد الربّ، ولتتمجّد الحقيقة التي اعلنها « تتغاتا ». إنّ « بوذا » ربنا قد أظهر ما كان خفيّاً ، ومهّـدَ الطريق الواضح للضالين الذين كادوا ان يهلكوا . لقد اضاء الظلمة وبدّدها ، فمَنْ له عينان للنظرِ فلينظر . وهاءَنذا الملك ، التجىء الى « بوذا » والتجىء الى « دهارما » روح الحقّ ، والتجىء الى « سانغا » اي كنيسة « بوذا » او جماعته .

وهكذا قد اظهر « تتغاتا » بممارسته الفضيلة والحكمة قوّة الروح الغير المتناهية ، وقد انار العقول وجعلها تقتبل الحقيقة ومن ذلك الحين بدأت زراعة بذور الفضيلة في ملء العالم .

هدية الملك

بعد ان اقتبل الملكُ الاتحاد في « بوذا ، تتغاتا » اي الكامل ، دعاه الى قصره ليشاركه بالطعام مع الاخوة الزهّاد .

وفي اليوم التالي، لمّا أزف وقت الغداء ، تقدّم الملكُ « سينيا بمبيسارا » من « الواحد المبارك » وقال : إنك أنت ضيفي المعظّم ، يا ربّ العالم ، هوذا الطعام قد حضر .

فأخذ « الواحدُ المباركُ » رداءه ولبسه وتناول قصعة الفقراء بيده ومشى مع الملك وجمّ غفير من الزهّاد نحو مدينة « راجاغْريها » .

ورأى ملك « ديفاس » شاباً بَرَهميّاً معجباً بنفسه يسير وهو ينشد :

إنّ مَن يُعلّم مراقبة الذات ، مع الذين تعلّموا أن يُراقبوا ذواتهم .

إنّ الفادي مع الذين قد افتداهم « الواحدُ المباركُ » ونالوا السلام، يدخلون اليوم مدينة « راجاغْريها » .

إيه « بوذا » ربنا ، ليتمجّد اسمك ، وطوبى للذين يُقبلون إليك وينالون السلام الذي لا ينضب معينه .

ولمّا انهى « الواحد المبارك » طعامه وغسل قصعتَه ويديه ، اتكأ والى جانبه الملك .

فكّر الملك في نفسه قائلاً : أين أجد مكاناً وسطاً يليق « بالواحد المبارك » غير بعيد عن المدينة ولا قريب منها ، يكون في متناول الجموع الذين يرغبون في مشاهدة الكامل فيغدون اليه صباحاً ويبرحونه مساء ؟

اني ارغب في ان أجد مكاناً بين الناس وبعيداً عن الناس ، ليطمئن فيه « الواحد المبارك » .

ولستُ ارى أصلح من بستان « البامبو » في غابة « فانوفانا » ففيه المطلوب المرغوب فيه ، وسأقدّمه هدية الى رئيس الزهّاد البوذيين .

وللحال التفت الى « الواحد المبارك » وقال : أيرضى «الواحد المبارك» عن هديتي ؟

فأظهر « الواحد المبارك » ارتياحه للهدية واقتبلها بصمت ثم نهض ومضى مخلّفاً ملك « ماغادها » الذي اقتبل الدين بفرح وسرور .

شاريبوترا وموغاليايانا

في ذلك الزمـان ، كان « شاريبوترا » و« موغاليايْنا » براهميَّـين يرئسان شعب « سانجايا » ويدرّبانه في الحياة الدينية ، ووعد الواحد منهما الآخر ، اذا اقتبل احدٌ منهما « النيرفانا » يخبر رفيقه .

وحدث ذات يوم أن شاهـد « شاريبوترا » «أَشفاجيت » المحـترم يستعطي باتضاع ونظرُهُ منخفضٌ الى الأرض ، تظهر عليه سيما القداسة والوقار ، فقال في نفسه : لا شـكّ أنّ هـذا القديس قد سلك سبيل الحقّ . فعليَّ أن أسأله عن اسمه ، وعن العقيدة التي يبشّـر بها .

فتقدَّم اليـه « شاريبوترا » وسأله عن اسمه وعن بشارته ، فأجابـه « أشفاجيت » : اني من تبّاع « بوذا» الواحد المبارك » وما أنا غير مبتدىء ، فلا أقدر أن افضي اليك إلاّ بفحوى العقيدة .

– تفضّل وقل لي أيها الراهبُ الوقور ما تريد .

فأسمعه « اشفاجيت » هذا المقطع :

إنّ « بوذا » الذي يعرفُ العِلـَّة قد أخبرَ
أَنّ كلّ الأشياء تنبثق عن سببٍ ما ،
فمن وجدَ راحتَه ،
يُدعى الحكيمَ الباسلَ .

وللحالِ ذهب « شاريبوترا » الى « موغاليايْنا » واخـبره بالخبر ، فهتفا معاً : علينا ان نقصد « الواحـدَ المبارك » فهو معلّـمنا . وقاما لوقتهما مع اتباعهما يقصدان « تتْغاتا بوذا » اي الكامل ليتحدا فيه .

ولـمَّا اقتبلوا جميعـــاً الدعوة ، قال « الواحـدُ المقدَّسُ » إنَّ « شاريبوترا » يشبه وليّ العهدِ او الولد البكر الذي يحلّ محلّ الملك ويسود العالم ، ورؤساء أتباعه يديرون حركة الشريعةِ المبشَّر بها .

•

غيظ الشعب

قلقت الجموع وتذمَّرت عندما رأت أنَّ كثيرين من الشبَّان المميزين في مملكة « ماغادها » يعتنقون الحياة الدينيّة بادارة « الواحد المبارك » فقالوا : إنَّ « غوتاما شاكياموني » أَغرى الآباء، فتركوا نساءهم وبسبب هذا انقرضت العيلاتُ .

وكان الشعبُ كلَّما رأى الزهَّادَ يشتمهُم قائلًا لهم: إنَّ « شاكياموني» العظيم جاء الى « راجاغريها » ليفسد عقولَ الرجال الذين اقتادهم اليه .

فاخبرَ الزهّادُ « الواحدَ المباركَ » بالامر ، فقال لهم : إنَّ هذا التذمر أيُّها الزهاد ، لن يدومَ طويلًا ، انه لا يدوم اكثر من سبعة ايّام ، فاذا شتمكم الشعب واهانكم ، فاجيبوه بهذه الكلمات :

إنَّ « تِتْغاتا » يقود الرجال ببشارة الحقيقة .
فمَنْ يتذمَّرُ على الحكمة ؟
مَنْ يلومُ الفضيلة ؟

إنّ مراقبة الذات ، وطريق البرّ ، والقلب الطاهر ، لا ترفض المعلّم السيّد .

اناثا بنديكا او المحسن

في ذلك الزمان، كان رجل مُحسن موفور الغنى، يزور « راجاغريها »، قد فُطِر على المحبة وعمل الاحسان ، فاستحقّ لقب حامي الأيتام وصديق الفقراء . اتصل به ان « بوذا » ظهر في العالم، فوقف عند غابة « البمبو » بالقرب من المدينة، وبقي الى الهزيع الأوّل من الليل يرقب مرور « الواحد المبارك » .

مرّ « المبارك » وعرف نقاوة قلب المحسن فغبّطه ، وقعد وايّاه ارضاً ، وكان « اناثا بنديكا » يصغي الى حلاوة الحقيقة الجارية على لسان « المبارك بوذا » القائل :

إنّ العالم غير مطمئنّ ، يقاسي ألماً شديداً ، وهو ما فتىء يتطلب راحة القلب والضمير ، ليبقى في سلام الخلود ، ولكنّ الذات المركّبة من الاطماع العالميّة تعصف به فتميله عن قصده .

فمَن كوّن حياتنا هذه ؟

أهو « ايشفارا » الخالق ؟

فاذا كان « ايشفارا » هو صانع الاشياء ، فلمَ لا تخضع جميعها بصمتٍ لقوّة الصانع صاغرة ، كما يخضع الاناء الخزفيّ ليدِ الخزّاف ؟

واذا كان الامر كذلك ، فكيف تُمارَس الفضيلة ؟

واذا كان العالم من صنع « ايشفارا » وجب ألاّ يكون فيه حزن وبلاء وخطيئة. لأن الجيِّدَ والسيء من صنعه . واذا كان الامر على غير هذا الوجهِ ، وجب ان يكون سبب آخر بجانب هذا الخالق . ووجب ألاّ تكونَ « الذات » .

أيُّها المفكرون «بايشفارا» إنّ «إيشفارا» قد انهزم وتبدّد .

ويقول آخرون : ان القدير خلقنا ، على ان القدير لا يمكن ان يكون السبب ، لأنّ لكلٍّ من الأشياء التي تحيط بنا سبباً ، فالنبتة من الحبّة ، فكيف يكون القدير سبباً لهذه الأشياء كلها ؟

فاذا كانت هذه الأشياء وهي متكثِّرة منتشرة وجب ألاّ يكون هو صانعها ، وهي متكثّرة وهو واحد .

واذا قيل : ان الذات هي التي صنعتها ، فاذا كانت هي الصانعة ، فلِمَ لم تصنع الأشياء كلها سارّة حسنة ؟

ألا ، إنّ الحزن والفرح هما السبب الحقيقيّ ، ولكن كيف اوجدتهما « الذات » ؟

وإذا أثبتّ ألاّ وجود لصانع ، فوجودنا قد وُجِد من حيث هو ، ولا سبب له ، فما الغاية من هذا الوجود ؟ وما الغاية من الحياة وانقضائها ؟

ولو سلّمنا جَدلاً ، ان كل الأشياء الموجودة لا سبب لها ، وكيفما كان الأمر ، سواء كان الصانع « ايشفارا » او « القدير » او « الذات » او « العلة » فانّ اعمالنا هي التي تنتج الخير والشر .

إن العالم كله مقيّد بقانون السببيّة ، والسبب الفاعل هو غير عقلي ، لأن الذهب المصنوع منه الاناء يبقى ذهباً .

فدعنا نسلـّم بهرطقة الخضوع « لايشفارا » والصلاة له . ولكن اي نفع نجني ؟ دعنا ألا نفقد أنفسنا باطلًا بنبوءات .

دعنا نسلـّم بالذات وبالأنانية ، وبكلّ الأشياء المعيّنة بالسببيّة .

دعنا نمارس الحسنَ الذي يصدر عن اعمالنا .

فأجابه « اناثا بنديريكا » : لا شك انك انت « بوذا المبارك والمقدس » فأرغب في ان افتح لك قلبي وعقلي ، مصغياً الى ما تنصحني به لأعمله .

إن حياتي مكتنَفة بالاعمال، فانا ذو ثروة طائلة، مُثقل بالمسؤوليات، أيجب ان افرح باعمالي واروّض نفسي على اتقانها ؟

وإن اناساً كثيرين متعلقون بي، ونجاحهم متوقف عليّ، وقد عرفت الآن لماذا يطوّبك تلامذتك طالبين بركة النسك معلنين قلق العالم واضطرابه .

فهل اتخلى عن مقتنياتي كلها واذهب مفتـّشاً عن طريق البر، فأكون قدوة للعالم اجمع ، اعلـّمهم كيف يحصلون على « النيرفانا » لأن قلبي يميل الى عمل الصلاح ، واكون مباركاً بين اخوتي .

دعني استوضحك ، أأتصدّق بثروتي ومنزلي وتجارتي واعمالي وأصير مثلك بلا مأوى ، فأرث بركة الحياة الدينيّة ؟

فأجابه « بوذا » : ان بركة الحياة الدينية ينالها كل الذين يسلكون الممرّات الثمانية . فالذين تثقلهم الثروة، عليهم ان يتخلوا عنها، فلا تتعلق قلوبهم بها . والذين لا يلتصقون بالثروة والمقتنيات يعملون حسناً ،ويكونون

بركة لاخوانهم .

الحقّ اقول لكم: إنّ الذين يسلكون بالاستقامة في جميع اعمالهم ، لا تستعبدهم الحياة والثروة والقوّة ، والذين يلتصقون بالحياة والثروة والقوّة ، يُستعبَدون .

ان الزاهد الذي يهجر العالم ويسلك سبيل البطالة والكسل لا يربح شيئاً ، لان حياة البر تتطلب السعي والعمل .

ان « تتغاتا ودهارما » لا يقتبلان الذين لا مأوى لهم، يقاسون البرد والقلّة ، ولكن يقتبلان الذين يعملون منهم . ويقتبلان كل من يحرّر نفسه من خداع الذات، ويطهّر قلبه ، ويتغلّب على شهواته ، ويسلك طريق البر عاملًا .

فكلّ من سلك في العالم سواء كان صَناعَ يدٍ او تاجراً او موظفاً او ناسكاً ، عليه ان يضع الواجب نصب عينيه ويسلك بعدل ونشاط، وليكن مَثلُهم مَثلَ زهرة « اللوتس » التي تنمو في الماء ، فلا تتأثر بتلاتُها بالماء ، فالذين يجاهدون في الحياة ويتغلّبون على ذواتهم ، فلا يبغضون ولا يحسدون بل يسلكون حياة الحقيقة، فالفرح والسلام والبركة تستقرُّ في قلوبهم .

مهرجان المحبة

فرح « اناثا بنديكا » بكلمات « الواحد المبارك » فقال « للمبارك » : إني اقطن في « شارافاستي » عاصمة « كوزالا » وهي بلاد غنيّة مخصاب ، يكتنفها السلام والطمأنينة ، يحكمها الملك « برازيناجيت » العادل وقد تناولت شهرته القاصي والداني .

فسأقصد اليه واسأله ان يمنحني مكاناً أُشيّد فيه « فيهارا » اي ديراً، يكون مقرّاً للاخوة المعتقدين بالحقيقة الدينية ، واني لأرجو ان يرضى « المبارك » عن عملي ويقتبله هديةً .

ورأى « بوذا » ما لحامي الايتام من طيبة قلب ومحبّة فاقتبل منه الهديّة وقال : ان رجل الاحسان يحبه اخوانه ويغبّطونه، فقلبه في حال الموت يكون مملوءاً فرحاً وحبوراً ، فلا يتألم من وجوده السابق بل يرتاح لاقتبال المكافأة عن أعماله الصالحة .

وليس من الصعب ان نفهم أنّ من يطعم الطعام ينال قوّة ، ومن يمنح المعوزين أثواباً ينال جمالاً وبهاءً ، ومن يظفر بالطهارة والحقيقة يكتنز لنفسه كنزاً عظيماً .

هوذا الوقت اللائق لعمل الخير ، وفاعله ينال نصراً وظفراً كمحارب شجاع وحكيمٍ عاقل .

ان المحبّة والرأفة تمتدحان، فلا تبغضان ولا تحسدان ولا تغضبان.

إنَّ رجل المحبة يجد طريق الخلاص ، فمثله مثل رجل زرع فسيلة فنمت وتكاملت اغصانها ووَرِفَ ظلّها ، فأزهرت وأثمرت ثماراً يانعة شهيّة لذّة للآكلين ، لأن ثمر المحبة فرح للذين يساعدون المعوزين ، فانّهم ينالون ثمار عظمة « النيرفانا » .

ولا ينالُ الخلود إلاّ بالاعمال الصالحة وثمارها الرأفة والمحبّة .

بعد ذلك دعا « اناثا بنديكا » « شارينورا » ليصحبه الى « كوزالا » ويساعده على انتخاب مكانٍ لائق ليشيد فيه ديراً « فيهارا » .

•

أبو بوذا

في ذلك الزمان ، كان « بوذا » يسكن « راجاغريها » فارسل اليه ابوه « شودهادانا » يقول : ارغب في ان ارى ولدي قبل موتي ، وكثيرون هم الذين نالوا بركة دعوته وامّا ابوه واقاربه فلم ينالوا شيئاً .

فتقدّم الرسول من « تتغاتا ، بوذا » وقال : يا « تتغاتا » يا شرف العالم اجمع ، إنّ اباك ينتظر بفارغ صبرٍ ان يراك كسوسنّةٍ مرتفعة في عين الشمس .

ولمّا ان سمع « المبارك » دعوة ابيه ، مشى نحو « كابيلافاستو » وقد انتشر الخبر في المدينة التي استقبلت قديماً ولادة « بوذا » ولفظ الجمع فرحين قائلين : ان الامير « سيدهارتا » الذي هجر منزله ، وساح في العالم بدون مأوى ، يطلب الاستنارة ، قد عاد بعد ان ظفر بما أراد .

وخرج « شودهودانا » تَحِفُّ به حاشيته واقاربه ووزراؤه وجمع غفير يستقبلون الامير ، وما إنْ شاهدَ الملكُ ولده « سيدهارتا » من بعيدٍ تحيط وجهَه هالة من القداسة والوقار حتى بهره جماله وأخذه فرح شديد ، وانعقد لسانه غبطةً فما قدر ان يفوه بكلمة .

هو ولده حقّاً ، فملامحه تحكي ملامح « شارمانا » وداعة وقداسة وليس من فرقٍ بينهما ، والزاهد المقدّس هو ولده « سيدهارتا » وهو

لا شك « بوذا » المبارك ، المقدس ، سيد الحقيقة ومعلـّم العالم .

وترجّل الملكُ من مركبته مرحباً بولده احتراماً للعقيدة التي جاء يعلنها العالـَم، وقال له : منذ سبع سنواتٍ لم اركَ ، ولطالما تقتُ لمثل هذا اللقاء .

وجلس « بوذا » قبالة ابيه الذي كان ينظر اليه بفرحٍ وشوق ، وودّ ان يدعوَه باسمه « سيدهارتا » ولكنّه لم يجرؤ، فعرف « بوذا » ما يدور في خلدِ ابيه ، من انه يرغب في ان يعود الى أحضانه ، فآنسه وعزّاه وطيّبَ خاطره ، وكانا يجلسان وجهاً لوجهٍ فسُرّيَ عن الملكِ حزنه ، وأخذته روعة الفخر بولده ، على انّ فخرَه ما لبث ان اضمحلّ فجأة اذ خطر على باله ان ليس لملكه وارث من بعده .

فقال : لكم وددت يا ولدي ان اقدّم اليك مملكتي ، ولكنّها ما هي غير غبار لا قيمة لها في عينيك .

فاجابه « بوذا » : اني اعرف قلب الملك واعرف محبّته لولده وقد سبّب له حزناً، ولكن ، ليدع الملك رباط المحبّة الذي يقيده بولده . وليقبل بدل ذلك، ما هو اعظم من « سيدهارتا » ، ليقبل « بوذا » معلّم الحقيقة ، معلّم البرارة ، فينال سلام « النيرفانا » في قلبه . فاضطرب « شودهودانا » من الفرح عند سماعه هذه الكلمات الناعمة، الصادرة من فم ولده « بوذا » ، ومسح دموع الفرح بيده وبحالٍ عجيبة ذهبت كلّ احزانه التي كانت تثقله وتحوّلت الى ثمرٍ من ثمار الخلاص . وقال : لقد كنتَ على حقّ يا ولدي يوم طرحت عنك العالم وما فيه من عظمة

ومسرّات ومغريات ورحتَ مُخلصاً ، تطلب الدينَ الحقّ .

اما وقد وضح امامك الطريق وصرتَ قادراً على ان تعلن شريعة الخلود للعالم الذي يتوق الى خلاصه ، فلك الطوبى والمجد .

ورجع الملك الى قصره مخلّفاً ولده « بوذا » في الغابة المقابلة للمدينة .

•

ياشودهارا زوجته قبل ان يصير بوذا

وفي اليوم التالي ، اخذ « بوذا » قصعته الخزفية ، وذهب يستعطي طعامه . وشاع في مـلء المدينة أن الامير « سيدهـارتا » يتجوّل في انحاء المدينة من بيتٍ الى آخر يستجدي احساناً ، بعد ان كان يسير في مركبته محفوفاً باعوانه ، واصبح يرتدي ثوباً احمرَ باهتاً ، قصعته الخزفية في يده ، بعد ان كان يلبس الدمقس والحرير ويزدان بالجواهر .

ولمّا اتّصل الخبر بالملك أسرع اليه وقال له : « لِمَ تحتقرني هكذا يا ولدي ؟ ألا تعلم اني قادر على اطعامك واطعام تلامذتك ؟ »

فاجابه « بوذا » : هذه عادتنا في الحياة .

فقال له الملك : كيف يكون هذا وانت من اصلٍ ملوكيّ وما حُكِي عن احدٍ من سلالتك أنّه استجدى طعامه ؟

اجابه « بوذا » قائلًا : إنك تقدر ان تعلن أنك انت وعائلتك من سلالة ملوكية ، امّا انا واتباعي فإننا من « بوذا » القديم ، ولا نربح عيشنا إلاّ استجداءً .

فلم يجبه الملك ، ولكنّ « الواحد المبارك » تابع كلامه قائلًا : جرت العادة ايُّها الملك ، ان الانسان عندما يظفر بكنزه الخفيّ عليه ان يقدّم لأبيه اثمن ما فيه من جوهر ، فدعني افتح امامك هذا الكنز الذي هو

« دهارما » فاقبل مني هذه الجوهرة. وشرع « المبارك » ينشد هذا المقطع:

استيقظ من احلامك ولا تبطىء ،
افتح عقلك للحقيقة ،
اسلك سبيل البرارة ،
فتظفر بالبركة السرمدية .

ودعا الملكُ الاميرَ الى القصر ، واستدعى الرؤساء والاسرة المالكة ليَستقبلوه ويُرحبوا بـه ، غـير أنَّ « ياشودهارا » ام « راهولا » لم تظهر البتّة .

فارسل الملك يستدعي « ياشودهارا » فاجبته : اذا كنتُ اهلاً للكرامة، فليأتِ « سيدهارتا » وينظرني .

وبعـد ان استقبل « الواحد المبارك » أقاربه واصحابه سأل عـن « ياشودهارا » فأخبروه بانّها أبتْ ان تحضر وتستقبله . وللحال نهض واتجه الى غرفتها ، وقال لتلميذَيهِ ان يصطحباه وهما « شاريبوترا » و « موغاليابانا » وقال : أنا متحرّر وامّا الاميرة فلم تتحرّر بعد وهي ما زالت في احزانها العالميّة فلنصرف عنها الكرْبَ فيتطهر قلبها .

ولكنّ الاميرة لا تقـدر ان تلمس « تتغاتا » المقدّس وهـو لا يأذن لها . وكانت « ياشودهارا » جالسة في غرفتها ترتدي ثوباً خَلَقاً ، محلوقاً شَعرُ رأسهـا ، فلما دخل الامير « سيدهارتا » عليهـا شعرت بفرحٍ عظيم كاد يخرجها من وجودها. ونسيت ان الرجل الذي احبَّته، قد اصبح « بوذا » سيد العالم ومعلّم الحقيقة، فقبضت عليه مـن رجليه

واجهشت بالبكاء ساجدةً .

ولمَّا شاهدت « شودهودانا » الملـك أخذها حياء شديد ، فنهضتْ وجلست باحترامٍ على بعد قليل .

فاعتذر الملك عـن الاميرة وقال : إنها لم تملك نفسها وقد شاهدت رجلَـها بعد غياب سبع سنوات . ولمَّا عرفت أنَّ « سيدهارتا » قـد حلق شعر رأسه ، حلقت شعر رأسها هي ايضاً، ولما اتصل بها أنه تخلَّـى عن حليته وعطوره ودمقسه ، تخلَّـت هي كذلك ، واخذت نفسها بحياة التقشّـف كزوجها . فما كانت تأكل إلاّ الكفاف بقصعةٍ خزفية ، وقد اعلنت أنها تلقت كشفاً علوياً مثله .

ورغب اليها غير واحدٍ من الامراء في ان تكون زوجاً له فرفضت قائلة إنها ما زالت في عصمة يمين «سودهارتا» ولهذا يجب ان نغتفر لها عملها .

وفتـح «المبارك » فاه وقال يخاطب « ياشودهارا » : لقـد نلتِ حظوة بتفكيرك بوجودك السابـق ، وها انت في حياتك الحاضرة قد اصبحت من اكابر مساعديّ . وان طهارتك ولطفك واخلاصك تؤهلك لأن تكوني « بوديساتفا » وستنـالين الاستنارة ، واعلمي ان العناية المقدَّسة قد ارتضت ان تكوني لي زوجة ، زوجة « بوذا » ، وها انتِ اصبحتِ « كارما » وهي اكبر نعمة وحظوة قد نلتِهما .

إنَّ احزانك لا ينطق بهـا ، وان مجـدَ ضميرك يَحِـفُّ بروحك الطاهر وقد فاح عبير طهرك وضوع قداستك فتبدّدت احزانك وحلّـت في قلبك الافراح السماويّة .

راهولا ابن بوذا

انّ جموعاً كثيرين في « كابيلافاستو » قد آمنوا « بتنغاتا » واعتنقوا عقيدته ، وفي جملتهم « آنندا » اخو « سيدهارتا » من ابيه الملك ، وابن « براجاباتي » و « آنارودها » الفيلسوف .

وكان قلب « آنندا » متحداً « بالواحد المبارك » وهو اعظم التلامذة المؤمنين به قلباً وقالباً ، فكان ملازماً له اي لسيّد الحقيقة « المبارك » ولم يبرحه البتة حتى حين دخول « تتغاتا بوذا » في « النيرفانا » .

وبعد مرور سبعة ايّام على دخول « المبارك » مدينة « كابيلافاستو » قالت « شودهارتا » لابنها « راهولا » وكان عمره سبع سنوات تلوح على محيّاه سيما الإمارة والعظمة : ان الرجل المقدّس الذي تتراءى على قسمات وجهه هالة القداسة والبرارة مثل « براهما العظيم » هو ابوك يا بنيّ ، وفي قبضة يمينه ثروة طائلة لم يُرَ مثلُها لا من قبلُ ولا من بعدُ ، فاذهب اليه وقل له ان يجعل تلك الثروة تحت مطلق تصرّفك، لانك انت هو الوارث الشرعيّ لأبيك .

فاجابها « راهولا » : لا اعلم أنّ لي اباً غير الملك ، فهو ابي وليس احد غيره .

فأخذته الأميرة من يده ، وأطلّت به من الشبّاك وأرته « بوذا » وكان يأكل طعامه ، وقالت له : هذا هو أبوك .

وللحال ذهب « راهولا » الى « بوذا » وتطلّع اليه بدون خوفٍ أو

وجل، وبوداعةٍ وحنان، ناداه قائلًا: يا أبي. واقترب منه وقال: حتى إن ظلَّك هو مكان بركة.

ولمَّا فرغ «تتغاتا بوذا» من طعامه بارك وترك القصر، وتبعه «راهولا» وقال له: يا أبي دعني أرثْ ما لك من حطام الدنيا، فلا أحد يقدر أن يمنع عني ذلك حتى ولا «الواحد المبارك» نفسه.

فنظر «الواحد المبارك» الى المتقدّم بين تلامذته وهو «شاريبوترا» وقال: ان ولدي يسألني الميراث وأنا لا أقدر ان اعطيه كنزاً فانياً يجلب له التعاسة والشقاء، ولكن أقدر أنْ امنحَه إرثَ الحياة المقدّسة التي لا ينفد كنزها البتّة. ونظر الى ولده «راهولا» بحنان وقال: الذهب والفضة والمجوهرات، ليست في ملك يميني، ولكن إذا أردت أن تنال الكنز الروحيّ وإن كان حَمْلُهُ ثقيلًا، اقدر ان أمنحكه بالحقائق الأربع التي تعلّمك سُبل البرارة في سلوكك الممرّات الثمانية النبيلة. فهل لك ان تكون في عداد الاخوة الذين انكروا ذواتهم في سبيل الحصول على البركة العليا؟

فأجابه «راهولا» برباطة جأش: نعم أُريد.

ولمّا سمع الملك بانّ «راهولا» قد اصبح زاهداً يجاور الاخوة، حَزِن حزناً شديداً، لأنه خسر «سيدهارتا» و«آنندا» وحفيده «ديفاداتا» وكذلك حفيده «راهولا»، فذهب حالاً الى ولده «المبارك» وخاطبه بالأمر فوعده «المبارك» انه منذ الآن لا يقبل أحداً في عداد الاخوة إلاّ ان يستشير والديه او أولياءه.

جيتافانا او هيكل بوذا

رجع « اناثا بنديكا » صديق المعوزين وحامي الايتام الى بيته فوجد ارضه قد زرعها « جاتا » فنمت اشجارها وورفت ظلالها وامتلأت زهراً فقال في نفسه : انه المكان الذي يصلح لان يكون « ديراً اي فيهارا » لاخوة « الواحد المبارك » . فذهب الى الامير وسأله ان يبيعه ما يخصّه فرفض الامير وقال إن سعره غالٍ جداً ، ولكن بعد الحاحٍ قبل بشرط ان يغطيه بالذهب ثمناً .

ولما سمع هذا « اناثا بنديكا » فرح جداً وأخذ ينثر الذهبَ ، فلما رأى « جاتا » ذلك قال : احفظْ ذهبك، فاني لن ابيعه ، ولكنَّ « اناثا بنديكا » ما زال مصراً على عمله حتى اجبر الامير على بيعه .

ولغط الناس بذلك فاتصل الخبر بالامير وعرف ان « اناثا بنديكا » ليس رجل ثراءٍ فقط بل هو رجل عدل واستقامة ، قد اخلص للدعوة التي اعتنقها . وسمع الامير باسم « بوذا » فأحبَّ من كلّ قلبه ان يشركه بما انتدب نفسه الى اقراره، فتخلى عن نصف الثمن وقال : ان الارض لك يا « اناثا بنديكا » واما الاشجار فلي ، فانا اقدم الاشجار هدية « لبوذا » .

واتفق الاثنان وقدّما المكان وقفاً على « شاريبوترا » المقدس بوذا

وامرا فحُفر الاساس وبُنيت قاعة عظيمة تليق « ببوذا » فنمّقوها بكل انواع الزينة والنقوش، واستُبدل اسم « فيهارا » باسم « جيتافانا » اي الدير المقدس ، ودعا صديقُ الايتام « اناثا بنديكا » الربَّ « بوذا » ان يأتي فيشرّف « شرافاستي » بحضوره ويتقبّل الهدية، فترك « الواحد المبارك » « كابيلافاستو » وجاء الى « شرافاستي » ، ولما دخل « المبارك » الدير المقدَّس « جيتافانا » نثر « اناثا بنديكا » ازهاراً واحرق بخوراً، واعلاناً للهدية اسال ماءً من إناءٍ ذهبيّ قائلًا : ان هذا « جيتافانا ، فيهارا » الذي اقفه للاخوة ستتدفق منه فضيلتهم الى العالم كله تدفق الماء هذا .

اقتبل المبارك الهدية وقال : ليتوارَ عن هـذا المكان كلّ شرٍّ ، ولتكن هذه التقدمة المقدَّسة نواةً لنشر ملكوت البرّ ولتحلّ البركة على الناس اجمع وعلى الذين قدّموا هذا المكان .

وسمع الملك « براسيناجي » بمجيء الربّ « بوذا » فقصد هو وحاشيته الى « جيتافانا، فيهارا » ليرحّب « بالمبارك » وينال بركة من يده .

ولمَّا وصل الى « المبارك » قال : بارك حقارتي ، وبدّدِ الظلمة عن مملكتي فقد نالت سعادة « بالواحد المبارك » فندَّتِ الشرور عنها وانزاح كل خطر لأنَّ قدَمَي ربّ العـالم « دهارما ، ماراجا » اي بوذا ملك الحقيقة قد وطِئتاها .

فدعني اسرّي نفسي بسماع تعاليمك المقدَّسة وأنا أشهدُ تقاسيم وجهك المترقرق فيها ماء قداستك .

فأجابه « المبارك » : اعلم أنَّ ربح العالم باطل وملكه زائل ، وأمَّا

اكتساب الدين وقبول الحقيقة فهو كسب دائم لا يضمحلّ . وليعلم الملك أنّ العالم مضطرب تنتابه آلام وأحزان متواترة ، ولا ينال المرء سلاماً إلاّ باطمئنان قلبه والايمان الصادق .

ورأى « المبارك » آية الاتضاع والشفقة والشوق الى قبول الحقيقة تتراءى على محيّا الملك فقال :

ان الذين وُلِدوا بشرور « كارما » عندما يشاهدون رجل الحقّ يسجدون له باحترام .

وما اعظم الملكَ الذي يتخلّى عن أُبّهة المُلك ويقتبل « بوذا » ، وهاءنذا آخذٌ بنشر شريعة الحقّ فليصغ اليها كلّ « مهراجا » وليزِنْ كلماتي بميزان عقله متمسّكاً بما لم يَسمع أَحسن منه ولن يسمع .

إنّ اعمالنا الحسنة والسيئة تتبعنا كظلّنا . وإنّ احوج ما نحتاج اليه هو القلب المتضع المُحِبّ .

ولينظر كلّ ملكٍ الى شعبه نظرَه الى ولده الوحيد ، فلا يظلم ولا يأمر بحمل احمالٍ ثقيلة ، وليحافظ على رعيّته محافظته على كيانه .

ليدعْ كلّ راغبٍ في سلوك طريق البرّ والاستقامة، وشأنه . وعلينا ألاّ نجعل انفسنا معثرة للآخرين بل لنخفّف عنهم الآلام والاحزان ما استطعنا .

وعلينا ألاّ تبهرنا الكلمات المعسولة الرنّانة التي يصوغها الشرير خداعاً .

اننا اذا قسّينا قلوبنا نخسر ولا نربح شيئاً ، ولكن اذا قبلنا شريعة « بوذا » البارّة نربح كثيراً .

لقد رانت على اعيننا غشاوة واخذتنا غيبوبة عن الماضي ، بصدمة الولادة ، وكبر السنّ والامراض ، وصعقة الموت ، ولكن بممارستنا شريعة الحقيقة تتراءى لنا احلامُنا ونتخلّص من الاحزان المتراكمة .

فماذا ينفع الانسان اذا تَصرَّفَ تصرُّفَ إثمٍ ، فالحكيمُ الحكيم هو الذي يخبتُ شهوات الجسد ويميتها ، لانّ الشهوة تحول حاجزاً بين الوجودين الماضي والحاضر .

فالشجرة التي تُحرَق اغصانُها تهجرها العصافير فلا تأوي اليها . إنّ الحقيقة لا تجاور شهوة الحياة البتّة .

فالرجل الذي يجهل هذا ويظنُّ أنه ممدوح كحكيم فهو لا شكّ جاهل .

ومن عرف حكمة الحقيقة ابتعد عن متطلبات الحياة . وعلى كلّ شخصٍ ان يعرف : ان الحقيقة ليست للزهّادِ المتنسّكين، بل هي وقف على كل شخص سواء في ذلك الكهنة والعامّة والخاصّة ، ولا فرق بين راهبٍ قدَّم نذوره وبين رجل العالم العائش مع عيلته .

ان بين الرهبان مَنْ تسقطه التجارب فيخسر ، وبين الناس مَنْ ترفعه فضائله فيربح .

إن قيود الشهوة خطر ، فالذي ينغمس فيها لا يرى له مخرجاً منها. والظفر بالحكمة زورق النجاة ، والدين يدعوك لتنقذ نفسك من الشرير « مارا » .

فاذا كانت اعمال الشرّ لا تنقذنا ، فدعنا نمارس اعمال الصلاح .

دعنا نراقب افكارنا التي لا يدخلها شرّ ، فكما نزرع نحصد. يوجد

مشعل لنسلك به في الظلمة ، ويوجد طريق ينقذنا من الظلمة المُدْلَهِمّة ويصرفنا الى النور الساطع ، فالرجل الحكيم هو الذي يستعين بمصباحه الذي لا ينفد زيتُه ، فيسير الى الامام ليتمسّك بالحقيقة .

ان الحقيقة تظهرها الفضيلة بالمران العقليّ، فنعلم ان الدخول في اعماق الامور العالمية الزائفة، بطلان للحياة . فلنرفع عقولنا، ولنطلب الايمان الحقّ ، فلا نخرق طريق الاستقامة .

لنفرح ليس بالاعمال العالمية ، بل بعبادتنا العقليّة التي تخلّد الذكر الحسن في جميع ادوار الحياة، فنحظى بمحبّة «تتفاتا» اي بوذا المقدس.

وكان الملك يسمع بكل احترام مصغياً الى كلمات «بوذا» ويحرص على حفظها في قلبه .

توحيد ديانة بوذا

جيفاكا الطبيب

بعد ان استكملت الانارة «للواحد المبارك» بقهر النفس ، واعتنق تابعوه العقيدة لنيل الخلاص ، راحوا يحتقرون أجسادهم تقرّباً للخلاص فاعتزلوا الأطعمة الشهيّة والمأوى المريح والألبسة الناعمة ، وانصرفوا يعيشون عيشة حيوان الغاب .

فكان بعضهم يمشي عارياً ، والبعض الآخر يتستر بالخِرق البالية الملتقطة من بقايا اكفان الموتى او المزابل . وكان «الواحد المبارك» قد اتعبه العالم ومتطلباته وعرف ان سلوك الزهّاد العراة خطأ واعتيادهم العري غير لائق ، مع انه هو كان يلبس البالي من الأثواب .

ولمّا تمّت الاستنارة ونالها المعتقدون بعد أن انكروا أجسادهم وأماتوا ذواتهم ، واستمرّوا مع «المبارك» على لِبس الخِرَق ، حدث أن اصاب الزهّاد امراض مختلفة ، فأمرهم «الواحد المبارك» ان يستشيروا الأطباء ويستعملوا العلاج والمراهم .

وكان احد الاخوة يتألم من وجع رجله فأجاز «المبارك» لبس

الأحذية. وأصاب «المبارك» مرض فذهب «آنَنْدا» الى «جيفاكا» طبيب الملك «بمبيسارا».

وكان «جيفاكا» يؤمن مصدقاً «بالواحد المقدّس» فبذل ما في وسعه لأن يبرىء «المبارك» بالأدوية والاستحمام.

وفي ذلك الزمان كان «براديونا» ملك «يوجابيني» يتألم جداً من مرض اليرقان، فاستشار «جيفاكا» طبيب «بمبيسارا راجا» فشفاه، ولما تماثل الى الصحة ارسل الى «جيفاكا» رداءً جميلاً جداً، فقال «جيفاكا» في نفسه إنّ الثوب مصنوع من أجود الصوف، ولا يليق لبسه إلاّ «بالواحد المبارك» الكامل المقدّس «بوذا» او «ماغادها» ملك «سينيا بمبيسارا»

فأخذ «جيفاكا» الرداء وقصد توّاً الى مكان «الواحد المبارك» وتقدّم منه وحيّاه باحترام وقعد بالقرب منه وقال: اتيت اسأل «الواحد المبارك» نعمة. فأجابه «بوذا»: ان «تتغاتا» يا «جيفاكا» لا يمنح نعمة قبل ان يعلم السبب الذي من اجله تُمنَح.

فقال «جيفاكا»: ان طلبي هو ان تقبل مني هذا الثوب. فأجابه «الواحد المبارك»: ان ربّ هذا العالم «المبارك» يلبس رداءً منسوجاً من الخِرَق الملتقطة من المزابل او من بقايا اكفان الموتى، وهو ما يجب ان يرتديه الاخوة. فقال «جيفاكا»: بما ان هذا الثوب قد ارسله الملك «براداياتا» المميّز والأول بين الشرفاء الذين يمكن ان تظفر بهم، فهل لربّ هذا العالم «الواحد المبارك» ان يقبل مني هذا الرداء،

ويسمح للزهّاد ان يرتدوا مثله ? فرضي « المبارك » الهدية والتفت الى الزهـاد مباركاً ، وقال : ان كلّ الذين يرتضون بقايا الخرق لباساً حسناً يفعلون تقشّفاً ، ولكن اقول لكم مثبتاً : ان « الواحد المبارك » قد سمح للزهّاد ان يلبسوا غير الخِرق ، فمن أُجريَ عليه ثوب فليقبله ويلبسه مسروراً .

وفي يومٍ واحـدٍ تدفقت ألوف الأثواب على مدينـة « راجاغريها » وكلها برسم الزهّاد .

•

والدا بوذا يقتبلان النيرفانا

ولمّا طعن « شودودانا » في السنّ ، وانحطت قواه وشعر بدنوّ الاجل ، بعث يطلب ولده ليراه قبل موته .

فجاء « المبارك » وجلس بقرب سرير المريض « شودودانا » الذي كان يضطرم قلبه شوقاً للاستنارة التامّة فنالها مائتاً بين يدي ولده « المبارك » مقتبلاً « النيرفانا » .

فتمَّ بذلك ما قيل : ان « المبارك » ارضاءً لخاطر امّه « مايادافي » بالبشارة ، صعد الى السماء وجاور « ديفا » متمّماً الرسالة المقدَّسة ، ثمَّ رجع الى الارض ثانية يبحث عن اولئك الذين يصغون الى تعاليمه مؤمنين ، فينالون خلاصاً .

قبول النساء في سانغا او الدير

سألت « ياشودهارا » « بوذا » ثلاث مرّاتٍ ان يقبلها في سانغا ، فلم يجبها الى رغبتها .

وجاءته حاضنة « براجاباتي » مصحوبةً « بياشودهارا » وغيرها من النساء ، راجياتٍ من « تتغاتا ، بوذا » ان يُعلنَّ امامه نذورَهُنَّ ، فيقتبلهن تلميذات « بوذا » .

ولمّا رأى « المبارك » غيرتهنّ وشوقهنّ الى الحقيقة لم ير ما يمنعه عن قبولهنّ تلميذات .

فكانت حاضنة « براجاباتي » اولى تلميذات « بوذا » التي اقتبلت سيامة الزاهدات .

سلوك الزهاد نحو النساء

جاء الزهاد الى « المبارك » وسألوه قائلين :

يا « تتغاتا » سيّدنا ومعلّمنا ، كيف يجب ان نسلك نحو النساء اللواتي كرّستهنّ « لشارما » تاركاتٍ العالم ؟

فاجابهم « المبارك » قائلاً :

احذروا ان تنظروا الى امرأة ،

فاذا رأيتم امرأةً فكونوا كأنكم لم تروا شيئاً ، ولا تحادثوها البتّة .

واذا أُجبرتم على محادثتها ، فليكن ذلك بقلب طاهر ، عالمين في انفسكم أنكم « شارمانا » تعيشون في هذا العالم الخاطىء كورقة لوتس تنمو وسط الأوحال .

فاذا كانت المرأة كبيرة فانظروا اليها نظركم الى امهاتكم ، واذا كانت صبيّة فانظروا اليها كأختٍ لكم ، واذا كانت صغيرة فكابنة لكم .

إنّ « الشارمانا » الذي ينظر الى المرأة كامرأة تُشتهى ، او يلمسها ، تسقط نذورُه فتخسر صفقته ولا يكون تلميذاً « لشاكياموني » .

إنّ قوّة الشهوة عظيمة في الرجل ومخيفة ايضاً . فاحرصوا على انفسكم ، وتسلّحوا بجراب الحكمة .

تدرّعوا بدرع الاستقامة ، وقاوموا بشدّة الرغبات الخمس . إنّ

الشهوة تظلّل قلب الرجل عندما يُبهر بجمال المرأة ، فيخدر عقله .

فخير لكم ان تُسمَل اعينكم بجديدٍ حامٍ ويصبح كلّ منكم بدون عينين ، من ان تسقطوا في فكر الخطيئة ، او تنظروا الى امرأة لتشتهوها .

انه لخير لكم ان تقعوا بين انياب نمرٍ مفترسٍ او تحت ضربة سيف قاطع يفصل رأسكم عن جسدكم ؛ من ان تساكنوا امرأة ، فأبعدوا عنكم شهوة الفكر بكلّ قواكم ولا تعثروا .

ان امرأة هذا العالم تشتاق ان تعرض قدّها وقوامها في مشيتها ووقوفها ، في جلوسها واضطجاعها .

إنها ترغب في ان تكون آية جمال لتقنص قلوب الرجال ، فكيف يجب ان تحرصوا على انفسكم ؟

انظروا الى دموعها وبسماتها نظركم الى عدوٍّ خاطف ، وكذلك انظروا الى كلّ حركة من حركاتها التي تستميل بها قلوب الرجال .

اني اقول لكم : اكبحوا جماح قلوبكم ولا تطلقوا العنان لافكاركم لئلا تخسر صفقتكم .

فيشاكها

كانت « فيشاكها » امرأة غنيّة تسكن « شرافاستي » مع اولادها الكثر وحفدتها ، وامرت ذات يومٍ ان تكون « بيورفاراما » مدبرة الاخوات العلمانيات في البستان الشرقيّ .

وأُخبرت ان « الواحـد المبارك » سيشرّف « شرافاستي » بزيارته فاستعدَّت لذلك ، وخفّت لاستقباله راجية منه ان ينزل ضيفاً عليها ويأكل طعامه في منزلها . فاجابها « المبارك » الى ما طلبت . وحدث في ذلك الوقت ان هطلت الامطار غزيرة ليلَ نهارَ وابتلت اثواب الزهاد، فخلعوها ونشروها في منجاة من المطر لتنشف، وباتوا هم تحت الامطار يرتعدون برداً .

وفي اليوم الثاني جلست « فيشاكها » بجانب « المبارك » وسألته ان يمنحها ثماني رَغبات .

فقال لها : ان « تتغاتا » المقدّس لا يمنح بركة ولا يلبّي رغبة الا أَن يعرفها من قبل .

فقالت : لن اطلب ما يعترض عليه ، وما اطلبُ الا ان يقبـل « المبارك » مني هبـةً اثواباً شتوية للاخوة والزهاد ، وطعاماً لهم وللزوار ، وعلاجاً للمرضى ، وان تغسل اثواب الاخوات اللواتي في « سانغا » اي المجمع .

ولمَ تسألين « تتغاتا » المقدس هذه الرغبات يا « فيشاكها » ؟

لأني ايها « المبارك » اخبرتني مدبرة الاخوات لما بعثتها تدعو الاخوة الى الطعام انها لما وصلت الى « فيهارا » اي الدير ، رأت الزهاد قد خلعوا اثوابهم ينشفونها في الظلال ، وهم تحت الامطار يرتعدون برداً ، فدهشت لذلك ورجعت تخبرني بما رأت ، وأمرتها ان تعود ثانية واذا هي تقص علي ما قصته في المرة الاولى .

فلذلك أرجو « الواحد المبارك » ان يسمح لي بأن اقدِّم للزهَّاد اردية فصل الشتاء ، وهي الرغبة الاولى .

والثانية : تقديم الطعام لسكان « سانغا » ما دمت حيّة فلا يعوزهم ان يتجولوا مستجدين طعامهم ولا سيما في فصل الشتاء .

والثالثة : منع الزهاد ان يقعدوا على قارعة الطريق عراة يستجدون الاحسان طعاماً .

والرابعة : قبول الزهاد العلاجَ في حال المرضِ لئلا يشتد عليهم الداء فيهلكوا .

والخامسة : السماح للزاهد الذي يعنى بأخيه المريض ان يقبل ما يقدم اليه من الطعام بدون استجداءٍ .

والسادسة : استشارة الطبيب وقبول علاجهِ .

والسابعة : شرب عصير الارزّ وقد مدحه « الواحد المبارك » لانه ينشّط العقل ويخمد الجوع ويطفىء العطش .

والثامنة : وهي الاخيرة ؛ اعتاد الزهاد ان يذهبوا ويغتسلوا

في نهر « استرافاتي » في مكان معيّن عراةً ، بتأدّبٍ واحتشام ، وهذا التأدب والاحتشام مهما بولغ فيه مضرّ بسمعة الزهاد ومجلبة للعثار .

أيليق بالسيدات ان يظهرن عراة ، وان كان المرءُ حافظاً لعفته سواء كان طاعناً في السنّ او صغيراً ، فعري المرأة مجلبة للتجربة فهلاّ منعت بطهارتك هذه العادة .

واني لأرجو أن أُجابَ الى ما طلبت وان اقدم ما اقترحتُ ما دمت حية أُرزق .

فقال لها « المبارك » : وما تبغين من رغباتك هذه التي تطلبينها من « تتغاتا » المقدس ؟

أجابته : هل للزهاد الذين صرفوا فصل الشتاء في انحاء مختلفة ان يأتوا الى « شرافاستي » ويزوروا « الواحد المبارك » ويخبروه عن الزهاد الذين لاقوا حتفهم برداً ، او الذين أَضلّتهم النظر فخسروا صفقتهم وما ربحوا ؟ وهل لربي « المبارك » ان يوضح ثمار الايمان الذي يُنالُ بالاساءَةِ الى الجسد ، أبذلك تتمّ « النيرفانا » او سفينة الخلاص ؟ فهل للمبارك ان يسمح للاخوة ان يسرّوا باثوابهم الشتوية وبطعامهم المقدم اليهم وللضيوف والمسافرين ، وبالعلاج المقدم للمرضى ؟

أَأُمنَحُ هذه الرغبات ، فيداخلني الفرح واشعر بالسلام والبركة وأُمارس طرق الحكمة، وهو ما ارغب فيه ايها السيد، وثمرتها المحبّة؟

فقال لها « المبارك » : انه حسن يا « فيشاكها » ان تسألي هذه المنح

الثمان من « تتغاتا المقدس » وكلها ثمرة من ثمار المحبة .

واعلمي ان المحبّة عَرف طيب يفوح من الغنى والقلب الطاهر، وهي كبزرَةٍ تزرع في ارض ٍمخصاب فتأتي بثمار طيبة وبركات وافرة .

والحسنة التي تُعطى لغير مستحقيها لا يعقبها جزاء او بركة ، والذين ينالونها يُعِدّون انفسهم لعذابٍ اليمٍ .

وبعد ان أطرى غيرة « فيشاكها » قال :

مهما كانت عطية المرأة ذات الحياة المستقيمة فليقتبلها كل تلميذ من تلامذة « المبارك » بفرح وحبور ولا يرفضها ، بل يأخذها مباركاً .

ان الحياة المباركة تجتاز الطريق حرّةً طليقةً من كل قيدٍ فتظفر بالطهارة والبرارة .

فطوبى لصانعي المبرّات فانهم ينالون بركة اعمالهم .

يوبافاساثا وبراتيموشكا

ان « سينيا بمبيسارا » ملك « ماغادها » هجر العالم منقطعاً الى حياة النسك، واتصل به ان شيعة البرهمانيين في « راجاغريها » يحرصون على حفظ بعض ايام مقدّسة، يتقاطر فيها الناس لاستماع تعاليمهم.

فحرصاً على قداسة بعض أيام معيّنة، ينقطع فيها المرء عن العمل تعبّداً واطمئناناً، ذهب الملك الى «الواحد المبارك» وقال: ان « باريفراجاكا » التابعين لتعاليم «ترتيكا» يزدهرون وينمون، لأنهم يحفظون اليوم الثامن والخامس عشر من كل شهر، يمارسون فيهما العبادة، يشجّع بعضهم بعضاً، بينما ان اخوة المجمع اي « الكنيسة » ليست لهم هذه العادة.

فرأى « المبارك » ان ذلك حسن، فأمر الاخوة ان يجتمعوا في اليوم الثامن والخامس عشر من كل شهر، يمارسون فيهما العبادة المقدّسة، فهذه هي « يوبافاساثا » او سبت تلامذة « بوذا ».

ولبّى الزهّاد رغبة « الواحد المبارك » فكانوا يجتمعون في « فيهارا » اي الدير، يقيمون الصلاة بحضور الشعب الذي كان يأتي لسماع « دهارما »، ولكن الشعب لم يكن ليرضى عن سكوت الزهّاد، لأنهم ما كانوا ينطقون ببنت شفة كأنهم بُكمٌ لا يتكلمون.

واتصل الخبر « بالواحد المبارك » فأمر الزهاد ان يقرأوا كلمة «براتيموشكا» وفيها اطمئنان عبادة، وان يدعوا الناس الى الاعتراف

بخطاياهم لينالوا مغفرة .

وعلى المذنب ان يتقدّم الى الزاهد الذي يرى فيه صلاحاً فيعترف له بخطاياه فيغفرها له .

وأمر « الواحد المبارك » ان تتلى « براتيموشكا » هكذا :

يأتي المتقدم مع الزهاد المحترمين ويعلنون « سانغا » اي « الكنيسة » قائلين : ان اليومَ يوم « يوبافاساثا » الثامن والخامس عشر من الشهر فلتستعدّ الكنيسة اي المجتمعون لتلاوة « براتيموشكا » .

احد التلامذة : سأتلو « براتيموشكا » .

الزهاد : لنصغِ وليرفعْ كل واحد منّا عقله الى الحقيقة .

احد خدمة الزهاد : ليعترف كل واحد منا بخطاياه . ومن لم يكن مذنباً فليصمت .

احد خدمة الزهاد : من صمتكم عرفت انكم غير آثمين ، فلنصلِّ من اجل الخلاص .

وقبل الشروع بالاجتماع يسأل الزاهد ثلاث مراتٍ : ايها الاخوة من كان منكم خاطئاً فليتقدم معترفاً بخطاياه ، لينال مغفرة، والخاطىء الذي لا يتقدّم معترفاً بذنبه يكون اثمُه عظيماً .

وأَنتم أَيها الاخوة المحترمون ، مَن أَثم منكم نحو « الواحد المبارك » بدون قصدٍ فليتقدم معترفاً .

فالزاهد الذي اخطأ عن غير قصدٍ ويريد ان يتطهر فليتقدّم معترفاً، لان المعترف بخطاياه يتصرّف تصرّفاً لائقاً .

الانشقاق

عندما كان « الواحد المبارك » في مدينة « كوشامبي » حدث بين الاخوة خصام وشقاق ، بدعوى ان أحد الزهّاد قد ارتكب مخالفة وأبى ان يعترف بها ، فحكم عليه الاخوة بالفرز من بين الجماعة .

وكان الزاهد المحكوم عليه يعرف « دهارما » جيداً ويعتصم بالقوانين، حكيماً متواضعاً ذا ضمير حيّ يصدع للحق ، ولمّا لم يكن مذنباً انصرف الى اصدقائه الزهاد وقال لهم : إنّ ما اتهمت به ليس مخالفة أيها الاخوة ، ولا حقّ لكم في ان تفرزوني من بين الجماعة ، لاني غير آثمٍ مذنب ، وفتواكم غير محقّةٍ وباطلة ، ولهذا فأنا أعدّ نفسي غير خارج عن الجماعة . فهل للاخوة المحترمين ان ينصفوني ؟ لأنّ من يحكم عليه الاخوة يلجأ الى الزهاد وهم يفصلون بالأمر .

فأجابه الزاهد الذي حكم عليه: إنك آثمٌ ومذنبٌ. وعندئذٍ حدث شقاق وخصام بين الاخوة وانقسموا قسمين ، يعيب بعضهم بعضاً .

ورُفع الأمر الى « الواحد المبارك » فخفّ الى الاخوة الذين اصدروا حكمهم على اخيهم، وقال لهم : ألم تفكّروا أيُّها الزهاد حينما حكمتم بإخراج زاهدٍ من بينكم ،بعاقبة ذلك الفرز ، أو كنتم مسرورين بحكمكم على اخيكم العارف الكامل ؟

وإني اطلب الى الزهاد الذين حكموا على زاهدٍ يعرف « دهارما »

ويحترم القوانين بضميرٍ صالح وحكمة ، ان يقفوا معتذرين وينفوا الخصام من بينهم ، وعليهم ألاّ ينطقوا بحكم الاخراج على اخٍ لم يعدّ ما أتاه مخالفة .

ومن ثمّ انصرف « المبارك » الى الاخوة الآخرين وقال لهم : أما فكرتم أيُّها الزهاد ، ان الذي يأتي مخالفة عليه ان يكفّر عنها ؟ فإن قلتم انه غيرُ مذنب ، فلِمَ يؤثّمه الاخوة ؟ أليس هؤلاء الاخوة يعرفون « دهارما » ويعرفون القوانين وقد تعلموا الحكمة بنباهة واتضاع وضمير حيّ ، وهم على استعداد ان يخضعوا للقوانين ، ولا أظنّ ان محبة الذات قد دعتهم الى ذلك الحكم ، فدعوا المذنب يقف بين الجماعة ويبرّر نفسه .

وكان الفريقان يحفظان « يوبافاساثا » اي يوم البطالة ويتمّمان المراسم المقدّسة باستقلال كل فريق عن الآخر ، بدون اعتراض ، وكلاهما يسيران سيرة حسنة .

ولذلك وقف « المبارك » وقال : ان الزهّاد الذين انحرفوا عن اخوتهم ، بينهم محترمون ، وكذلك يوجد محترمون بين الفريق الآخر . فاذا لم يقتربا ويتصافيا ، فلندعهما يتمّمان المراسم منفردَين .

ثمّ إنّ « الواحد المبارك » انفرد بالمحتجين وقال لهم : إنّ الأمم يعملون اعمالكم بخصام ، ولا لومَ على الجماعة التي تقف علناً معترفة بخطإها . إنّ البغض لا يساكن الفكر الصالح ، والذي يعترف قائلًا : إنهم أثّموني ، ذنّبوني ، لا يكون أثيماً .

وانا اقول لكم : لا تقاوموا البغض بالبغض ، فشريعـة الأبدية تقضي بان تقابلوا البغض بالمحبة .

إنّ كثـيرين لا يعرفون ان يخبتوا أنانيَّتهم ، فاذا حـدث بينهم خصام ، علينا ان نعذرهم ، ولكن الذين يعرفون لا يُعذَرون .

ان من وجد صديقاً حكيمـاً يسير بالاستقامة والبرارة فليجاوره فيمتلىء قلبه فرحاً ولا خطر عليه البتّـة .

وامَّا الصديق الذي لا يسلك حسناً فيسير منفرداً كملكٍ أُقصي عن ملكه مثله مثل فيلٍ أُفرد في غابته ولا من يؤانسه .

لا خطأ مع الصداقة ، ولا صداقة مع البغض ، فليبتعد كل منا عن كل من لا يسير باستقامة وبرارة ومحبة .

ثمّ ان « الواحد المبارك » تركهم ومضى بعد أن رأى ألاّ سبيل الى المصافاة وقـال في نفسه : ليس من السهل اقنـــاع المعاند الذي فتنه خطأه .

تثبيت الاتحاد

ان الخصام لم يدم طويلًا بين الجماعة، فان « الواحد المبارك » بعد مبارحته « كوشامبي » اخـذ يجول من مكانٍ الى آخر حتى وصل الى « شرافاستي » . وقد حدث في مدة تغيّب « الواحد المبارك » ان تزايد الخصام، وحنق زهّاد « كوشامبي » شديداً على الزهاد المحتجين واتهموهم بالازعاج ورموهم بكلّ فرية .

ولما تركهم « المبارك » في نزاعهم ، مضى المحتجُّون يبحثون عـن مكانٍ يستقرون فيه ، قاطعين كل علاقة مع الزهاد الآخرين ، زاعمين أنـَّهم غيرُ اهل لأن يلبسوا الاردية الصفراء وخـير لهم ان يرجعوا الى العالم ، او يسترضوا « الواحد المبارك » .

على أنَّ زهاد « كوشامبي » لم يستسلموا الى الحنق طويـلًا وأخذهم الندم وقالوا : ان نذهب الى « المبارك » نفوّض اليه الامر، خير وابقى .

وترقرق الفكر منساباً الى خاطر كلٍّ مـن الفريقين واذا همـا في طريقهمـا الى « شرافاستي » لتحكيم « المبارك » . ولمـــا سمع المحترم « شاريبوترا » بقدوم المتخاصمين ، خفَّ الى « المبارك » يسأله كيف يجب ان يتصرَّف معهم .

فقال له « المبارك » : عليك ألاَّ تُعَنِّف احداً منهم ، لأن الكلام السيءَ لا يسرُّ احـداً ، وعليك ان تعـدل بينهم وإن افترقوا مكاناً ،

واصغ بصبرٍ الى اقوال كلّ منهم ، فكل منهم راهب متقشف ، فبعد ان يُدلي كلّ فريق بحجته ، دع الجماعة تصرخ أنّ الاتحاد قد ذرّت بوادرُه .

ثمّ إن المدبّرة « براجاباتي » سألت « المبارك » ان يعلمها ما تصنع بتقديم الاثواب والطعام فقال لها : دعي الجانبين يُسرّان بهدايا الراهبات ، دون تفريقٍ بين واحد وآخر .

وتقدّم المحترم « يوباتي » من « المبارك » يسأله عن تثبيت السلام في الجماعة « الكنيسة » قائلًا : أمِن العدل يا سيّد ان تنادي الجماعة بالاتحاد ، بدون ان يتضح نظرُ كلّ من الفريقين ؟

فاجابه « المبارك » : اذا اعلنت الجماعة تثبيت الاتحاد بدون ان يكون جدال ، فلا يُطلق على ذلك الاعلان أَحقّ هو او شرعي . واعلم أنّ للاتحاد سبيلين ، سبيل الحرفِ وسبيل الروح . فاذا اعلنت الجماعة تثبيت الاتحاد بدون خصام فمعنى ذلك ان السلام قد هيمنَ على ما كُتبَ فقط ، وإنْ اعلنت ذلك بعد جدالٍ يكون الاتحاد قد تمّ بسلامٍ بالروح والحرف المكتوب معاً ويطلق على تلك المناداة حقّ وشرع .

ثمّ إن « المبارك » امرَ الزهاد ان يجتمعوا بحضرته وشرع يقصّ عليهم خبر الامير « ديرغايو » قال : في قديم الزمان كان يسكن مدينة « بنارس » ملك قويّ اسمه « براهماداتا ، كاشي » طمع في مُلكِ « ديرغاتي » ملك « كوزالا » الصغيرة التي لا تصمدُ امام قوّته وبأسه .

واتصل الخبر بالملك « ديرغاتي » وعرف انه ضعيف ، فترك ملكه في عهدة « براهماداتا » وراح يتجوّل من مكانٍ الى آخر مع امرأته فوصلا الى « بنارس » وعاشا في تخومها متخفيينِ .

وكانت امرأته حاملًا ، فولدت له ولداً ، أسمياه « ديرغايو » . ولمّا كبر الولد وشبّ عن الطوق ، فكّر الملك في نفسه قائلًا : إنّ الملك « براهماداتا » قد اساءَ الينا وهو ما زال يطلبنا ليقتلنا ، فارسل ولده الى حيث لا يُعلم له مقرّ بعد أنْ علّمه وهذّبه وخرّجه على الفنون حتى اصبح حكيماً لَبقاً .

وحدث في هذه الاثناء أنْ رآه حلاّقه القديم وكان مُفسداً رديئاً فوشى به الى الملك « براهماداتا » .

ولمّا سمع الملك « براهماداتا » ان ملك « كوزالا » يعيش مع امرأته متخفيينِ امر كبير أُمنائه ان يبحث عنهما ويوردهما الحتف حالاً .

ولمّا كان الملك الاسيرُ يجتاز شوارع « بنارس » شاهد ولده عائداً الى زيارته ، فاحتال على مشاهدته وزوّده بنصائحه الاخيرة قائلًا له : يا ولدي « ديرغايو » « لا تنظر بعيداً ولا تنظر قريباً » واعلم ان البغض لا يزول ببغضٍ مثله ولكن يزول بعدمه اي بالمحبّة .

واجري الحكم على ملك « كوزالا » وامرأته فقتلا ، وجاء ولدهما « ديرغايو » بخمر معتّقة وسقى الحرّاس حتى ثملوا ، فاخذ جثتي والديه ليلًا واحرقهما باحترامٍ بحسب المراسم المقدّسة .

واتصل الخبر بالملك « براهماداتا » فخاف ان يثأر الولد لوالديه ،

فبحث عنه طويلاً فلم يظفر به ، حتى بات الملك قلقاً جدّاً على حياته .

أمّا « ديرغايو » فذهب بين الغابات يبكي والديه ، ولمّا تمّت ايّام حزنه رجع الى « بنارس » يبحث عن عملٍ فسمع أنَّ رئيس اسطبل الملك بحاجة الى سائس للفيلة ، فقدّم نفسه فقُبِلَ .

وحدث ان سمع الملك ذات ليلةٍ صوتاً جميلاً يتجاوب في سكينة الليل وهدأته على وقع قيثارة ، قد ادخل الفرح والسرور على قلبه .

فسأل عن صاحب الصوتِ فقيل له : انه سائس الفيلة في اسطبله ، وهو فتى لطيف محبوب ، دمث الاخلاق ليّن الجانب ، فامر به فحضر وجعله من المقربين اليـه ، واظهر « ديرغايو » في خدمة الملك معرفة ودراية فرقاه الملك الى امانة سرّه فتصرّف « ديرغايو » بعمله الجديد تصرّف رجل حكيمٍ .

وذات صباح ذهب الملك و « ديرغايو » الى الصيد فتوغّلا في الغابة بعيدين عن الحاشية ، وتعب الملك فارتمى بين يدي « ديرغايو » ونام ؛ ولما استغرق الملك « براهمادادانا » في النوم فكر « ديرغايو » وقال : هوذا عدوّي بين يديّ وقد سلبنا المُلك وقتل والديَّ ، افلا انتقم منه الآن ؟ وشهر سيفه يريد قتله، ولكنه فكر بوصية ابيه « لا تنظر طويلاً ولا تنظر قصيراً ، وليس بالبغض يزول البغض ولكن بعدمه » فارجع سيفه الى غمده .

وافاق الملك من نومه مبغوتاً مرتعباً ، فسأله « ديرغايو » عمّا اصابه؛ فقال : اني لا انام براحة البتّة لأنني ارى في نومي ، كأنَّ « ديرغايو »

ابن ملك « كوزالا » منتضٍ سيفه يريد قتلي انتقاماً وثأراً لوالديه .

وللحال وضع الشاب يده على رأس الملك قابضاً على سيفه ، وقال له : انا هو « ديرغايو » ابن الملك « ديرغاتي » الذي سلبته ملكه واوردته الحتف مع امّي امرأته ، وها وقت اخذ الثأرِ قد دنا ، فاستعدّ للموت .

ورأى الملك نفسه تحت رحمة « ديرغايو » فرفع يديه مسترحماً منه ان يبقي على حياته .

فأجابه « ديرغايو » : كيف ابقي على حياتك وقد جرعتني علقماً ، فان عفوت عنك فحياتي بخطر منك .

فقال الملك : اعلم يا عزيزي « ديرغايو » أبقِ على حياتي فابقي على حياتك، واني اقسم لك قسماً لا قسم وراءَه اني لا أُسيء اليك ابداً ، وهاءنذا ألمس سيفك وتلمس سيفي شهادة قسمي وقسمك . ولمس كل منهما سيف الآخر وتصافيا متصافحين .

ثم ان الملك سأل « ديرغايو » معنى وصية ابيه « لا تنظر بعيداً ولا تنظر قريباً ، والبغض لا يزيله بغض مثله » .

فقال الشاب : اراد بذلك انه من الواجب الا يدوم البغض طويلاً، وألاّ اغدر باصدقائي ، فلو قتلتك يقوم من ذويك مَنْ يقتلني وتستمر العداوة ، فالبغض لا يزيله بغض مثله ولكن تزيله المحبّة .

والآن ايها الملك قد حفظتَ على حياتي كما حفظتُ على حياتك ، واصبحنا متصافيين فعلينا ان نتناسى الاحقاد ونعيش بسلام .

فسُرّ الملك من حكمةِ الشاب واحبّه كثيراً ، وأعاد عليه ملك ابيه ، وأزوجه ابنته .

واردف « المبارك » قصته قائلاً : ايها الاخوة، انتم ابنائي بالروح والحقّ ، آمنوا بما قلت لكم، ودعوا عنكم كلّ خصامٍ وشقاق، واعلموا ان البغض لا يزيله بغض مثله بل يزيله الحبُّ والسلام .

وللحال هبّ الزهاد يصافح بعضهم بعضاً وعادت المياه الى مجاريها وساد الوفاق وتم الاتحاد بين الجماعة كلّهم .

توبيخ الزهاد

وحدث أنْ كان « الواحد المبارك » يتجوّل في العراء حافي القدمينِ ، فرآه كبار تلامذته فأتوا به وخلع كلّ منهم نعليه ومشى حافياً مثله .

على ان صغار المبتدئين لم يأبهوا لذلك ، ولبثوا يمشون منتعلين احذيتهم ، فلاحظ ذلك احدُ كبار التلامذة ، فتقدّم من « المبارك » وقال له: هوذا المبتدئون لا يقتدون بمعلّميهم. فالتفت اليهم «المبارك» موبخاً اولئك المبتدئين قائلاً : اذا كنتم لا تحترمون بعضكم بعضاً وانا لا أزال بينكم ، فكيف تصنعون اذا غبت عنكم ؟

وكان « المبارك » مأخوذاً غائصاً في نور الحقيقة وطمأنينتها فقال : أيها الزهاد ، ألا ترون أنّ العلمانيين السالكين في العالم يحترفون حرفةً يعتاشون منها ويحترم بعضهم بعضاً ، ويقدّمون احترامهم لمعلّميهم ؟

فكم بالحري انتم ايها الزهاد الذين تركتم العالم، أَما يجب أن يُضيءَ نوركم امام الناس لانكم انكرتم ذواتكم وعرفتم الحقّ ؟

ألا فليخضع كلّ منكم الى معلمه ومدرّبهِ او الى مَن هم في مصافّ معلميه او مدربيه .

إنّ تصرفكم ايها الزهادُ ، لا ينطبق على حقيقة ما تعتقدون او مـا انتم آخذون انفسكم بسبيله، ليزداد عدد المؤمنين. أما ترون أيها الزهاد أني اخـدم الذين ينفرون عن العقيـدة ، والمبتعدين عنها، لأربحهم الى الحقيقة بالقدوة الحسنة ؟

•

ديفاداتا

لمّا اصبح « ديفاداتا » ابن « سوبرابودها » واخو « ياشودهارا » في جملة التلاميذ ، طمع في ان ينال الميزة التي وصل اليها اخوه « غوتاما سيدهارتا بوذا » ، فقاده طموحه هذا الى شيء من الحسد والبغض ، فانحرف عن « الواحد الكامل » لانه رأى ان طريقته غير صالحة لجمعها بين السهولة والصعوبة .

وخفّ « ديفاداتا » الى « راجاغريها » يستعطف « آجاشارتو » ابن الملك « بمبيسارا » ليبني له « فيهارا » ديراً لينشىء فيه شيعةً خاصة به ، وكان قد سَنّ لطريقته قانوناً قاسياً جدّاً . فتمّ له ما اراد وتحلّق حوله بعض الراغبين في دعوته .

وجاء « المبارك » يتفقّد رعيته في « راجاغريها » ونزل ضيفاً في « فيهارا » وطلب اليه اخوه « ديفاداتا » ان يبارك طريقته على ما فيها من عنفٍ ونكران ذات وقال له: ان للجسد اثنين وثلاثين قسماً وليس في احد هذه الاقسام صفة إلهية ، لأنها عرضة للخطيئة قد وُلدت بالدنس، وهي عرضة للألم والتبدّل ، ووجودنا يتوقّف على مقدار احترامنا « لكارما » الذي يحفظ وجودنا وهو مقرّ للخطيئة والامراض والآلام والاحزان ثم الموت وهو آخر المطاف، فعلينا ألاّ نعنى كثيراً باجسادنا وخير لنا ان نلبس بقايا اكفان المقابر والمزابل .

فاجابه « المبارك »: بالحقّ قلت ان الجسد مملوء أرجاساً ونهايته القبر حيث تنحلّ عناصره ، فيذهب كلّ عنصرٍ الى ما يماثله، ولكنّ تذوّق « كارما » يتوقف على مقدار قوّتِك واستعدادك لقبول الحقيقة، وليس لقبول الخطيئة ، وانه غير حسن ولائقٍ ان نسرف بمسرّات الجسد وليس من العدل في شيء ان نهمل العناية به . واعلم أن المصباح وحده لا يضيء ان فرغ منه الزيت. وهكذا شأن الجسد إن أُهمل ولم ينظف فانه لا يكون على استعدادٍ لقبول نور الحقيقة .

ان قانونك لا يسير بالطلاّب الى الميناء الامين الذي اعلنته ، ولا احد يقدر ان يمشي في الطريق التي سننتها لانها تميت الجسد وتضعفه فتفقد الحواسّ عملها .

واعلم ان « تتغاتا » يرفض تعاليم « ديفاداتا » الذي ترك « بوذا » وانقطع في ديره يتكلّم عنه شرّاً ويستهزىء بطريق الخلاص التي عبّدها السيّد « المبارك » والتي بدونها لا يصل احد الى ما يصبو وينشد. وتابع المبارك كلامه مبيّناً فتنة « ديفاداتا » فقال : لا يوجد بين الناس مَنْ هو بلا لومٍ .

ان الناس يلومون من بقي صامتاً ويلومون من اعتصم بالصمتِ ويلومون كذلك من اتخذ طريقاً وسطاً بين الحقيقة والعالم .

ولما انصرف « المبارك » مضى « ديفاداتا » يحمّس « آجاتاشاترو » لينتفض على ابيه «بمبيسارا» او ينادي به وليّاً للعهد، فكان له ما اراد، ومات الملك «بمبيسارا» وخلفه ابنه «آجاتاشاترو »، وما زال « ديفاداتا »

يوغر قلبه على « المبارك » ويحمله على قتله حتى أمر الملك « آجاتاشاترو » بعض عماله ان يتعقّبوا « المبارك ، تتغاتا » ويقتلوه .

ومضى المكلّفون بقتل « المبارك » يتعقبونه حتى ظفروا به وسمعوا اقواله وتعاليمه ، فاستصغروا انفسهم وأَنكروا ما ندبهم اليه الملك ، وآمنوا « بالمبارك » واعتنقوا تعاليمه ، وقالوا برجوعهم الى من ارسلهم لقتله : ان الصخر وان سقط على « المبارك » فلا يؤذيه ولا يسبّب له ضرراً ، والفيل الوحشيّ وان انقضّ عليه فلا يلبث ان يرتدّ عنه أنيساً لطيفاً .

فلما سمع « آجاتاشاترو » هذا ثابَ الى رشده مصغياً الى صوت ضميره الذي انبّه على ما فرط منه وسأل « المبارك » الصفح والعفو معترفاً بخطيئته . فاستقبله « المبارك » بلطفٍ ووداعةٍ وأرشده الى طريق الخلاص، واما « ديفاداتا » فما زال مصرّاً على عناده ، ماضياً في تأسيس دعوته ونشرها ، ولكنه باء بخسرانٍ مبين ، وتفرّق عنه كثيرٌ ممَّن اتبعوه ، وأُصيب بمرضٍ عضالٍ اقعده عن كلّ حركة ، وتراءت له خطفة النوم فسألَ مقربيه ان يحملوه على محفته ويأخذوه الى « بوذا » وقال : خذوني اليه يا اولادي ، فاني وان أسأت اليه فهو اخي شرعاً ، انه هو يخلصني ويصفح عني بحرمة النسب . فلبّوا طلبه وحملوه الى « بوذا » ، ولما رآه « ديفاداتا » نهض من محمله ، بينما كان حاملوه يغسلون أيديهم واما هو ، اي « ديفاداتا » ، فكانت رجلاه غارقتين في الارض المحرقة ، وما ان اظهر ندامته امام « بوذا » حتى تقطعت انفاسه وأسلم الروح .

٩

المحجّ

وخاطب « الواحد المبارك » الزهّاد قائلًا: ان سلوك الحقائق الاربع شاقّ وعر ، وانه ليصعب عليّ وعليكم ان نجتاز ممرّ « سمسارا » إن كنّا لا نعلم ان الافكار تنشأ عن الحواس .

والحواسّ تشكّل هذه الافكار بالنسبة الى الاعمال ، بالشكل الناتج عنها . ان العقل يبدأ بسيطاً ثم يستيقظ ويخطىء بحسب ما يأتي من عمل، ولكنّ الالهام البوذيّ يقوده الى الطريق السويّ فيصل الى الاستنارة « ببوذا » . ان الخليقة بأسرها تجتاز « كارما » بواسطة اعمالها بالنسبة الى وجودها المهيّأة فيه .

إنّ العقل الطبيعي في الانسان هو قبس من الحقيقة المنيرة ، وهو الخطوة الأولى في طريق الحياة، والمولود الجديد يسعى جهده ليصل الى قمّة الوجود بانارة العقل والقلب معاً ، ولا يصل الى تلك الاستنارة إلا بوروده نبع البرارة .

ويوم يتطهر ويدنو من ولادته العليا يجد الحقيقة ، فتعلّمه السلوك في الطريق السويّ الذي يقوده الى مدينة السلام .

واني أريتكم الورْدَ الى بحيرة « أمبروزيا » التي تُطهّركم من ادرانكم وخطيئاتكم بمائها .

وسقيتكم شراباً بارداً، تدركون به الحقيقة. فمن شرب منه تحرَّر من اعماله الباطلة وآلامه.

ان آلهة الامم تحسدكم على هذه البركة لأنكم تخلّصتم من بحر الآلام الزاخر ووصلتم الى شاطىء «النيرفانا» لأنّ قلوبكم قد تنظّفَت من كل دنسٍ وتفلّتم من كلّ غواية.

انكم كزهرة «اللوتس» التي تنمو في الماء، والماء لا يصيب بتلاتها. ان السالك في طريق الاستقامة يعيش في العالم ولا يميل قلبه الى نجاسة او ينحرف الى شهوة.

انه كأمٍّ تدافع عن وحيدها وهي على آخر رمقٍ من الحياة، ولا يعمل الا ما هو حسن ومستقيم.

ليحرص المرء على عقله سواء في سيره او وقوفه، في يقظته او منامه، في مرضه او صحته، في حياته او مماته، لأنّ سلامة العقل وطمأنينة القلب أجلُّ ما في العالم كله.

والذي لا يتدبَّر المرّات الأربعة الشريفة يستمرّ في أَلم الولادة والموت، في صحراء الجهل، يخدعه سرابها ويغوص في خطيئته متألماً.

لقد افهمتكم معنى الهجرة البعيدة وقد تحرّك ركابها، وها انكم وصلتم الى المحَجّ وأمتّم كل أنانية فيكم، واقتبلتم الحقيقة وهي الانقاذ الحقّ، والخلاص والسماء والحياة الخالدة ابداً.

تحريم العجائب

كان « جيوتيشكا » ابن « سبهادرا » يسكن منزلاً فخماً في « راجاغريها » فاقتبل يوماً قصعة صُنِعت من خشب الصندل ثمينة جدّاً قد رصّعت بالجواهر الغالية ، فعلّقها في قِمّة منزله وقال : إنَّ « الشارمانا » الذي يقدر ان ينزل هذه القصعة بدون ان يستعين بعصا او عقفة بل بقوّة سحريّة خارقة أُعطيه ما يريد ، فتناولها احد الزهاد بيده بدون ان يستعين بشيءٍ وجاء بها بأبهةٍ الى « فيهارا » .

ولمّا شاهد الشعب هذا جاءوا الى « الواحد المبارك » والدهشة ملء افواههم وقالوا : يا « تتغاتا » العظيم ان تلامذتك قد قاموا بعجيبة ، فان « قاشيابا » تلميذك تناول قصعة « جيوتيشكا » بيده وهي في اعلى المنزل بدون ان يستعين بآلة ما ، وحملها وجاء بها بأبهةٍ الى « فيهارا » .

فلما سمع « الواحد المبارك » هذا ، اسرع الى « قاشيابا » واخذ القصعة وكسرها على مرأى ومشهدٍ من الناس ، وحرّم على تلامذته أنْ يقترفوا عجيبةً ما .

وحدث بعد ذلك أَنَّ جماعة من الزهاد ، كانوا في مدينة «فريجي» وكان الفصل شتاءً ، وضربت المجاعة اطنابها في الكورة كلّها ، فاقترح احد الزهاد على اخوته، أن يمدحَ الواحد الآخر زاعماً انه قديس ويرى

رؤى مباركة وينال هباتٍ عُلويّة فائقة الطبيعة .

فسرّ اهل تلك المدينـة وقالوا إنهم محظوظون لان يكون مثل هؤلاء الزهاد القديسين بينهم في مثل هذا الفصل البارد ، وشرع السكان يجرون أعطياتهم على الزهاد الذين سرّوا كثيراً وجازوا زمن المجاعـة بأمنٍ وسلام .

ولما سمع « الواحد المبارك » بذلك قال لتلميذه « آنـنـدا » ان يجمع الزهاد كلّهم ، ويسألهم : متى يكون الزاهـد زاهداً ؟ فامتثل للامر ، وسأل الزهادَ : متى يكون الزاهد زاهداً ؟

فاجابه « شريبوترا »: متى لم يقترف الزاهد شيئاً غير لائق، ومن فعل لا يكون تلميذاً « لشاكياموني » ، وعلى التلميذ ألاّ يأخذ اكثر مما أعطى ، فالذي يفعل ذلك يُعدُّ حقيراً ولا يستحق ان يكون تلميـذاً « لشاكياموني » .

وفضلًا عن ذلك فانه يُطلب من التلميذ بالحاحٍ الاّ يُسببَ مضرّةً لاحدٍ ما ولا لحشرة من الحشرات ، ولا لنملةٍ فما دونهـا ، والذي يضرُّ احدى هذه المخلوقات لا يستحقّ ان يكون تلميذاً « لشاكياموني ».

هذه هي المحرّمات الثلاثة .

ثم إنّ « الواحد المبارك » التفت نحو الزهاد وقال : يوجـد محرّمات اعظم من هذه أعلنها لـكم . على التلميذ أَلاّ يتكبر على ايّ من المخلوقات او يدّعي اقتراف العجـائب . ومن فعل او ادّعى لا يكون تلميذاً « لشاكياموني » .

وهاءنذا الآن أحرّم عليكم ايها الزهـاد السحر والتعازيم والابتهال الى اي قوّة لأن هذا كلّه باطل . وشريعة « كارما » القدير تجمع كلّ شيءٍ في يده . فالذي ينتظر ان يقترف العجائب فهو لم يفهم بعد عقيدة « تتغاتا » فاحرصوا على انفسكم ولا تأخذكم كبرياء او ادعاء .

بطلان حب الدنيا

كان شاعر اسمه « شي » قد اجتلى الحقيقـة بعينٍ طاهرة ، فآمن « ببوذا » فنال به سلام العقل والطمأنينة ساعة المحنة .

وحدث ان اجتاح وباءٌ البلدَ الذي كان يسكنـه وقضى على حياة كثيرين ، فاسقط في يد السكان اجمع ، فمنهم مَن كان يرتعد خوفـاً من الموت المفاجىء ، ومنهم من كان يسرف بملاذّه ، ومنهم من كان يجهر قائلًا : لنُسِرَّ انفسنا اليوم لاننا لا نعرف المكان الذي نحلّ فيه غداً ، كانوا يضحكون ولكن بدون اطمئنان وراحة .

وكان الشاعر البوذيّ يعيش بين هؤلاء الناس بهدوء وطمأنينـة يساعد بقدر استطاعته مخفّفاً آلام المرضى بعلاجه الروحيّ .

فجاءه يوماً رجل وقال :

ان قلبي مضطرب جدّاً لرؤيتي الناس يروحون ولا يرجعون ، على أنّ اضطرابي ليس لموتهم بل خوفاً على نفسي ، فساعدني وانقذني من قلقي واضطرابي .

فاجابه الشاعر : إنّ من لا يشارك الناس بمصائبهم لا يستحقّ مؤاساة الناس ، وليس لاانانيّ محبّ لذاته أن يُساعَد .

فاذا شئت الراحة والطمأنينة فعلّم الناس سبُلَ المحبّـة والبرارة

ولاسيّما في ايام محنتهم ، وانفِ من عقلك محبّة الذات .

آسِ المرضى، وعزِّ قلوب الحزانى، هدىء آلام الاخوة والاخوات والاصدقاء وانفِ كلّ شهوةٍ رديئةٍ من قلبك .

ومضى ينظم قصيدة علـّمها الاخوة في « فيهارا » :

تعالوا ، أيها المتعبون ، وردِوا ماء حياة في « بوذا » فتجدوا راحة « النيرفانا » .

كلّ ما في العالم باطل، وكلّ شيءٍ زائل ، وافراح الحياة حلمٌ عابر .

الناس في العالم اشباح ، ورجاؤهم سرابٌ .

ان العالم يذهب وراء مسرّاته ، كسربٍ يقع في الشراك ، وامّا البوذيّون القدّيسون فيرتفعون الى العلاء كطير الكراكي البريّة .

إنّ الدجاج في اخمامِها تلتقط طعامها فتسمن ، لتُغلى بعد قليلٍ في القِدر .

اما الكراكي البريّة فلا يُعطى لها طعام ولكن السماء والارض تكفلان لها ذلك .

ثمّ انه قال في نفسه : الوقت صعب والناس ليسوا على اهبة قبول ما اقول ، ولكن لا يمنعني ذلك من اعلان بطلان الدنيا . فقال :

إنّ التجدّد جميل ، وجميل ان ندفع الناسَ اليه .

إن كلّ ما في العالم يذهب هباءً منثوراً .

لندع الآخرين يشتغلون ويبذلون جهداً .

أمّا عقلي المطمئن فسيبقى طاهراً .

كلّما ازداد المرءُ مسرّة ، ازداد اشتياقاً اليها فلا يكتفي ،
إنّه يطمع الى الغنى ولا يشبع .
إنه كدميةٍ رُبطتْ بخيطٍ متأرجحة في الهواء ،
فاذا قُطِعَ الخيط سقطت وتكسَّرت .
في الموتِ يتساوى العظيم والحقير ، فالكلّ باطل .
الذهب والفضة لا يدفعان المنيّة حتى ولا المجوهرات .
ولا ميزة بين رفيع ووضيع .
فالاموات يوارون كلّ يومٍ في المرجةِ المعطار .
فانظر الى الشمس واجلس مستريحاً وراء التلال الشرقية .
واضطجع هادئاً ، واسمع صياح الديكة تعلن انبثاق الفجر .
تجدّد اليوم ولا تنتظر الغد لئلا يجيء تجدّدك متأخراً .
لا تقل : إنّ الوقت طويل ، فالزمن يمضي ولا ينتظر .
إن التجدّد جميل ، والاجمل ان ندعو الناسَ اليه .
وجميل ايضاً واجلّ من جميل ان نسلك حياة البرارة ملتجئين الى اسم « بوذا » .
قد تصل بفكرك الاجواء ، وتجمع لك ثروةً عظيمة لا تقدّر ولا تحصى ، وكلّه باطل ان لم تشعر بسلام « النيرفانا » .

السر والعلانية

قال « بوذا » : ثلاثة اشياء ، أيها التلاميذ ، سريّة مميّزة هي المحبّة والكهنوت والحكمة ، وكلها تصدر عن طريق الحقيقة .

ان المرأة المِغناج أيُّها التلاميذ ، تبحث عن حبيبها في الخفاء وتبتعد عن العلانية .

ان الكهنة الذين يُخطفون ، يُسِرُّون ذلك في نفوسهم ولا يعلنونه ، والذين يتيهون عن مجاز الحقيقة ، أيها التلاميذ ، يبحثون عنه سرّاً ويجتنبون العلانية .

وثلاثة اشياء تشعّ ساطعةً في العالم ، ايُّها التلاميذ ، ولا يمكن ان تخفى وهي :

القمر المنير ليلاً .

والشمس المشعّة نهاراً .

والحقيقة التي اعلنها « تتغاتا » وكلُّها تضيء العالم ولا يخبو نورها .

هذه الاشياء الثلاثة ، أيُّها التلاميذ ، تملأ العالم اجمع ولا سر يحجبها .

فناء الالم

قال « بوذا » : ما هو الشرُّ ايها الاصدقاء ؟

القتل والسرقة والاستسلام الى الشهوة الجنسية ، والكذب والوشاية والاساءة والهذر والثرثرة ، والحسد والبغض والتمسّك بالعقيدة الكاذبة ، كل هذه الاشياء ، ايها الاصدقاء ، شرّ .

وما هو اصل كل شرّ ايها الاصدقاء ؟

الرغبة الرديئة ، والبغض والغواية ، اصل كل شرّ .

وما هو الحسن ؟

الابتعاد عن السرقة والشهوة العالميّة والكذب والوشاية والخشونة والاساءة والحسد والبغض .

فالابتعاد عن كل هذه الاشياء حسن ، واحسن الحسن ان نطيع الحقيقة ونخضع لها .

وما هو اصل كل حسن ايها الاصدقاء ؟

التحرّر من الشهوة ومن البغض ومن الغواية . هذه كلّها اصل كلّ حسن .

وما هو الألم ايها الاصدقاء ؟ وما اصله ؟ وكيف نفنيه ؟ الولادة ، وكبر السّن والامراض والموت والحزن والتعاسة كلها آلام .

المحنة واليأس والاتحاد مع من نكره، وفقدان من نحبّ، والسقوط في الشوق كلها احزان ايها الاخوة .

وما هو اصل الآلام ايها الاخوة ؟

الشهوة والتعطّش الى الوجود الذي يسلمنا الى اللذة وتجديد الولادة، والاحساس بالرغبة والانانية ، كل هذه مصدر الآلام .

وكيف تفنى الآلام ؟

ان الآلام، ايها الاخوة، لا تفنى الا بالتحرّر من « الذات » والانفلات من كل شهوة عالميّة .

وما هي الطريق الموصلة الى افناء الآلام ؟

انها الممرّات الثمانية المقدسة التي توصل الى الاستقامة : النظر المستقيم، والكلام العذب ، والحكم العادل ، والعمل الجيّد ، والحياة الحقّة ، والجهاد الحسن ، والفكر المستقيم ، والتأمل الصالح .

وهاءنذا قد اريتكم ايها الاخوة سبب الآلام وكيف يكون فناؤها ، وعلى الجملة فان نحن تجردنا عن كلمة « أنا » وتحررنا منها، وابتعدنا عن الجهل ، واقتبلنا الاستنارة نضع حدّاً لكل الآلام حتى في هذه الحياة الحاضرة .

اعتزال الشرور العشرة

قال « بوذا » : ان جميع الاعمال السيئة تنتج عن شرور عشرة ، والابتعاد عنها يأتي بالحسن الجيد .

يوجد ثلاثة شرور جسدية ، واربعة لسانية ، وثلاثة فكرية ، امَّا الشرور الجسدية فهي : القتل والسرقة والزنى .

واما اللسانية فهي : الكذب والاساءة والوشاية والكلام الباطل ، واما الفكرية فهي : الطمع والبغض والضلال .

واني موصيكم بالابتعاد عنها جملةً :

لا تقتل ، بل احرص على الحياة .

لا تسرق ، ولا تسلب بل دَع المجتهدَ يلذُّ بثمار اتعابه

تنكَّب الدناءة ومِلْ الى النقاوة .

لا تكذب بل كن صادقاً ، وقُل بادراكٍ وبدون جزع وبقلبٍ محبٍّ .

لا تختلق شرّاً ، ولا تشته مقتنى قريبك بل غضّ بصرك ، وكن مدافعاً مخلصاً عنه ضدّ الاعداء .

لا تحلِفْ بل تكلم بوقارٍ واحتشام .

لا تبدّد الوقت بالهذر بل قل ما يجب او فاصمت .

لا تطمعْ ولا تحسد بل افرح لسعادة الآخرين .

نقِّ قلبك من كل شرّ ودنس ، ولا يمِلْ قلبك الى البغض بل أحبَّ عدوّك وعامِل الخَلْق بمعروفٍ واحسان .

حرّر عقلك من الكبرياء ، واسلك سبيل الصدق ، ولاسيما في ما تحتاج اليه، لئلا تسقط فريسة للريب والضلال، لأن الريب يجعلك مهملًا متوانياً ويقودك الى الجهل فتضلّ عن الطريق المستقيمة الموصلة الى حياة الخلود

ارسالية التبشير

قال « الواحد المبارك » لتلاميذه: هاءنذا ماضٍ ولا اخاطبكم بعد، فقد هذّبت عقولكم وطهرتها ، وعلمتكم الدين واصطفيتكم من الناس ، من عيَل كريمة ، وانبتكم عني لأن تبشّروا بالحقيقة فادعوا الناس لأن يلبسوا اردية « تتغاتا » ويدخلوا منزله ويشغلوا منـــبره . ان رداء « تتغاتا » سموّ ورحابة صدر وصبر. إنّ السكنى مع « تتغاتا » هي محبّة واحسان ، ومنـبره معرفة الشريعة الحقة بمعناها الروحيّ والجري على مقتضاها .

وعلى المبشّر ان ينشر الحقيقـة بجرأة وبدون خوف ، وعليه ان يتدرّع بالفضيلة والامانة لِما انتدب نفسه اليه ناذراً .

على المبشّر ان يحفظ كيانه ، ويسلك سبيل الاستقامة فلا تخدعه صحبة العظام والمتكـــبرين ، وليرغب في معاشرة ذوي القلـوب النقيّة المخلصة .

واذا سقط في تجربة فليلجأ الى « بوذا » فينقذه .

وعليه ان يقبل كلّ مَن جاء ليسمع بشارة العقيدة بجودٍ ، ويخدم بدون تذمّر .

وليبتعد عن المماحكات الباطلة، فلا يلوم احد اخوته المبشرين، ولا

يعثر بكلامه السامعين ، ولا يحرج احداً بالقول او ينال منه اساءةً ولوماً .

سيروا بأثوابٍ نظيفة وصباغ جيّد . نزّهوا عقولكم من كل مظنّة ولوم واسلكوا بسلام مع العالم اجمع .

لا تدخلوا بمخاصمات ، ولا تظهروا بمظهر الابّهة والعظمة، بل كونوا هادئين متواضعين .

نزهوا قلوبكم من كل خصام ، ولا تتركوا المحبة ، بل أَحبّوا الخلق كلّهم ، وليكن قصدكم الوحيد ربح الناس الى « بوذا » .

ليكن المبشّر غيوراً في عمله و« تتغاتا » يكشف له الشريعة المقدّسة بمجده الفائق ، ويشرّفه ببركته .

ان « تتغاتا » يبارك المبشّرين ، والذين يصغون اليه باحترام ، ويقبلون الدعوة بفرح .

إنّ الذين يقتبلون الحقيقة يجدون النور الصحيح . الحقّ اقول لكم ان قوّة العقيدة لا تكون بقراءة فقرة او الجهر بها ، او بحفظ بعض مقاطع الشريعة ، بل بالاقرار بالحقيقة والسلوك في طريق البرارة التي تقود الى النجاة من الشرير .

ان الذين ينغمسون في الشهوات الدنسة ، بعد ان يسمعوا الصوت الذي يطهرهم ؛ والجهلة الذين يشغفون بغواية هذا العالم عندما يلمسون حكمة العقيدة ؛ والذين يتصرّفون بغير استقامة بتأثير البغض بعد قبولهم « بوذا » المملوء جودة ومحبة ، يرون عذابات العالم الشديدة ولادة وموتاً ومرضاً وأوجاعاً ثم موتاً وولادة ، إلاّ ان يتطهروا ويشعروا

بسلام « النيرفانا » .

إنّ المبشّر المملوء نشاطاً ورجاءً لا يتعب ولا ييأس ، إنْ لم يجن ثمار اتعابه .

إنّ مثلَ المبشّر مثلُ رجل احتفر بئراً في ارضٍ مرملة ، فكلّما مضى في الأرض حفراً رأى الرمل الابيض الناشف ، فيعلم أنّ الماء ما زال عميقاً ، فلا يضطرب ولا ييأس تاركاً العمل ، قاطعاً الرجاء ، وكلّما تعمّق في الحفر تراءت له تباشير الماء النقيّة ، فعليه ألاّ يقطع الأمل ، بل ليمضِ في عمله حتى يظفر بالماء النقيّ .

وهكذا يكون شأن الجماعة الذين يسمعون كلمة الحقّ ولا يؤمنون ، فعلى المبشّر ان يواصل بشارته حتى يجوز اعماق قلوبهم وتستنير بنور الحقيقة .

اليكم اعهد بنشر كلمة « تتغاتا ، الواحد المبارك » أيها الرجال الاشراف المهذبون ، يا من انتدبتم انفسكم لنشر كلمة الحق .

اقتبلوا الحقّ واحفظوه ، اقرأوه واقرأوه واعلنوه الخليقة كلها في جميع انحاء المسكونة .

إنّ « تتغاتا » غير ضنين ولا ضيّق العقل ، فهو يهب الحق للبوذيين الكاملين الذين هم على اهبة ان يقبلوه ، فاقبلوه في قلوبكم واستنّوا سنته فيمنحكم الحقيقة التي تسكن في قلوبكم وتعطيكم قوة .

اجمعوا حولكم الذين يرغبون في سماع كلمة الحقّ المشرقة . انهضوا بغير المؤمنين ليصبحوا مؤمنين ، ويقتبلوا الحقيقة ، املأوهم نوراً وفرحاً ،

١٠

انهضوا بهم وساعدوهم ليعتلوا بالعقل فيشهدوا الحقيقة بجمالها الخارق ومجدها الغير المتناهي وجهاً لوجه .

وبعد ان فرغ « الواحد المبارك » من كلامه قال له تلاميذه : ايها السيد « المبارك » الفرِح بفيض الحقيقة والمستنير بانوارها، يا من اطفأت نيران الشهوات العالمية بغيث الشريعة المباركة ، يا سيد الحقيقة ورب البرارة ، إننا ايها الربّ نعمل ارادة « تتغاتا » ونتمّم رغبته ، وها نحن نقتبل صادعين لكلماته الحقّة المباركة .

وما فرغ التلاميذ من اعلانهم هذا حتى تجاوبت اصداؤه في ملء العالم كله ، وحلّت على البوذيين الذين يرغبون في سماع البشارة الخلاصية واقتبالها لينشروها في الخليقة الآتية .

فقال لهم « الواحد المبارك » : ان مثل « تتغاتا » مثل ملك عظيم يحكم مملكته بالبرارة والاستقامة ، وعندما يصطدم بالاعداء الحسدة ، يأتي بجنده ليحاربهم، فعندما يرى ذلك الملك جنوده يحاربون بضراوة، يغدق عليهم انعامه ويمنحهم عطايا كثيرة متنوّعة . انتم جنود « تتغاتا بوذا » حاربوا « مارا » الشرير عدوكم الذي يجب ان يُدحر ، و « تتغاتا بوذا » يمنحكم مدينة « النيرفانا » وهي العاضمة الكبرى للشريعة المباركة ، فعندما يندحر العدوّ ويزول ملكه ، يحلّ ملك الحقيقة « دهارماراجا » ببركته على كل تلميذٍ ويلبسه تاج مجدٍ محلى بالجواهر والحجارة الكريمة ، لانه نال الاستنارة العليا ، ونال السلام الذي لا ينفد معينه .

بوذا المعلم

دهارمابادا

ان « دهارمابادا » هي سبيل الدين الواجب على كل بوذيٍّ ان يسلكه .

ان الخليقة بأسرها قد انبثقت من العقل وتخلّقت بما اكتسبته من اخلاق ما حولها ، والعقل الاصيل فيها هو الذي يكون على استعدادٍ لقبول البركة او اللعنة .

ان الشرير يصوغ اخلاقه وبها يتألم بعد ان يضعه « مارا » في بؤرة الاوجاع والأحزان .

ان الانسان هو نفسه يطهر ذاته او يدنّسها . فابذل ما بوسعك لتتطهر ، و « تتغاتا » وحده يرشدك الى السراط الحق . والفكر الذي يلج سبيل الحقّ يتحرّر من قيود « مارا » الشرير ، فمن استيقظ ولبّى نداء ضميره يخلص ، واما الذي يتوانى ويكسل فيسقط .

ان الذي يرغب في الخلاص ، ويزعم انه ضعيف فيكسل ، فكسله لا يهديه طريق الاستنارة ، ومن احبّ نفسه قوي على ضعفه وسلك بتؤدة وانتباه ، والحقيقة العظمى تحرسه وتسدّد خطواته .

ان من يتعظ بما يعظ به الناس يلبّي صوت ضميره فيسمعه الآخرون وينصرونه ، لان المرء يصعب عليه ان يتغلب منفرداً .

ان كثيرين من الحمقى يزعمون ان الاشياء لم تكن لتتمّ لولاهم ، فعلى الناس ان يكونوا من رعيتهم ولا يأتوا عملًا الاّ بارشادهم ، فيا ايها الحمقى سواء كنتم من خدمة الدين او العلمانيين ، اتركوا كل ادعاء ولا تذكروا واجباً وقصداً تمَّ بواسطتكم ، بل اهتموا بما هو لأنفسكم واهدفوا الى الغاية التي يجب ان تصلوا اليها ، لأن كل شيء سوى الحقيقة باطل .

انه من السهل ان نقترف الاعمال المضرة، ولكن ايّ نفع نجنيه منها؟ فإذا اصرَّ احدٌ على صنع ما يضرُّ فدعه وشأنه ، فبعد قليل تراه هامة تسجّى على الارض بدون حركة او فكرٍ ، وعمله يتبعه .

الفكر الحسن ينتج اعمالاً حسنة، والفكر السيء يجيء بكل مُنكر .

ان عدم الاهتمام بالعالم هو سبيل الخلود، واما الطياشة فطريق الموت والولادة والالم .

الذين لا يهتمون بما للعالم يخلدون براحتهم الابدية، واما الراغبون في العالم فآلاماً يجنون .

الذين يتصوّرون الحقَّ في غير الحق، ويرون غير الحق في الحق، لن يصلوا الى الحقيقة ابداً . فما هم الا عبدة شهواتهم الباطلة، اما الذين يعرفون الحقَّ في الحق وغير الحق في غير الحقّ فهم الذين يصلون الى الحقيقة ويشتهون كل ما هو للحق . ومثلهم مثل الامطار الهاطلة على

بناء مرصوص يشد بعضه بعضاً فلا تخترقه المياه ، كما ان افكار الشرّ لا تقوى على العقول المستقيمة النيّرة .

واما البناء الذي بني بناءً قلقاً فالمياه تخترقه كما تخترق الافكار السيئة العقول السقيمة المتشهية فتهدمه .

ايها البررة دعوا الامطار تسلك في مجاريها ، ايها الرماة شدوا اقواسكم ، ايها النجّارون اعدوا الالواح الكبيرة المتينة ، ايها الحكماء احرصوا على الا يصيبكم لوم او يخدعكم مدح .

ان من يصغي الى الشريعة يعيش مطمئناً بلا لومٍ فمثلُه مثل سطح مياه البحيرة الهادئة .

ان الذي يفكر شراً فالشر يتبعه كما تتبع العجلة الثور الذي يجرُّها . وخير للمرء ان يتخلى عن اعماله الباطلة ، ويعمل حسناً فلا يندم ابداً .

ان ثمن الخطيئة الم واوجاع ، وثمن الصلاح طمأنينة وفرح وغبطة .

لا تفكّروا بالشر ولا تمل قلوبكم اليه لئلا يستغلكم « مارا » الشرير ويتركـكم باوجاعكم تتألمون .

ان الذين يعيشون لمسرّاتهم ويهتمون بما يأكلون ويشربون ، قد قيدهم « مارا » بقيوده وجعلهم ضعفاء يتلاعب بهم تلاعب الريح بالشجرة الضعيفة التي لا تصمد فتسقط . ان الذين لا يهتمون بما للجسد من اكلٍ وشرب ، فهم كصخرة ثابتة في اصل جبل لا تقوى الرياح على زعزعتها .

ان من عرف ضعفه وقوّاه كان حكيماً ، ومن ظنّ نفسه حكيماً وهو جاهل فهو احمق حقاً .

الخاطىء يُسرُّ بالخطيئة ويحسبها عسلًا ماذياً ، فلا يلبث ان يرى العسل مرارة ، والخطيئة ألماً واوجاعاً .

اما الصالح فانه يشعر بصلاح « دهارما » سيّد الخير فلا يلبث ان يرى ثمار صلاحه برداً وسلاماً .

ان البغض ينتج البغض والعداوة، والعقل المفكّر بالشرّ ينتج آلاماً واوجاعاً ، فكما ان الاب والام وذوي القربى يعملون الحسن لمن يحبّون هكذا العقل الصالح المحبّ يعمل صلاحاً لنفسه ولغيره .

من كان يشعر بضعف فليقوّ نفسه متغلباً على عدوّه ما استطاع، وليفرّ من امام وجهه ، لئلا يستهطه ضعفه امام عدوّه كما تسقط الدودة الناخرة الدوحة العظيمة . لا تستسلموا الى مسرّات العالم ولا يخدعكم سرابه ، إنّ الضعيف الساقط في الخطيئة يحصد ثمار ضعفه فيحرق نفسه .

ان المسرّات تهدم حياة الجهلة المتعطشين الى الشهوة الرديئة ، انهم يجنون على نفوسهم كأنها اعداء لهم .

ان الضعفاء بالروح يحرقون انفسهم في المكان الذي يدعوهم اليه اعداؤهم ، كالحاطب الذي يقضي على الشجرة ولا تستطيع مقاومة . لا تطلقوا عنان الفكر في سبل الشهوات المحرقة ، فالضعيف يحترق باعماله كما يحترق الحطب بالنار .

ان الرغبات العالمية تهلك الجهلة الذين يهدمون كيان اجسادهم

باستسلامهم الى اللذة .

انه من السهل ان نرى العيب في جارنا ولا نراه في انفسنا . لا تنظر الى عيب جارك قبل ان تتعهد عيوبك الكثيرة ، لئلا تنمو في الخطيئة فتسيء الى نفسك .

لا تَعِبْ اخاك بشيء قبل ان تنظر النقص الذي فيك. لا تهزأ بعمل الغير قبل ان تتدبر نتيجة عملك .

ان الصالحين تضيء اعمالهم امام الناس كما يلمع الثلج في اعالي الجبال بانعكاس نور الشمس عليه ، امَّا اعمال الاشرار فمثل سهم يشاط ليلًا فلا يصيب الهدف .

لا تربح لذّتك بالاساءة الى الغير. فالانانيّ المحبّ للذات لا ينفكّ عن الاذية والبغض .

قابلوا البغض بالمحبّة ، والسيئة بالحسنة ، والاساءة بالرحمة ، والكذب بالصدق .

واعلموا ان البغض لا ينفي البغض ولكنه يزول بالمحبة. قل الصدق ولا يمل قلبك الى الغضب ، ومن سألك فأعطه ، بهذه الثلاثة تتجلى الالوهة بصانعها .

الحكيم ينبذ عنه كل رديء ويتخلى عن انانيته ، كما يصفّي الصائغ الفضة من الاوشاب المختلطة فيها .

لا تستعمل الشدة ، بل اللطف واللين .

ان الذين يقتنون الفضيلة والدراية ، يتكلمون بالصدق ولا يعملون

الا ما يجب عليهم، فيحبهم الناس ويميلون اليهم. كما تشتار النحلة الاري من الزهرة ولا تضرها ، هكذا يجب ان يسلك الحكماء في الناس .

ان لم يكن للمسافر رفيق يماثله خلقاً وفضيلة ، فخـــير له ان يسافر وحده .

ما اطول الليل على الارقِ ، وما اقلّ راحة التعِب ، وما اشقّ الحياة على الجهلة الذين لا يرون نور العقيدة المثلى .

انه لخير للمرء ان يعيش ايامه الطويلة بدون دينٍ من ان يتعرف الى دين الحقيقة ويُعرض عنه .

الحقيقة واحدة لا تتجزأ ، فالذين يُراؤون ويكيّفون « دهارما » بحسب مشتهياتهم، ظانين انه صلاح، فقد خسرت صفقتهم وما يتصورون.

ليس في العالم الا حقيقة واحدة ، وهب ان الحقيقة تراءت لك بمظاهر شتى ، فكلّ ما يدعو الى الخطيئة ليس بحق البتّة .

لنكن يقظين فلا نُخدع ، ولنكن على اهبـــة السير وراء الحقيقة الواحدة ، وخير طرقها الممرّات الثمانية وليس طريق آخر خيراً منـه يقود الى الطهارة والبرارة والصلاح، لنسلك سبيله ولا نحد عنه، فان كل طريق سواه يسقطنا في حبال « مارا » المجرّب ، والسالك سبله يجني آلاماً واوجاعاً وحسراتٍ .

الحق اقول لكم، ان سبيل « تتغاتا » الذي بشرتكم به، هو الحق لا ريب فيه وقد نقيت الحسك من اللحم .

ليس بتقديم النذور ولا بكثرة المعرفة تربح السعادة بل بالبرّ

والصلاح والاستقامة .

ان الزاهد الحقيقي لا يختلط عليه امر العالم .

ان الابتعاد عن سبُلِ الخطيئة والنفور منها هو الدين السويّ .

ان هدية العبادة هدية مثلها ، وحلاوتها لذيذة وطعمها شهيّ ، فطوبى لمن عرفها وذاقها .

ان النور الحقّ يولّد نوراً والظلمة لا تدركه . قليلون هم الذين يجوزون السراط ويصلون الى الهدف ، وكثيرون يركضون صعوداً ونزولاً نحو الشاطىء فالذي ينهي مطافه بسلام لا يتألم ولا يحزن .

ان عبق التلميذ الصالح المستنير « ببوذا » يضيء نوره حكمة بين النفاية السالكين في الظلمة .

فكما يضوع عطر السوسن فوق الآكام والسهول هكذا تتضوّع فضيلته وبرارته .

لنعش بفرحٍ ، ونحب الذين يبغضوننا محررين انفسنا من كل بغض.
لنسلك بفرح متحررين من كل اعتلال ومتحررين من كل طمع وجشع .

ان الشمس يسطع نورها نهاراً ، والقمر يضيء ليلًا ، والمحارب يصقل سلاحه فيلمع ، والمفكر يستضيء بتأملاته ، وخير من ذلك كله نور « بوذا » الذي يسطع ليل نهار على الضعفاء والقديسين والمباركين ، والظلمة لا تدركه ونوره لا يخبو ابد الدهر .

البرهمانيان

في ذلك الزمان ، جاء « الواحد المبارك » الى كورة « كوزالا » وعرّج على قرية البراهمة المسماة « ماناسكريتا » وجلس في غابة المنغو.

فجاءه بَرَهميّان حدثان من مدرستين مختلفتين ، احدهما يسمّى « فازيشتا » والثاني « بهارادفاجا » ، فقال « فازيشتا » يسأل « الواحد المبارك » : اننا اختلفنا في حقيقة السبيل السويّ ، فقلتُ انا ان الطريق التي تقود للاتحاد « ببراهما » هي التي اعلنها البراهميّ « بوسخاراسادا » وزعم رفيقي ان الطريق المؤدّية للاتحاد « ببراهما » هي التي اعلنها « تاروكسيا » .

وبالنظر لقداستك وشهرتك ايها « الشارمانا » وانت تدعو الى النور معلماً الناس والآلهة، اتينا نسألك هل الطريقان هما طريق الخلاص؟ او يوجد طرق اخرى تحيط قريتنا، توصل الى « ماناسكريتا »، وهل طريق البرهمانيين المذكورين حقّ تقود الى الخلاص ؟

فأجابهما « الواحد المبارك » : اوتظنان ان طريقيهما حقّ ؟

— نعم نظنّ ذلك يا « غوتاما » .

— اجيباني ، هل حدثكم احد من البراهمة في كتاب « الفيدا » انه نظر « براهما » وجهاً لوجه ؟

وهل احد من معلمي البراهمة قرأ في « الفيدا » ان أحدهم شاهد

« براهما » وجهاً لوجه ؟

– كلا ايها السيد .

– وهل أحد ممّن كتب « الفيدا » أبصر « براهما » وجهاً لوجه ؟

– كلا ثم كلا .

فقال « الواحد المبارك » : ان ذلك يشبه رجلًا اراد ان يبني درجاً في مكان بين اربعة ممرّات ليصعد الى قصر فخم ، فسأله الناس : اوتعرف في اي جهة يسكن سكان القصر ؟ اهمْ في الجهة الشرقية ام الغربية ، ام هم في الجهة الجنوبية ام الشمالية ؟ اوتظن انهم في اعلاه ام في ادناه ام في الوسط ؟

فقال لهم : لا اعلم بالتمام الجهة التي يشغلونها .

– إذن كيف تشيّد هذا الدرج وانت لا تعلم الجهة التي يَسكن فيها الاصدقاء ، ولم ترهم قطّ ؟

– اني أُقيم هذا الدرج لأصل اليهم واتعرّف اليهم .

فقال « الواحد المبارك » : أليس هذا الرجل احمق ، لانه لا يعرف السبيل التي تصل به الى اصدقاء القصر ؟

فاجابه البرهميان الحدثان : بالحق نطقت يا « غوتاما » .

فقال لهما : كيف يقول لكم البراهمة اننا نريكم الطريق التي توصلكم الى « براهما » فتتحدان به ، ونحن لم نره ولم نتعرف اليه ؟ الحق اقول لكم ، طُرق البراهمة لا تسلكا ، لانها ضالة وباطلة .

فقال « بهارادجافا » : افلا يجب علينا ان نتبع تعاليمهم ؟

اجابه « الواحد المبارك » : انه من الصعب على البراهمة ان يثبتوا لكما من كتاب « الفيدا » السراط الذي يوصلكم الى الاتحاد بمن لم يعرفوه ولم يروه ، وما مثلهم الا مثل عميانٍ قد عُلـِّق امامهم خيط يترجّح في الهواء فلا يبصرون الى اي جهة يتجه والى اي جهة يرجع . فكلام البراهمة المعمَّى في « الفيدا » مثل هذا الخيط ومثلهم كعميان لا يوضحون شيئاً ولا يعلنون غاية ما .

ثم ان « الواحد المبارك » اردف قائلًا : لنفرض ان رجلًا ما جاء الى ضفة نهر واراد ان يجتاز الى الضفة الثانية لقضاء عمل ، اتصدقون انه يقدر ان يجتاز اليها بالادعية والاوردة والصلوات ، وهو قابع في مكانه ينظر ؟

اجابه البرهميان : بالحقيقة لا ، لا نصدّق انه يتأتى له ذلك ان لم يسعَ الى الضفة الثانية .

– اذن ، اعلما ان هذه هي طريق البراهمة الذين يعلمون الناس قائلين : « ايندرا » اليك نتوسّل ، « سوما » ندعوك فاستجب لنا ، « فارونا » عليك نتوكل فساعدنا ، « براهما » اليك نلجأ فقوِّنا ، ابمثل هذا يقدر البراهمة ان يتَّحدوا « ببراهما » بعد موتهم ؟ اجيباني ايها الصديقان، ماذا يقول هؤلاء البراهمة عن « براهما » ؟ الا اعلما ان عقولهم مريضة تجنح الى الشهوات ، يعلـّمون الناس ما ليس حقاً . أَلا قولا لي: ايكون « براهما » قوَّة شرٍّ واذيةٍ وكسل وكبرياء ؟

– كلا ، كلا ايها السيد المبارك .

ـ هـل بكثرة الادعية وتكرار الصلوات يتحرَّر البراهمة من ضلالهم ورذائلهم ؟

اجابه « فازيشتا » : لا اظنّ ايها السيّد .

اذنْ فاعلما ، اذا كان البراهمة لا يتحرّرون من رذائلهم وطمعهم، من الاذية والشرّ والشهوة والتواني والكبرياء والريب بادعيتهم هذه الباطلة، فكيف يقدرون ان يتّحدوا بمن ليس هو من طبيعتهم؟ وعليه فالحقّ اقول لكم : ان طرق البراهمة صحراء مرملة مجدبة وعرة تنبت اليأس وقطع الرجاء فلا تسلكوها .

فقال احد البرهميَّين : أُخبرنا انّ « غوتاما » الذي هو « شاكياموني » وحده يعرف سبيل الاتحاد « ببراهما » .

فقال لهما « الواحد المبارك » : ماذا تظنان ايها البرهمانيّان برَجل، وُلدَ بلا دنس، وقُدِّم الى « مانساكريتا » وكُشف له، ايجهل طريقَ « مانساكريتا » ؟

ـ لا ، لا ، يا غوتاما .

ـ اذن، اعلما : ان « تتغاتا » يعرف الطريق السويّ الذي يوصل الى الاتحاد « ببراهما » وهو وحده يعرف ذلك ولا احد سواه ، لانه في عالم « براهما » وفيه وُلدَ ، فهو فيّ وأنا فيه وكلانا واحد .

ـ اذن ، ارنا الطريق يا سيّد .

ـ هوذا « تتغاتا » ينظر الى العالم وجهاً لوجه ، ويفهم طبيعته ، ويعلن حقيقته ، بالحرف المكتوب والروح معاً ، وعقيدته المحبّة ،

محبّة الكمال ، محبة الازدهار بالنعمة ، ان « تتغاتا بوذا » في العالم يتجلى بحياته المثلى طهارة ونزاهة ومحبّة وكمالاً .

ان « تتغاتا بوذا » يجوب بعقله انحاء العالم الاربع بالمحبّة . والمحبة وحدها يجب ان تملأ العالم كله ويغنى بها بدون قياس ، يجب ان يبوّق بالمحبّة فتتجاوب اصداؤها في انحاء العالم الاربع ، واعلما : ان « تتغاتا بوذا » جـــاء العالم ليملأه محبّة وعدلاً ، ويحرّر العقول ، ويشعرها بالمحبّة العميقة .

هذه هي علامة الرجل الذي يتبع طريق الحقّ : الاستقامة مشعلُه يرى المخاطر فيتنكب عنهـا ، ويسلك سبيل الموت ليحيا بغنى القداسة قولاً وعملًا ، ويحرص على حياته نقيّة طاهرة . فالعمل الصالح مسلكه واليقظة باب شعوره ، فهو فرح ابداً قلباً وقالباً .

ان الذي يسلك سُبل الممرّات الثمانية على هدى ويقين يصـل ولا ريب الى « النيرفانا » و « تتغاتا بوذا » يلاحظ اولاده بمحبة فائقة ويساعدهم على رؤية النور .

ان الدجاجة التي تحضن ثماني بيضات او عشراً ترغب في ان تنقف هذه البيضات عن فراخ كاملة الخلقة تشهد النور بامان، وهكذا ايها الاخوان سبيل من يسلك درب الممرات الثمانيـة فإنه يصل ولا ريب الى النور الحقيقي والبركة .

حرس الجهات الست

بينما كان « الواحد المبارك » جالساً في غابة « البامبو » بالقرب من « راجاغريها » صادف « سريغالا » في طريقه يشير بيديه نحو الجهات الاربع ثم الى العلاء والى الاسفل .

فعرف « الواحد المبارك » ان حركاته هذه هي تقليد دينيّ يراد به طرد الشرير ، فسأل « سريغالا » قائلًا :

– لمَ تأتي مثل هذه المراسم ؟

اجابه « سريغالا » : اتحسب ما اعمل امراً غريباً ، اما تعلم اني بهذه الاشارات احفظ بيتي من الروح الشرير ، وحسناً اصنعُ ، اما توافقني على ذلك يا « غوتاما شاكياموني » يا من يدعوك الناس « تتغاتا » و « الواحد المبارك » ؟ اننا بهذه التعزيمات نطرد كل قوّات الشرّ . أَصغ اليّ واعلم اني بعملي هذا اتمّم ما علمني إياه ابي . اجابه « تتغاتا » : يا « سريغالا » ان تحفظ كلمات ابيك المقدّسة باحترام فرض واجب، وان تُعيذ بيتك وامرأتك واولادك وحفدتك من الشر وروح الشرير، حسن . ولست ارى ضرراً بما اخذته عن ابيك ، ولكن ارى انك لم تفهم معنى هذه المراسم فدع « تتغاتا » الذي يكلّمك كأب روحي ويحبك محبّة لا تقلّ عن محبّة والديك ، يوضح لك معناها .

لا يكفي ان تحفظ بيتك بالمراسم المقدسة بل يجب ان تحفظه بالاعمال

الحسنة ، فارجع الى والديك في الغرب والى معلميك في الشرق والى امرأتك واولادك في الجنوب والى اصحابك في الشمال فاذكرهم كلما التفتّ ناحية من هذه النواحي، منظماً علاقاتك الدينية مع من هو فوق في الاعالي ومع من هو على الارض .

هذا هو دين آبائك الذي يرغبون في ان تتمّه ، متذكراً واجباتك نحو كل قريب وحيّ .

وللحال التفت « سريغالا » باحترام نحو « الواحد المبارك » التفاته نحو والديه وقال : بالحقّ يا « غوتاما » انك « بوذا المبارك » والمعلم الصالح، وما كنت اعلم هذا من قبل ، واما الآن فقد عرفت انك اعلنت لي الحقيقة التي خفيت عني ، فكنت كأعمى يسلك في الظلمة . وهاءنذا الجأ الى المعلم المستنير ، الى الحقيقة التي تنيرني والى الاخوة الذين وجدوا الحقيقة .

سؤال سيمها عن الفناء

في ذلك الزمان كان يجتمع خلق كثير من الاشراف الوطنيين في ساحة المدينة يتحدثون عن « بوذا ، دهارما ، وسانغا معاً » وكان في جملتهم القائد « سيمها » من شيعة « نيغرانتا » ففكّر يوماً في نفسه وقال : لا ريب في ان « الواحد المبارك » هو « بوذا المقدس » حقاً فعليّ ان اسعى الى زيارته .

فقصد الى « نيغرانتا » رئيس الفرقة واسمه « اجنيابوترا » يعرض عليه عزمه على زيارة « شارمانا غوتاما بوذا » .

فاجابه : ما لك وله يا « سيمها » فهو ينكر على الذات اعمالها ، وانت نفسك خبرت نتيجة اعمالها وعرفتها حقاً . ان « شارمانا غوتاما » يا « سيمها » ينكر الذات وعملها ، ويعلّم بعقيدة تنافي العمل مطلقاً ، وينشر تعاليمه بين تلاميذه بدون ارادة واختيار . فانقبض قلب « سيمها » وضعف شوقه الى رؤية « الواحد المبارك » ولكن القائد ما زال يسمع المدح والاطراء على « بوذا ، دهارما سانغا » الذي هو نفسه « الواحد المبارك » فتحرك فيه الشوق ثانية الى مشاهدته ، فقصد مرّة ثانية رئيس « نيغرانتا » يسأله السماح بزيارته ، فلم يأذن له وأَقعده عن قصده .

ولكن القائد « سيمها » ما زال يسمع الاطراء المتزايد على « الواحد المبارك » من اشراف الناس معجبين بتعاليمه ، فقال : لا شك في ان

« شارمانا غوتاما » هو نفسه « بوذا المقدس » فما لي ولرئيس فرقة « نيغرانتا » . سأذهب الى « بوذا المقدس » سواء رضي « ميناتابوترا » ام لم يرضَ .

ولما اقبل « سيمها » على « الواحد المبارك » قال : سمعتُ يا سيّد ان « شارمانا غوتاما » يعلم ناكراً الذات واعمالها وليس لما تأتيه من عمل مكافأة ، وانك تزعم ان كل شيء باطل ، وانه يتغير ويتبدل ، وكل عمل تأتيه الذات زائل لا قيمة له ، فالاحياء يموتون وتذهب كل افكارهم ، فارجو منك يا سيدي ان تخبرني ، هل الذين ينقلون عنك هذه التعاليم صادقون ، او انهم ينقلون عنك كذباً وبهتاناً ، فارجو ان توضح لي ذلك يا « دهارما » لانك « دهارما » ، فأجابه « الواحد المبارك » : ان من ينقل عني ذلك قد يكون محقاً وربما لا يكون . فانتبه واصغ الى ما اقول :

اني اعلّم يا « سيمها » ببطلان الاعمال السيئة سواء كانت بالقول او الفكر او الفعل .

اني اعلّم بتطهير القلب من كل عمل دنيء يقود الى الشرّ .

اني اعلّم يا « سيمها » بان تكون الاعمال كلها بارّة قولاً وفعلاً وفكراً ، واني اعلّم ايضاً بما يصدر عن القلب الطاهر المنزّه عن كل غواية وفساد . لان القلوب التي تفكر باطلاً يجب ان تحرق وتضمحل ، اما الذي يحرّر نفسه من كل عمل رديء سيّء فيستأصله ناكراً ذاته ، كما تُستأصل النخلة التي لا تأتي بثمر جيّد .

وإني اعلن جهراً يا « سيمهـا » باستئصال الأنانية والشهوة والفكر السيء . ولا اعلـّم ابداً بفناء اعمال المحبّة والحنان وبطلانها . واعلمْ يا « سيمها » ان اعمال الشرّ بجملتها باطلة سواء كانت بالقولْ او الفعل او الفكر . واما الفضيلة والبرارة وما ينتج عنهما من ثمار حسنة فانهما يستحقان كل مدح وثناء .

فقال « سيمها » : ولكن يا سيد ، ان شيئاً واحداً ما زال يقلقني وهو ما يعلـّم به « بوذا المقدس » . هل يأذن « تتغاتا » بقصاص المجرمين ؟ وهـل يأذن « تتغاتا » بالحرب دفاعاً عن منازلنا ونسائنا واولادنا وما نملك ؟ وهل يجب ان نستسلم بحيث نتألم ويُغتصب حقنا ولا نبدي حركة ؟ وهل يجب ان نقابل الاساءة بالبركة ، ونتناسى اعمال الشر ؟

اجابه : ان « تتغاتا الواحد المبارك » يقول : ان من يستحق القصاص يجب ان يقـاصّ ، ومن يستحق الرحمة يجب ان يرحم ، وإن تعليمي الذي لا غبار عليه هو : الابتعاد عن الشرّ والنقيصة والاثم والمنكر ، وعلى كل حيٍّ ان يمتلىء محبة ووداعة .

واعلم ان من حُكم عليه بالاثم او المنكر لا يقدر ان يبرّر نفسه من عمل الشرّ ان كان مذنباً ، وعـلى القاضي ان يحكم بالعدل . ولا يلام الحاكم اذا قضى بالموت على من يستحقّ الموت لان لكلٍّ ثمرة طعماً ، والحكم العدل يطهر النفس ويقود الى التوبة فتفرح النفس لانها تخلصت من الشرّ .

وتابع « الواحد المبارك » قوله : ان « تتغاتا » يعلن العالم اجمع ان

من يقتل اخاه يجازى، ولكن الجنديّ الذي يذهب الى الحرب مرغماً ومدافعاً عما أُمرَ به لا يلام وانما اللّوم الشديد يقع على من سببها وابى ان يصرفها بسلام وتؤدة .

ان الدفاع عن النفس حسن جداً، واحسن من ذلك ان نقاوم الشر بالمحبّة ما استطعنا، ونقاوم القوّات المضلة فنطردها عن افكارنا، لئلا نسقط في التجارب فنخسر انفسنا، واجلّ دفاعٍ هو الدفاع عن البرّ والحقيقة .

واما الذي يدافع عن الذات وانانيتها طلباً للغنى والشهرة والمجد فلن يرى مكافأة بل ينال مذلّة وخسراناً .

واما من يدافع عن البر والحقيقة فهو الذي ينال اكاليل المجد ويشهد النصر المبين .

ان الذات ليست الاناء المصطفى للنجاح. انها ضعيفة وحقيرة وعرضة للاضمحلال والفناء، فليس لعملها بقاء او اجرٌ ما .

ان الحقيقة وحدها تكافىء من يعرفها ويبذل في سبيلها، لأن عمل الذات يذهب هباء منثوراً كفقاقيع صابون تضمحل في الهواء، واما الحقيقة فتقود الى حياة الخلود الابديّ .

ان الذين يحاربون يا « سيمها » في سبيل البرارة والمحبة يقاومهم محبّو الشرّ والآثام . ولكن النصر يكون لمحبي السلام الذين تتهلّل نفوسهم فرحاً بالمحبة الشاملة والاعمال البارّة .

فعلى كل حيٍّ ان يطهر قلبه من البغض والموجدة والشرّ. وليصغ الى

صوت الحقيقة الصارخة علناً : تعالوا نعش بامن وسلام اخوةً بررة ، فنفرح بالنصر الآتي الذي لا تذبل ثماره ولا تهرأ .

ان نتيجة العظمة نجاح ونصر ، ولا ينالها الا من يتغلب على الذات ومشتهياتها . ان عقيدة الانتصار على الذات لا تعلّم فناء النفس بل تعلم حفظها . ان من ينتصر على الذات يَغلب فلا يعرف عبودية . ان من يحرر عقله من كل غواية ذاتية لا يتقهقر الى الوراء في معركة الحياة .

ان من يسلك في البرارة والعدالة لا يصادف سقوطاً فيُضفرُ على مفرقه اكاليل العظمة والمجد. ان من ينبض قلبه بحب الحقيقة، يحيا ابداً ولا يدركه الموت لانه شرب من ماء الخلود .

دافعْ بضراوة لتخرج من المعركة منتصراً . كن جندياً للحقيقة و « تتغاتا » يباركك ويشرق عليك انواره .

وما انهى « الواحد المبارك » قوله حتى اجابه القائد « سيمها » : المجد لك يا سيّد ، المجد لك يا قبس الحقيقة ، المجد كل المجد هو عقيدتك التي تعلنها يا « واحداً مباركاً » ولا ريب في انك انت « بوذا » انت « تتغاتا » انت « الواحد المقدس » يا معلّم الانسانية وممهد طريق الخلاص فكل من يسلكه يرى نوراً عظيماً ، فلا تعثر رجله ويجد بركة وسلاماً، وهاءنذا الجأ اليك يا سيّدُ معتنقاً تعاليمك الخلاصية فاقبلني في عداد الاخوة منذ الآن .

فاجابه « الواحد المبارك » : اعتبر يا « سيمها » اعمالك واعلم ان رجلاً شريفاً مثلك لا ينقاد عفواً بدون ان يتدبر الواجب الذي يلقى عليه .

فتزايد ايمان « سيمها » وقال : ليس لاحـدٍ سواك ان يجعلني من تلاميذه ، وهاءنذا اقول ثانية اني التجىء اليك ايها « الواحد المبارك » يا « دهارما » و « سانغا » فاقبلني منذ اليوم تلميذاً في عداد تلاميذك . فاجابه « الواحد المبارك » : لقد كانت اعطياتك قديماً « لنيغرانتا » وها ان بيتك يصبـح مضافة للذين يأتونك جائعين يسأونك حسنة زهدهم . وللحال امتلأ قلب « سيمها » فرحاً وقال : ان اعطياتي لن تقدَّم الا لمـا امر به « شارمانا غوتاما » فتلاميذ « بوذا » وحدهم ينالونها وليس غيرهم ، وقد امر « الواحد المبارك » ان اقـدم اعطياتي الى جماعة « نيغرانتا » الذين يسمعون ويؤمنون بالروح والحـق ويأتون وينالون غذاء روحهم مما أُعطيتُ ، وهاءنذا للمرَّة الثالثة اعلن جهراً التجائي الى « الواحد المبارك » ، الى « دهارما » ، الى صداقته المثلى ، الى « بوذا المقدس » ، الى ما يأمرني به .

كل وجود هو روحي

كان بين المقربين من « سيمها » ضابط قد سمع المحادثة التي جرت بين « الواحد المبارك » والقائد ، وقد بقي في قلبه بعض الشك مما سمع .

فجاء الى « الواحد المبارك » وقال له : يحكى عنك ايها « الشارمانا » انك تنكر وجود النفس، فهل ما يحكى عنك حق؟ ام انهم ينقلون عنك ما لم تقل به ؟

اجابه « الواحد المبارك » : ان ما يحكى عني وعن تعاليمي قد يكون حقاً وقد يكون كذباً ، لان الذين يتحدثون بذلك لم يفهموني .

ان « تتغاتا » لا يعلّم بوجود ذات خالدة، فمن زعم ان النفس هي الذات وان الذات هي المفكّرة وهي التي تأتي الاعمال، فتعليمه باطل يقود الى الظلمة .

واعلم ان « تتغاتا » يعلن جهراً انه يوجد عقل هو ما تعرف به النفس وهو موجود يعلن الحقيقة التي تقود الى الطهارة والنور .

فاجابه الضابط : وهل « تتغاتا » يقرُّ بوجود شيئين نحسّ بهما في حواسنا وعقلنا ؟

اجابه « الواحد المبارك » : الحقّ اقول لك ، ان عقلك روحي هو

ولكن يتراءى انه ماديّ غير روحي. على ان الحقيقة الابدية التي تسيطر عليه هي روحية وتزداد بها النفس معرفة كلما تعمّقت في فهم هذه الحقيقة. والبوذيّ يتغير من طبيعته المادية الى طبيعة عقليّة ، وكلّ حيّ يتبدّل الى حقيقة .

الذاتية وتبدلها

اقترب من « المبارك » « كيتادنتا » رئيس البراهمة في مدينة « داناماتي » وحيّاه باحترام وقال : أُخبرتُ يا « شارمانا » أنك انت « بوذا الواحد المقدّس » العارف كل شيء، وانك انت سيّد العالم، وما دمتَ انت « بوذا » فلماذا لا تظهر بمجدك العظيم بابّهة وجلال كملكٍ قدير ؟

أجابه « الواحد المبارك » وقال : افتح عيني عقلك ، مبدّداً عنك الغيوم العالميّة ، تشهد قوّة الحقيقة وتتبين ما هو اعظم مما ترغب لي .

فقال « كيتادنتا » : وما هي قوّة الحقيقة؟ أَرِني اياها فاني ما آتبيّنها ، ويخيَّل لي ان عقيدتك وهم ليس فيها ما يشعر معتنقها بالوجود ، واني اظنّ أنها ستذهب وتضمحل هباءً منثوراً .

فردّ عليه « الواحد المبارك » قائلًا : ان الحقيقة يا « كيتادنتا » لا تذهب هباءً منثوراً ولن تذهب ، بل هي باقية خالدة بقاء الأبد .

فقال « كيتادنتا » : اوما علمت يا « شارمانا » ان الذي يعلّم الشريعة الحقة عليه ان يعتصم بالدين ورسومه ، فهؤلاء تلاميذك يصلّون ويتركون ذبائح الآلهة التي لا تُسترضى إلاّ بالذبائح والمحرقات ، والدين الحقّ يقوم على العبادة وتقديم الأضاحي .

أجابه « بوذا » : ان تضحية الذات اعظم بكثير من تقديم الاضاحي والمحرقات ، فالذي يقدّم للآلهة « الذات » ومشتهياتها خير من الذبيحة

الباطلة ، واعلم ان ليس للدم قوة التطهير، ولكنَّ جَلدَ الشهوة يطهر القلب ويبعده عن كل خطيئة ، والانقياد الى شريعة البرارة والتسليم المطلق اصحّ من عبادة الآلهة والتضحية لها .

وما سمع « كيتادنتا » كلام « الواحد المبارك » حتى أخذه الريب في ما كان يؤمن به ، وشرع يبحث عن النفس وخلاصها فتراءى له أنَّ ما قدّمه من الذبائح وقام به من الشعائر كان ضرباً من الجنون . واخذ تعليم « تتغاتا » منه مأخذ التفكّر، فقال : يا سيّد وما هي ولادة الاحياء الثانية وما هي تجليات الحياة ، وكيف يحصد المرء ما زرعه بشريعة « كارما » ، ان كان ينكر وجود النفس التي هي الذات ، وقد سمعت تلاميذك ينادون باضمحلال الذات لأن باضمحلالها بركة « النيرفانا ». فاذا كنت انا مركّباً من « سامسكارا » اي الجسد فوجودي ينتهي عند القبر ، وأما اذا كنت مركباً من احساس وافكار ومشتهيات فلا اظنّ ان هذه تضمحلّ بانحلال الجسد .

اجابه « الواحد المبارك » : اما علمت ايها البرهمي انه يوجد دين ويوجد شوق ، اما الدين الذي تدعو اليه بانغماس النفس بالاعمال الباطلة فهو هباء منثور . واما الشوق فهو الولادة العقلية او الولادة الروحية التي تتمّ بنكران الذات والابتعاد عن الخطيئة ، التي غرق فيها الناس وغطّوا في احلامهم زاعمين ان النفوس منفصلة عن الذوات ، وهاءنذا أرى ايها البرهمي أنّ قلبك ما زال بقرب الذات التي تشتهي كل ما هو للعالم ، فان كنت تصبو الى السماء وتشتاقها ، فبحثك عن الذات

ومسرّاتها ، ونيلها المغفرة بالذبائح لا يريك بركة الحقيقة وخلودها .

الحقَّ الحقَّ اقول لك : ان « الواحد المبارك » ما جاء العالم ليعلم الموت بل ليعطي حياةً للذين يحسّون طبيعة الحياة والموت . ان مصير الجسد انحلال فلا تنفعه تضحية الذبائح ولا تشفع به . وخير من ذلك ان نبحث مفتشين عن الحيـــاة العقلية ، عالمين ان الذات ليست حقيقة ، وحيثما وُجِدت الحقيقة بطلت الذات ، وعليه دع العقل يطمئن في الحقيقة ، نامياً فيها واضعاً كلّ ارادته فيها مستسلماً لها لأن في الحقيقة حياةً ابديةً .

الذات موت ، والحقيقة حياة ، والاقتراب من الذات والتمسك بها موت دائم ، والسعي وراء الحقيقة يُكسِب « النيرفانا » حيث الحياة الدائمة ابداً .

فسأله « كيتادنتا » : واين هي « النيرفانا » أيها السيد ؟

أجابه « الواحد المبارك » : إنّ « النيرفانا » نعمة عظمى لا نحسّها إلاّ في الانقياد الى الطاعة والابتعاد عن مطلق الخطيئة .

فقال « البرهميّ » : دعني افهم جيداً ، أليست « النيرفانا » مكاناً معيّناً في بقعةٍ ما ، ام هي مكان عقلي ؟

اجابه « الواحد المبارك » : ارى أنك لم تفهمني جيّداً فاصغِ الى ما اقول : أتقدر ان تعيّن لي مكان الهواء ومن اين يهبّ والى اين يذهب ؟

أجابه « البرهميّ » : ليس للهواء مستقرّ .

ــ اذن اعلم ان لا شيء كالهواء إلاّ الحكمة ، فهل تعرف لها

مسكناً واستقراراً ؟

– ليس للحكمة مكان معيّن في ما اظنّ .

اجابه « الواحد المبارك » : أوتزعم إذن انه لا يوجد حكمة ولا استنارة ولا برارة ولا خلاص، لانها « كالنيرفانا » ليس لها مكان معيّن. فكما ينفخ الهواء الذي يكتنف العالم بأسره في الايام الحارّة ، ينفخ « تتغاتا » في عقول الجنس البشريّ شهيق المحبة برداً وسلاماً ، فتخفّ الآلام وتضمحلّ الاوجاع ويحلّ الفرح كهواء عليل يُذهب حمارّة القيظ وشدّة الحرّ فيحسّ « بالنيرفانا » .

فقال « كيتادنتا » : ارى يا سيدي انك تعلن عقيدة عظمى يصعب عليّ اعتناقها ، فتحمّل ضعفي واسمح لي ان اقول : ان لم يكن يا سيّد « اتمان » اي ذات متنفّسة ، فكيف يكون خلود ؟ فتفاعل العقل يتمّ بالفكر وحيث لا فكر لا عقل .

اجابه « بوذا » : اعلم يا هذا ان التفكير يذهب واما الفكر فيبقى . الافكار تضمحل واما المعرفة فتبقى .

فقال له « كيتادنتا » : وكيف ذلك ؟ اليست الافكار والمعرفة شيئاً واحداً ؟

وانبرى « الواحد المبارك » يوضح الفرق بين الافكار والمعرفة فقال : يشبه ذلك ان رجلًا اراد كتابة رسالة ليلًا ، فدعا اليه كاتبه واشعل القنديل وكتب؛ وبعد نهاية الرسالة اطفأ القنديل ، واما الكتابة فبقيت برغم انطفاء القنديل ، فالكتابة هي المعرفة والفكر هو نور القنديل ،

فالانفعالات الفكرية في العقـل تخبو واما التجارب والحكمة وثمـار اعمالنا فتبقى .

– هل لسيدي ان يقولَ لي ماذا يحدث « لسامسكارا » اي الجسد المركب اذا انحلّ ، هل تبقى ذاته عينها ، والافكار عينها ، وبعد ان تتفلّت النفس من هذا المركّب اتبقى هي ، هي ، واين تكون الذات وما مصيرها ؟

اجابه « الواحد المبارك » : افرض ان انساناً اضاء قنديلًا ليلًا أيكون النور واحداً في كل ساعات الليل ؟

– نعم ، يجب أن يكون كذلك .

– وهل القبس الاول الذي كان في بدء الليل هو نفسه في منتصف اللّيل ؟

فتردّد « كيتادنتا » ثم فكّر قائلًا : قد يكون ذلك واني لأخشى في ما تضربه لي من الامثال ان يكون فيها بعض ارتباكات مخفيّة المعنى فجرّب يا سيدي ان تصارحني .

اجابه « الواحد المبارك » : الا ترى انه يوجد قبسان ، قبس في الهزيع الاول من الليل هو غيره في الهزيع الثاني ؟

– من البدهي ألا يكون القبسان واحداً ، وقد يكونان واحداً اذا كان ما اشعلناه من مادّة واحدة في القنديل .

اجابه « بوذا » : حسناً قلت ، أوتظنّ ان الزيت الذي وقدته البارحة هو الزيت نفسه الذي تشعله الليلة وهل ضوء الليلة البارحة كضوء هذه الليلة؟

– ان لم يكن الزيت قد تغير في اثناء النهار ، وجب ان يكون الضوء مماثلاً لليل الماضي .

فقال « تتغاتا بوذا » : وهل الوقت الذي اضيء فيه الزيت كالوقت الذي يضاء فيه الزيت الآن ؟

اجابه « البرهمي » : قد يطرأ على الوقت بعض التغير بتأثير الفلك فلا يماثل اليومُ الامس .

اجابه « الواحد المبارك » : حسن لقد اتفقنا ، ان الوقت تغير والضوء كذلك في الغرفة نفسها ، أليس كذلك ؟

– نعم ، قد يكون .

وتابع « المبارك » قائلًا : لنفرض ان رجلًا يفكّر تفكيرك ويسلك سلوكك ، ويقوم بالعمل الذي تقوم به انت بعينه ، أليس هو رجلًا مثلك فتكون انت هو ، وهو انت ؟

– لا ، لا اكون انا إياه ، وهو إياي .

فردّ عليه « بوذا » قائلًا : لِمَ تنكر ذلك ؟ وانت وهو بفكرٍ واحدٍ وعملٍ واحد وما ترغب فيه انت يرغب فيه هو ، أمن المنطق ألاّ تكون انت اياه وهو إياك ؟

عندئذٍ فكّر « كيتادنتا » في نفسه وقال : لا ، ليس هو إياي ، وان كان المنطق يقضي بذلك ولكنّ النتيجة لا تفضي الى وحدة « الذات » لان ذاتي يجب ان تختلف عن ذاته وان تساوت الأفكار والرغبات والأسماء والأعمال . فان لكلّ واحدٍ وجوداً منفصلًا عن الآخر .

أجابه « بوذا » : بالصواب نطقت يا « كيتادنتا » فان بينكما اختلافاً، ولكن قل لي ان الشخص الذي كان في المدرسة وانهى علومه وتخرّج منها ، وارتكب جريمة قضت بقطع يديه ورجليه ، أليس هو نفسه الذي كان في المدرسة ؟

– نعم ، انه هو نفسه .

فسأله « تتغاتا بوذا » : اذن فعدم التغيّر يستمرّ ما دامت الحياة ؟

أجاب « كيتادنتا » : لا ، ان ذلك لا يكون بل ان التغيّر يطرأ على العقلية .

فقال « بوذا » : انك توافق إذن على ان هذا الشخص يقدر ان يكون كقبسين من زيتٍ واحد ، واذا اتفق شخصان قولاً وفكراً وعملاً واسماً لا يكونان واحداً ، وان اليوم ليس كالأمس ، والجسد هو في تغيّر مستمرّ في حال الطفولة والحداثة والشباب والشيخوخة. وشخصيتك غير شخصيّة الآخر ، فالشخصية التي يهبها « كارما » لا ينالها الموت وهي دائمة الحياة .

فردّ « كيتادنتا » قائلًا : أَهذا ما يبقي وجودي الذي لا اهتم به كثيراً ، لأنه تجرّد عن الذاتية التي ادعوها « انا » ؟

أجاب « بوذا » : هذا ما اردت الوصول اليه معك ، انه لمن الضلال ان ننكر على الشخصية وجودها ، مع علمنا ان كل شيء دونها ينحلّ ويفنى ، وكل مركّب ينحل ، وهذا المركّب هو غير الشخصية التي نتركه لتحلّ في مركّب آخر عندما يتعطل المركّب الأول فلا

يقوى على حفظها ، كالنور الذي يتصاعد في الهواء ويخبو عندما يفرغ القنديل من الزيت . ولكل مركّب ذات وحياة وزمن .

فقال « كيتادنتا » : وكيف ذلك يا سيّد ؟

اجابه « بوذا » : ان ذاتك المتحدة بك هي عرضة للتغير. لقد كنت منذ زمن طفلاً صغيراً ثمَّ تدرجت الى سنّ الحداثة فالشباب فالرجولة ، فهل من فرقٍ بين هذه الادوار ، وهل بينها مماثلة ، أليس مثلها مثل النور الاول والثاني والثالث ، يتناقص الزيت كلما اندلعت ألسن اللهيب ، فهل هذه واحدة في الامس وما قبله واليوم ؟

فدهش « كيتادنتا » وقال : يا ربّ العالم لقد ادركت خطإي واني اقر معترفاً بك وبعقيدتك . وواصل « تتغاتا » قائلًا : ان بقوّة التحوّل كان « سامسكارا » اي الجسد . ولا جسدَ الا بقوّة التدرّج ، ويقوم بالاعمال بواسطة الذات التي تتردّد فيها الحياة او الشخصية وهي هي في الماضي والحاضر والمستقبل ، وهي التي تحصد ما زرعت في وجودها المتنقّل .

اجاب « كيتادنتا » : بالحقّ نطقت ياسيّد . اني ما كنت اعلم اني احصد ما زرعت في الامس البعيد .

واستمرّ « الواحد المبارك » في حديثه يقول : ان المرء يحصد ما قامت به ذاته الماضية، وليس احد سواها. تأمل يا «كيتادنتا» الشخص الذي يتألم بأوجاعه ، ويتعذّب بوجوده ، انه يكفّر عن سيئات سابقة ، اقترفها في جهله وهو لا يعلم معنى الخلاص ، وهاءنذا « تتغاتا » اعلن

الملأ اليوم ان احداً ما لا يقدر ان يهرب من اعماله الشريرة ، فلا السموات ولا البحار ولا الجبال ولا ايّ مكان آخر يقدر ان يعصمه ، فالجميع على السواء يستغلّون نتيجة اعمالهم ، ولن يشعر الانسان « بالنيرفانا » إلاّ ان يتطهر وينقى .

وكلما طالت سفرة الانسان لا بدَّ له من أن يرجع الى منزله فيستقبله أصحابه بالترحاب . ان الشخصية التي تتقلّب في اسفارها الطويلة ، لا بدَّ لها من الرجوع راضية مرضية مطهرة الى منزلها ويرحّب بها بحسب اعمالها فمن سلك طريق البرارة في حياته الحاضرة يعبر الى حياة غيرها مطمئنة .

فقال « كيتادنتا » : آمنت بالمجد الآتي والعقيدة السامية ، إنَّ عينيَّ لم تتبيَّنا النور من قبل ، وقد عرفت الآن ان الذات باطلة والحقيقة هي وحدها تسيطر عليَّ ، والذبائح لا تخلّصُ والدعوة اليها هذَر ، ولكن كيف اظفر بطريق الحياة الأبدية ؟ اني اعرف « الفيدا » عن ظهر قلبي ولكني لم اجد الحقيقة فيها . اجابه « بوذا » : ان التعليم شيء حسن ولكن لا قيمة له ، لأن الحكمة الحقيقية هي وحدها تنفع ، فلنمارس الحقيقة التي هي اخت لنا ، لنسر في طرق البرارة والاستقامة فنعرف ان الذات مائتة واممّا الحقيقة فخالدة . فصاح « كيتادنتا » : دعني الجأ اليك أيها « الواحد المبارك » واقبلني بين الاخوة كتلميذٍ لأشارك بالبركة الخالدة .

بوذا حاضر في كل مكان

وبعد ذلك قال « الواحـد المبارك » : ان الذين لا يؤمنون بي يدعونني « غوتاما » امَّا انتم فادعوني « بوذا، الواحد المبارك ، والمعلّم ».

الحقَّ الحقَّ اقول لكم : اني في حياتي هذه قد دخلت « النيرفانا » واضمحلّت حياة « غوتاما » وتخلّصت من الذات بحلول الحقيقة فيَّ . ان هذا الجسد الذي ترونه هو جسد « غوتاما » فسينحلّ في وقتٍ ما ، ومن ثَمَّ لا يرى احدٌ « غوتاما » ثانية ، لا إله ولا انسان ، ولكنَّ الحقيقة التي فيه تبقى أبداً ، واعلموا ان « بوذا » لا يموت ابداً بل يبقى حيّاً في جسد الشريعة المقدّسة .

إنَّ زوال « الواحد المبارك » قد أشرف فـلا ينتقل الى ذاتٍ ولا يشار اليه ككائنٍ هنا او هنالك بل سيغدو لهيباً في جسمٍ عظيم ملتهب ، قد يهدأ ويختفي فلا يقال انه هنا او هناك او هنالك ، انه في « دهارما » فلا يشار اليه في مكانٍ ما لانه في كلّ مكان وقد بشركم به « الواحـد المبارك » .

يا اولادي ، ثقوا اني انا ابوكم ، وبواسطـتي نجوتم من الآلام والاوجاع. انا نفسي وصلت الشاطىء الآخر لأساعد الآخرين على اجتياز ساقية الآلام ، وقد دُفع لي كلُّ سلطان فأنا المخلِّص المنقذ، اطمئنّوا

لأني سأنقذ الآخرين وأقودهم الى مقرّ الراحة .

سأبعث فرحاً في المتعبين ، وامنح غبطةً لموتى الأوجاع ، وأمدّهم بالمساعدة للخلاص .

لقد ولدتُ في هذا العالم ملكاً للحقيقة لكي اخلّص العالم ، فالذي اقوله حقّ وما اقوله عن نفسي حقّ ، وما ابشّر به حقّ ، وافكاري ما زالت في الحقيقة لأنني انا الحقيقة . انظروا : لقد صرتُ حقيقة فأنا فيها وهي فيّ ، فمن رآها فقد رآني انا « الواحد المبارك » الذي اعلنت نفسي بنفسي حقيقة .

•

جوهر واحد

شريعة واحدة وقصد واحد

طلب «تنغاتا» الى المحترم «كاشيابا» ان يبدّد من عقله كلّ شكّ وضلال فقال : اعلم يا «كاشيابا» ان الأشياء كلها صُنِعت من جوهرٍ واحد ، وان اختلفت نوعاً وشكلًا ، بحسب ارادة الصانع ، وكلها تعمل العمل الذي أُعِدَّت له .

فكما أنّ الفاخوري يا «كاشيابا» يصوغ من طينة واحدة انواعاً مختلفة من الاواني الخزفية ، فيجعل واحدة للسكر وأُخرى للأرزّ وغيرها للبن الى غير ذلك ، وليس للطينة ارادة في صنعها بل هي ارادة الصانع المتصرّف بها ، هكذا هي الاشياء كلها قد صُنِعت من جوهر واحدٍ ، تنمو بما فيها من استعدادٍ لقبول الشريعة الواحدة والقصد الواحد الذي هو «النيرفانا» .

و «النيرفانا» تحلّ على من فهم تماماً وعاش بحسب ما ادرك من صنع الاشياء المصوغة من جوهر واحد ، وأدرك أَنْ ليس إلاّ شريعة واحدة لا ثاني ولا ثالث لها .

وعرف جيداً ان «تنغاتا» هو نفسه واحد في جميع احواله المختلفة وفي جميع تقلبات الحياة ، فهو خالق العالم بأسره ، يمطر مراحمه على

الخليقة كلها بدون استثناء ، وارادته واحدة في السماء وعلى الارض ، في الحكماء وفي الجهلة ، في المستقيمين والمعوجّين الاردياء .

ان السحاب المملوء مطراً يسقط على العالم اجمع فيصيب البرّ والبحر معاً وما نجم من الارض ، العشب والاشجار على اختلاف انواعها وتفاوت اسمائها ، سواء كانت في الآكام او الجبال ، في السهول او الاودية ، وكلها تشرب من ذلك السحاب وهو جوهر واحد يتساقط بغزارة على كلّ ما في العالم ، وكلّ يستمدّ ما يحتاج اليه ، فينمو ويزهر ويثمر في فصوله المعيّنة له ، فأصل واحد وارض واحدة لكلّ هذه النباتات تستقي بذورها ماءً صيّباً واحداً. وهكذا «تتغاتا» يا «كاشيابا» العارف بالسُّنَّة وجوهرها وهو الخلاص الذي ينتهي بسلام «النيرفانا» بغدق مراحمه على الخلق كلهم وهو لجميعهم بدون استثناء ، يتجلّى لكلّ واحدٍ ولكن بمظاهر متباينة فيمنح المعرفة التامة وينبّه كلّ حي لاقتبالها بحسب سجيّته .

تعليم راهولا

برغم استنارة « راهولا » ابن « غوتاما سيدهارتا » بحكمة الحقيقة ظلّ غير متّحدٍ تماماً بحب الحقيقـة ، فارسله « الواحد المبارك » والده الى « فيهارا » اي الدير ليروّض عقله ويصون لسانه عن كل هذرٍ وبُطل

وجاء « الواحد المبارك » بعد مدّة الى ذلك المكان متفقداً شؤون تلاميذه ، فامتلأ قلب « راهولا » فرحاً وغبطة ، وأمره « الواحد المبارك » أن يأتيه بماءٍ ليغسل رجليه ، فامتثل « راهولا » الامر .

وبينما هو يغسل رجلي « تتغاتا » سأله « الواحد المبارك » : أَيصلح هذا الماء للشرب ؟

أجابه « راهولا » : لا يا سيدي انه لا يصلح للشرْب .

فقال له « الواحد المبارك » : إذن اعلم انك ولدي وحفيد الملك ، وقد اصبحت « شارمانا » باختيارك وارادتـك وتخليت عن كل شيء ، فصُنْ لسانك عن كلّ قولٍ بذيءٍ باطل ، واحفظ عقلك طاهراً منزّهاً عن كل فكرٍ دَنِس .

ولمّا ألقى بالماء بعيداً ، سأله « الواحد المبارك » : أَيصلح هذا الاناء لحفظ ماء الشرب ؟

اجابه « راهولا » : لا يا سيدي انه اناءٌ غير طاهر فلا يصلح لذلك .

– اذن اعلم يا ولدي ، انك ارتديت بارادتك الثوب الاصفر لغاية سامية ، فاحذر ان تكون كهذا الاناء الدنس . ودحرجه « الواحد المبارك » على الارض وقال : ألا تخشى ان ينكسر ؟

اجابه « راهولا » : لا يا سيدي ، اني لا آسف عليه اذا انكسر لأنّ ثمنه رخيص . قال « المبارك » : اذن اعلم ان جسدك كهذا الاناء معدّ لأن يحوي الجيّد والسيّىء ، وسيتحوّل من حالة الى حالة عند انحلاله ويتحد كل عنصر بعنصره ، ولا شيء منه يذهب سدى ، فمن تكلم بغير الصدق ندّت عنه الحكمة وجعل جسده اناءً للقاذورات .

فاستحيا « راهولا » من نفسه عند سماعه هذا وادرك مراد « الواحد المبارك » الذي تابع قوله بالمثل الآتي :

كان لملك عظيم فيل قوي يصمد لخمس مئة فيل قد درّبه على الحرب فوضع في مستوى خرطومه سيفاً حادّاً ومنجلين قاطعين على كتفيه وحراباً في قوائمه ، وكرة حديد في ذنبه ، وكان صاحبه يسرّ به وبقوّته ويخشى ان يصاب خرطومه بأذًى . على أَنّ الفيل لم يكن يأبه لتدريب مروّضه ، وبعد محاولات وجد انه غير صالح للحرب فأقرّ مع الملك ان يخرج من المعركة ويُبعد ، فلا يُعتنى به .

وهكذا يا « راهولا » يكون شأن من لا يلتفت الى تدريب معلميه ويحفظ لسانه ويحرص عليه حرص الفيل على خرطومه .

وعلى المرء ان يحبّ الحقيقة ويعتصم بها مبعداً عنه كل فكر شرّ

يقود الى الخطيئة ، لينتصر في معركة الحياة .

وما انهى « الواحد المبارك » قوله حتى استولى على « راهولا » حزن عميق وأسف على ما كان قد بدر منه ، وآلى على نفسه ان يطهر حياته ويتنكّب بكلّ ارادته عن كل خطيئة ودنس .

الاساءة

رأى « الواحد المبارك » ما في الحياة الاجتماعية من بؤس وشقاء ، وأَثرة وجهلٍ وكبرياء ، فقال وهو « بوذا » : اذا أساءَ إليّ جاهل قابلتُه باللطف والمحبّة ، وكلما استطال اساءة ، استسرفت محبّـة ، فأزداد جودةً وصلاحاً ويزداد غوايةً وشرّاً .

وكان رجل جاهل قد سمع ما يقول به « بوذا » من مبادىء المحبّة والحِلم ومقابلة الشرّ بالحسنى ، فسخر بـه ونال من « الواحد المبارك » اساءة ، فما أَحار « المبارك » جواباً وما فاه بكلمةٍ بـل رَحِم جهله حِلماً .

وما انهى الرجل سخريته وهزأَه حتى سأله « المبارك بوذا » قائلًا : يا ولدي ، إذا قدَّم رجل هدية لرجلٍ آخر ، فالهدية لِمَن تكون ؟

أجابه : بلا شكٍّ إنّها تخصّ الرجل الذي قـُدّمت اليه .

– إذن اعلم يا ولدي ، انك اعتـديت عليّ ولا ذنبَ ، وقبلت إساءتك واني لارجو ان تحتفظ بهـذه الاساءة وهي مصدر تعاستك ، وإنها لكالصدى الذي يتجاوب ويعود الى مصدره ، او كالظلّ المتأتي عن مسبّبه فهو تابـع له ، ومَن تصدر عنه الاساءة ، فإساءته لنفسه واليـه ترجع . والمثل في ذلك مثل من يسخر من الفضيلة وكأنـه يريد ان

يرمي السماء ليسقطها ، وهو يجهـل انه في مضيق من الارض مظلم فما يُسقط غير نفسه .

ومثلُ الكاذب المخادع مثلُ من يرمي غيره بغبار الهواء يهبُّ نحوه فكلّ ما يلقي به من الغبار ينصبّ عليه ويعمي عينيه ، واعلم ان الرجل الفاضل لا يقوى أحد على مضرّته او الاساءة اليه ، وعلى الباغي تدور الدوائر ويجني ثمارَ شرّه ألماً وحزناً وشقاءً . فما أحار المسيء جواباً وانصرف خجلاً ، غير انه عاد بعد قليل يسأل المبارك «بوذا» ان يقبله في عداد المؤمنين به اي «ببوذا ، دهارما وسانغا»

بوذا يجيب الروح ديفا

في ذلك الزمان ، كان « بوذا » في بستان « اناثابنديكا » في مدينة « جاتافانا » فجاءه الروح « ديفا » وتمثّل امامه بشراً برهميّاً بوجهٍ مضيء وثوب اشد بياضاً من الثلج ، وشرع يسأله قائلًا : ما هو أحدُّ سيف وامضاه ؟ وما هو انقع سمّ قاتل؟ وما هي النار المحرقة وأشدّها ؟ وما هو أحلك ليلٍ وأشدّه ظلمة ؟

أجابه « الواحد المبارك » : ان الكلام المُحكم الصادق أحدّ من السيف وأمضى . والاشتهاء انقع سمٍّ واقتل. والألم أشدُّ لهيباً واحرق من النار . والجهل احلك ليلٍ وأظلم منه .

فقال الروح « ديفا »: ما هو الربحُ المثمر ؟ وما هو الشيء المفقود ؟ وما هو السلاح الذي لا يجرح ؟ وما هي أفضل حربة ؟

أجابه « الواحد المبارك »: العطاء خير من الأخذ والمعطي هو الرابح الاكبر . والخاسر مَن يأخذ ولا يردّ . والصبر أمضى سلاح ولكنه لا يجرح . والحكمة أفضل حربة .

فقال الروح « ديفا »: مَن هو اللصّ الخطر؟ ما هو أثمن كنز ؟ من هو الظافر ، أهو المغتصب سواء في الارض او السماء ؟ ما هو الكنز الذي يعصم مَنْ يجده من كل مكروه ويحفظه ؟

أجابه « الواحد المبارك »: إن شرَّ لصٍّ هو الفكر الرديء السيّىء .

وأجلّ كنزٍ ثمين هو الفضيلة . واشدّ اغتصاباً في الارض والسماء هي النفس . والكنز الذي يعصم من يجده من كلّ مكروه مرذول هو الخلود . فقال الروح « ديفا » : ما هو الاقدام ؟ ما هو المرذول الذي يُكره ولا يُحبّ ؟ ما هو الالم الراعب ؟ وما هو الفرح الاعظم ؟

أجابه « الواحد المبارك » : الخير هو الاقدام . الشرُّ هو المرذول المكروه الذي لا يُحب . الضمير المائت هو الالم الراعب . والخلاص هو البركة العُليا والفرح الاعظم .

فقال الروح « ديفا » : ما الذي يسبّب الخراب في العالم ؟ ما الذي يفسد الصداقة ؟ ما هي الحمَّى المهلكة ؟ ومن هو الطبيب الاعظم ؟

اجابه « الواحد المبارك » : الجهل سبب خراب العالم . الحسد والانانية يفسدان الصداقة . البغض اشدّ حمَّى مهلكة . و « بوذا » هو الطبيب الاعظم .

ثم ان الروح « ديفا » سأله قائلًا: لديَّ ريب واحد، فهل لك ان تحلّه وتبدّده عني ؟ وهو: ما هي النار التي لا تحرق وما هي رطبة، والريح لا تقوى على اخمادها ، وهي صالحة لأن تجدّدَ العالم بأسره ؟

أجابه « الواحد المبارك » : البركة ، ما هي نار ولا هي رطبة ولا تقوى الرياح على اخمادها، وبركة العمل الجيّد تجدّد العالم وتذهب بفاسده.

وما ان سمع الروح « ديفا » كلام « الواحد المبارك » حتى امتلأ فرحاً لا يوصف ورفع يديه وسجد أمام « بوذا » باحترام وتوارى من امام حضرته فجأة .

التعليم

أقبل الزهاد يوماً على «الواحد المبارك» وحيّوه باحترامٍ وقالوا : يا سيّد ، ان من تراهم امامك الآن يسألونك العلم والمعرفة ، مصغين بكلّ قواهم الى ما يتدفق به فمك الطاهر، انك انت معلّمنا ومدربنا، فبدّد شكوكنا واجعلنا في نعمة «دهارما» المبارك ايها الممتلىء فهماً ومعرفة ، أطلق صوتك بيننا انت الناظر الينا بألفِ عين يا رب الآلهة .

لقد سألنا كبار المتقشفين الذين جازوا السراط واتصلوا بالضفّة الثانية وتقدّسوا : كيف يجب ان يسلك الزاهد في هذا العالم بعد ان يتخلّى عن بيته وما فيه مخلّفاً وراءه كل مطمعٍ ومطلب عالميّ ؟ فما أُجبنا .

فقال لهم «بوذا» :

الزاهد هو الذي يتغلّب على كلّ رغبة عالمية ولذة محتقراً وجوده ، فيتقبّل «دهارما» سالكاً في هذا العالم حسناً .

إنّ من يتغلّب على الشهوات ويتحرر من الكبرياء والعظمة ، ويذلّ رغباته ، ويلين جانبه ، يشعر بغبطة نفسية فيسلك حسناً في هذا العالم .

إنّ المؤمن الحق هو الذي يعرف طريق «النيرفانا» فلا يحتدّ ولا

يغضب ولا يجد ، بل يكون طاهر القلب ، صافي النيّة ، حسن السيرة ، مبتعداً عن الشرّ قولاً وفعلاً ، هو الزاهد السالك في سبل العالم حسناً .

أجابه الزهّاد : لا ريب ان الحقّ ما قلت ، ولكن ايٌّ هو الزاهد الذي يتخلّى عن كل رغبة ومطلب ومطمع ويسلك حسناً في هذا العالم ؟

اجابهم « الواخد المبارك » : هو الذي يصل الى طمأنينة « النيرفانا » فيشعر بالغبطة والفرح ، فلا يتكبّر ولا يتجبّر بل يزداد لطفاً ووداعة فلا يَخدع ولا يُراوغ ولا يشتم ولا يسبّب ضرراً لأحدٍ ، فطوبى للودعاء الذين عرفوا الحقيقة .

طوبى لمن تغلّب على ارادته وشهواته فلا يعثر .

طوبى لمن جعل لآلامه حدّاً وقهر ذاته الأمّارة بالسوء فان له الفرح الاعظم .

لنفرح ونُسرّ « بدهارما » ونستضيء بنوره واقفين أمامه وجهاً لوجه ، ولنسعَ الى اقتباله فلا نتكلم ولا ننطق إلاّ بحقيقة « دهارما » .

واعلموا ان من ندّ عنه كنز « دهارما » يهلك ، وكنزه الحقيقي هو المحبة والشفقة اللتان تسدّدان الاعمال، فلا نخدع ولا نضلّ أحداً .

واعلموا ان من مات فسيحيا بكنز الفضيلة والاعمال الحسنة ، والحكيم ، الحكيم ، مَن تصرّف حسناً في هذا العالم فانه لن يفقد ابداً كنزه الروحي .

وعندئذٍ هتف الزهاد ممجدين حكمة « تتغاتا » وقالوا : ايها المقدّس الذي جُزت الآلام ، ايها المستنير الذي نتخذك قدوة للتغلب على

الرغبات ، أيها الممجَّد الممتلىء فهماً ، يا من جعلت حدّاً للألم وبدّدت عنّا كل شكّ ، اجعلنا فيك لنصل بك الى الحكمة السامية .

انك أيها المقدّس ، قد بدّدت عنا الريب ، ايها المنزّه الخالص المصفّى الذي لا مثيل له ، قد ملأتنا حباً وسلاماً ، يا « بوذا » المعلم الهادي ، الذي قهرت « مارا » روح الشرّ وانقذت الخليقة من آلامها واتعابها ، وقدتها الى الشاطىء الأمين .

•

اميتابها

جاء احد التلاميذ يوماً الى « الواحد المبارك » بقلبٍ مضطرب مملوء شكّاً وقال : ايها السيّد « بوذا » المعلّم ، لماذا يجب ان نتخلّى عن مسرّات العالم ان كنت قد منعتنا عن اجتراح الخوارق الفائقة الطبيعة؟ أليس « اميتابها » النور الغير المتناهي يتراءى لنا بالخوارق التي لا ينضب معينها ؟

فنظر « الواحد المبارك » الى اضطرابه وقال : يا « شرافاكا » ايها المبتدىء بين المبتدئين ، يا من تطوف مترقرقاً على وجه « سمسارا » متى تدرك الحقيقة ؟ وحتى مَ لا تُدرِك كلمات « تتغاتا » ؟ انَّ شريعة « كارما » لا تتّسع البتّة ولا تستوعب الكلام الفارغ الذي لا معنى له.

اجابه التلميذ : اتعدّ الخوارق كلاماً فارغاً ؟

فقال له « الواحد المبارك » : لا شيء عجيب ولا شيءَ خارق في العالم، ان الخاطىء يقدر ان يتطهر ويستنير بنور الحقيقة ، ويجد الطريق الحقّ متنكباً عن طرق الشرّ والانانية . ان الزاهد الذي يتخلى عن كلّ لذّة عالميَّة ، سعياً وراء البركة الدائمة والقداسة الحقة، فعمله هذا يُعد خارقاً ومن العجائب .

ان تغيير الشخص من ذلّة الشرّ الى حال القداسة هو عجيبة خارقة . ان المستجدي طعامه من دون ان يفكر به يعمل حسناً، ومن يسلّم عليَّ

يعمل حسناً ، ومن يترك العالم جانباً لا يناله سأم او ملل .

ان المستجدي طعامه، متكلًا على الحقيقة، هو المتحرّر من كل شرٍّ، فلا تغريه العجائب وضروب السحرة .

انّ « اميتابها » النور الظاهر المالىء الكلّ هـــو مصدر الحكمة والفضيلة لكل بوذيّ، واعمال السحرة والعجائب لا تدهشه ، والاعجب والابعث على الدهشة هو نور « اميتابها » .

اجابه « شرافاكا »: ولكن هل ما يحسبه العجائبيّون من انه خارق الطبيعة ، باطل ، وهل ما يعدون به هَراءٌ ؟

فسأله « بوذا »: وما هو هذا الذي يحسبونه خارقاً وبِمَ يعدون ؟

اجابه التلميذ : انهم يقولون بوجود فردوس في ناحية الغرب يسمونه الارض المقدسة فيها الذهب الخالص والفضة المصفّاة والياقوت الثمين والمياه العذبة، يحيط بممرّاتها رمل ذهبيّ، وفيها من الاشجار والازهار ما لا يفسّر ، تقوم عليها الطيور مغردة صادحة ، ومنها تنبعث اغاريد العصافير التي تعلن شرف الدين وجلاله فتجري برداً وسلاماً في قلوب من يصغون اليها فيتذكرون قيـام الشريعة العُليا فلا شرّ فيها ولا يعلمون فيها معنى لجهنم . وسكانها المؤمنون يرددون فيها اسم « اميتابها بوذا » الذي يسكن هذا الفردوس السعيد الدائم ، وعندما يصيب احد المؤمنين الموت يقف امامـه « بوذا » واتباعه والازهار المقدسة فيشعر بالراحة والطمأنينة .

فقال له « بوذا »: ان المكان صحيح ولكنه مكان روحيّ ولا يدخله

الا الروحيون . وانه في الغرب ، صحيح، فهو عند مغيب الشمس التي تتركنا في ظلمة حالكة و « مارا » الشرير يدفن اجسادنا في القبور .

ان الشمس لا تطفأ ولا تغرب ، ونتصور انها توارت في الحجاب فهي انما تلقي اشعتها على الاحياء الآخرين .

وسأله التلميذ ان يتمّ وصفه للمكان ، فانه حسن وجميل . وهل في تلك الارض الطاهرة عدالة وطمأنينة ؟

اجابه « بوذا » : العالم يتحدّث بما في العالم ويفكر بما فيه من امورٍ عالمية ، واما البلاد الطاهرة حيث الحياة الطاهرة فهي اجلّ وارفع من الفردوس الذي أُخبرتَ عنه وتصوّرته . وها انا « بوذا » احدثك عن « اميتابها » والتحدّث عن ذلك يجب ان يكون بقلبٍ طاهرٍ نابضٍ بروح الاستقامة والبرارة ، لكي تتمكّن النفس من ادراك تلك البلاد الروحية وهي عقل محض قد شعّت فيها انوار الحقيقة ، وما يصل ذلك المكان الا الذي استنار بالحقيقة وعاش في عالمه متنشقاً روح الفردوس الغربي .

الحقّ اقول لك ، ان « تتغاتا » يعيش في ذلك المكان الطاهر في بركةٍ دائمة مع انه موجود بينكم في الجسد . ان « تتغاتا » جاء ليبشر بالشريعة المستقيمة ويُشعر الاحياء والاخوة معاً بالسلام والسعادة والطمأنينة بحياة التأمّل .

اجابه التلميذ : علمني يا سيد التأمل الذي يجب ان امارسه لأكون عقلًا يدخل فردوس البلدِ الطاهر .

فقال له «بوذا» : يوجد تأملاتٌ خمسةٌ. الاول : هو التأمل بالمحبّة التي يجب ان تسيطر على القلب بكامله وتشمل كل كائنٍ حيّ بدون تفريق حتى الاعداء ايضاً .

والتأمل الثاني : هو التأمل بالشفقة على كل كائنٍ حيّ تواسيه بآلامه واوجاعه وتخفف عنه ما استطعت ما يرزح تحته من متاعب .

والتأمل الثالث : هو تأمّل الفرح ، فتفرح مع الفرحين .

والتأمل الرابع : هو التأمل بالطهارة التي تبعد عن كل شرّ وخطيئة واثمٍ ، بحيث تشعر بالغبطة والراحة .

والتأمل الخامس : هو التأمل الذي يقرّبنا من المحبّة ويبعدنا عن البغض والظلم، وتأثيرات الغنى والحاجة بحيث نطمئن الى انفسنا راضين.

ان تابع «تتغاتا» الحقيقي هو الذي يجد طريق الاستقامة فيوقظ في قلبه الشوق الى « اميتابها » ذي النور الساطع من الحقيقة . وبعد ان فرغ « الواحد المبارك » من ايضاح معنى « اميتابها » واقتبال « بوذا » نظر الى قلب التلميذ فوجد ان شكوكاً ما زالت تراوده فقال له: سلني يا ولدي عن كل ما يخامر نفسك .

فأجابه التلميذ : ايقدر المتبتّل المتواضع بتقديس نفسه ان يصل الى المعرفة الفائقة الطبيعة، اي الحكمة التي ندعوها «أبْهجينا» ، والى القوّة الفائقة الطبيعة التي ندعوها « ريدهي » ؟ ارني يا سيّد « ريدهي بادا » اي الطريق الى الحكمة الفائقة ، افتح لي « دهيانا » التي تظفرنا « بسمادهي » التي تثبّت العقل فتستنير النفس .

فقال « الواحد المبارك » : وأيّ « أبهجينا » تريد ؟

اجابه التلميذ : يوجد ست « ابهجينا » هي :

العين السماوية ، والاذن السماوية ، والجسد القويّ المتبدّل ، والمعرفة التي تنتخب مسكنها في الوجود ، وقراءة افكار الآخرين بسهولة، ومعرفة مجرى الحياة النهائيّ .

فقال « الواحد المبارك » مجيباً : انها لأمور عجيبة والانسان يقدر ان يحرزها كلها اذا روّض عقله ومارس سبل الوصول اليها. ولو قست ولادتك الطويلة منذ السنوات المتعاقبة على ما انت عليه الآن ، والتفتّ الى الوراء بروح عقلك لتراءت لك ولادتك الاولى ، اما عرفت بعين عقلك اصول الاشجار التي تتلاعب بها الارياح ؟ اما جمعت العشب وبحثت عن اصل منبته، فرأيت ان لكل نبات اصلاً يعود اليه ؟ أليس الانسان كالنبات يحنّ الى اصله الاول بعد ان يعرف حقيقة وجوده ؟

ان « تتغاتا » وحده يعرف طبيعة الاشياء كلها ويخترق القلوب الانسانية ، ويقرأ الافكار ويعرف نشوء الاحياء وما تصبو اليه .

اجابه التلميذ : اذن ، ان « تتغاتا » معلّم الانسانية يقدر وحده ان يجتاز بركة « دهيانا أبهجينا » .

فقال له « الواحد المبارك »: اوتعرف ما هي « دهيانا » التي بواسطتها يصل الانسان الى « أبهجينا » ؟

اجابه التلميذ: يوجد اربع «دهيانا»، الاولى: التي يتحرر بها العقل من كل احساس ، والثانية : طمأنينة العقل المملوء فرحاً وغبطة ، والثالثة:

المملوءة نوراً روحياً ، والرابعة : استقرار العقل بالامن والسلام فيكون فوق الافراح والاحزان .

فقال « الواحد المبارك » : احسنت يا ولدي ، روّض عقلك على ذلك وكن على استعداد للوصول الى ما قلت .

اجابه التلميذ : كنْ فيّ ايها « الواحد المبارك » واجعلني فيك، لقد آمنت بدون سؤال ، وتراني ابحث عن الحقيقة . ايها « الواحد المبارك » يا « تتغاتا » سيّدي علمني سبل « دهيبادا » .

فقال له « الواحد المبارك » : لهذا كله سبيل واحد هو الابتعاد عن العشرة الرديئة ، واطّراح كل فكر سيّء، والتمسك بالصلاح والجودة اللذين لا تظفر بهما الا بالرياضة الروحية واخيراً الاخلاص التام للحقيقة التي ستجدها .

المعلم المجهول

قال « الواحد المبارك » يخاطب « آنندا » : اعلم يا « آنندا » انه يوجد مذاهب متنوعة للشرفاء والبراهمة والملاكين والزهاد ولغيرهم من طبقات الناس . وعندما اجوز اجتماعاتهم ، أظهر بالمظهر الذي يناسب كلّ جماعة منهم واتحدّث اليهم بالصوت الذي اعتادوا سماعه، فاخاطبهم بالدين الذي يتمذهبون به . لانّ عقيدتي واحدة هي اشبه بأوقيانوس غامر فيه من العجائب الثمان المتنوّعة .

فعمق عقيدتي عمق الأوقيانوس تستوعب المذاهب وتظهر بشتى الصور . واطرح الاجساد المائتة في الارض الجافة ، كالنهر الكبير الذي يترك في مجراه ما تلتقطه ضفتاه ، ويفقد اسمه عند مصبه ويدعى باسم الاوقيانوس الذي يصبّ فيه ، كالافكار التي تعرف نسبها وتدخل في « سانغا » فتتآخى وتتعرّف الى ابناء « شكياموني » .

واعلم ان الاوقيانوس هو هدف السواقي والانهر والسحب كلّها يستوعبها كلّها فلا يفرغ أبداً، وهكذا «دهارما» فانه يستوعب الملايين، الملايين من مذاهب الناس فلا يزيد ولا ينقص ، ويبقى كالاوقيانوس الملح بطعمه الواحد ، ولكنّ عقيدتي لها رائحة عطرة واحدة ، رائحة الانعتاق والتحرّر. فالاوقيانوس ودهارما واحد، فيهما جواهر ولآلئ

وفيهما مسكن لكلّ حيّ . وهذه هي العجائب الثمان التي تشبه بها عقيدتي الاوقيانوس :

إنّ عقيدتي طاهرة فلا تبعث خلافاً بين النبلاء والوضعاء ، بين الاغنياء والفقراء .

ان عقيدتي كالماء تطهر كلّ شيءٍ بدون استثناء .

ان عقيدتي كالنار التي تلتهم كلّ شيءٍ بين السماء والارض ولا فرق بين الشيء الكبير منها والصغير .

إنّ عقيدتي كالسماء التي فيها منازل لاستقبال الجميع : الذكور والاناث ، الرجال والنساء ، الصبيان والبنات ، الاقوياء والضعفاء .

وعندما اتكلّم انا « الواحد المبارك » و « تتغاتا » و « سانغا » يعرفني الجميع فلا يقول احد منهم : من هو هذا المتكلّم ؟ أإنسان هو ام إله ؟ لاني اعلمهم الدين الحقّ واعلن لهم الحقيقة ثمّ اختفي متوارياً عنهم ، فيعرفونني انّي انا « هو » .

الامثال والحكايات

الامثال

فكّر « الواحد المبارك » قائلاً : اني علّمت الحقيقة المثلى في كلّ مكانٍ وزمان ، وممجّدة بروحها وحروفها ، ولكنّ الناس البسطاء لم يفهموها ، وما ذلك إلا لاني لم اخاطبهم باللّغة التي يدركون بها فاجعل افكاري كأفكارهم ، لانهم ما زالوا كأولاد يرغبون في سماع القصص ، فبها ابيّن لهم مجد « دهارما » الذي لم يصلوا الى حقيقة تعاليمه كما ادركتها انا ، ولا بُدّ من ان يفهموها بالامثال .

احتراق منزل فخم

قيل : انه كان لرجلٍ غنيّ منزل فخم قديم البناء قد هرأت جوائز سقفه واجنحة نوافذه بطول الزمن ، فعلقت به نار شديدة كادت تقضي على اولاد الرجل الذي حار في امرِ انقاذهم معاً ، فقال : ان جزت النار وانقذت واحداً منهم فلا يلبث الآخرون ان يهلكوا ، وفجأة راودت عقله فكرة صالحة ، وعرف ان اولاده مولعون بالالعاب ، فصاح بهم: إليّ إليّ يا اولادي فخذوا لعبكم التي احضرتها لكم ، وهي خارج المنزل، فتسارع الأولاد عدواً يزحم بعضهم بعضاً للحصول على لعبةٍ .

يشبه ذلك ما أراده « تتغاتا » في خلاص العالم الغارق في مسرّاته ومباذله ، فوصف لهم عظمة البركة وحياة البرارة ودعاهم الى خلاص نفوسهم من العطب والهلاك ، مقدّماً لهم كنز الحقيقة الروحيّ .

المولود اعمى

كان رجل اعمى منذ ولادته ، فما يعرف للألوان معنى ولا يتبيّنها في سريرته ، فانكرها وانكر وجودها، كما انه أبى ان يفرّق بين النور والظلمة ، فزعم ان ليس هنالك شمس او قمر او نجوم وما احد شاهدها .

وكان له صديق فانكر عليه دعواه وقال له: انها اشياء بيّنة ظاهرة نراها بامّ العين فلا سبيل الى القطع بعدم وجودها ، فقال له الاعمى : دعني المس لوناً من هذه الالوان المزعومة ، فاجابه : إنَّ الالوان لا تُلمس وإنما تُبصر بالعين وتتمثّل في الذهن . وحدث ان جاء طبيب ماهر يشفي العمى فعرضوا عليه الرجل الاعمى فدافَ له دواءً من عناصر اربعة وجعلها في عينيه فابصر واتضح له كلّ شيء .

وما الطبيب الا « تنغاتا » والدواء هو الممرّات الاربعة النبيلة التي تصل بسالكها الى نور الحقيقة .

الابن المفقود

كان لرجلٍ غنيّ ولدٌ قد فُقِدَ وراح يجوب البلاد وابوه لا يعرف عنه خبراً ، وبينما هو ينعم بثروته وامواله كان ولده يتضوّر جوعاً ويرتعد برداً، يطلب الطعام فما يجده، ويسأل الكساء فما يظفر به، فجاء يوماً الى بلدِه فلمحه ابوه وامر بعض الخدم ان يأتوه بهِ . فلما نظر الولد القصر الذي يقودونه اليه اضطرب وخاف وظنّ انه سيُحبَسُ متهماً ، فاحتال على الخدم وفرّ هارباً . ولمّا اتصل خبر فراره بأبيه ، أَمر من يقبض عليه ويجيئُه بهِ مُرغماً . ولما صار الابن في القصر أوعز الى الخدم ان يغسلوه وينظّفوه ويلبسوه البسة جديدة، ويقدّم له الاكرام اللائق، فسُرَّ الابن بما رأى من حسن المعاملة .

وكان ابوه يتعهده ناظراً اليه من كوّة غرفته ، فيسرّ بهِ لما يرى من حسن سلوكه وجميل تصرّفاته ويأمر فترفع منزلته .

وبعد بضع سنوات امرَ بابنه والخدم ان يجتمعوا في مكانٍ ما بالسرّ عن الابن الذي ما وقع نظره على ابيه حتى اخذه فرح شديد ، وسُرّ بأبيه كثيراً ولطالما تشوّق الى رؤيته .

وهذا مثل ابن الحقيقة البارّ الذي يتقدّم مستنيراً بنور الحق شيئاً فشيئاً حتى اذا ما أشرقتْ عليه سُرَّ واغتبط بها .

السمكة المجنونة

قيل ان زاهداً كان قد تعب من آلام المراقبة وتحمّل مشاق العقيدة ، فاحبّ ان يتخلى عن الانظمة والمراسم ، فجاء الى « الواحد المبارك » يسأله ان يحلّه من نذوره ويتركه وشأنه .

فقال له « الواحد المبارك » : احذر يا بنيّ ان يغرّرَ بك قلبك فتقع في شرّ الشهوة فتهلك لانك ترغب في ان تتخلى عن المعرفة التي تمكنك من ان تقوى على رغباتك فلا تستسلم الى الجنون .

واني لأخشى ان يصيبك ما اصاب السمكة المجنونة التي كانت تسبح في نهرٍ هانئة راضية تعبث في الماءِ وتقتات ممَّا فيه ، فجاء يوماً صيّاد والقى شبكته، وفيها ما لذّ وطاب من أكل، وكانت السمكة المرحة تحب المرعى الخصب والأكل الشهيّ ، فما ان رأت الشبكة وما فيها حتى دخلتها وشرعت تأكل ، وفيما هي منصرفة الى لذة الطعام سحب الصيّاد الشبكة فاشرفت على الهلاك فقالت : ما امرّ عاقبة هذا الطعام، لقد غرّرت بنفسي فوقعت في شرّ الطمع ، ومَنْ ينقذني من موتي هذا المحتّم ?وحدث ان «بودهيفاستا» قد مرّ بذلك المكان وكان يعرف لغة السمك فأشفق عليها واشتراها من الصيّاد وقال لها : ايتها السمكة الكيّسة ، لو لم اتداركك واشتريك اليوم لكنتِ وردت مورد

التهلكة . لقد انقذتك فاذهبي ولا تطمعي واياك ان تخطئي بعد . ورمى بها الى الماء .

واحذر انت ايها الزاهـد ان تضلّ عن سبيل الحقيقة فاعمل الحسن وابتعـد عن كلّ شهوة ، واحرص على حواسك طاهرة لئلا تقودك الى الهلاك .

•

الغرنوق الحكيم القاسي

زعموا ان خياطاً كان يخيط اثواب الاخوة ، فيدخل معهم في محادثات مظهراً نفسه انه خير من مسك ابرة وقبض مِقصّاً ، فما يماثله احد ، وحدث ان ساومَ في صفقةٍ تجارية مع احد الغرباء ، فكان يخادع ويشكو ما يصيبه من خسارة .

اما انا « الواحد المبارك » فاقول ان الخياط هذا ليس هو الأوحد بين المخادعين الذين يقعون في شرّ عملهم ، فطباع المخادعة منتشرة بين غير واحد من الخلق ، كالغرنوق الذي كان بقرب غدير ماءٍ فيه اسماك فجاءَها يوماً وقال : ان فصل الجفاف واقع ولا بدّ لهذا الماء ان يغور او يجفّ ، فما تصنعنَ ؟

فاجابته الاسماك: إنّك لعلى حقٍّ في ما تقول، فماذا عسانا نصنع ؟

فقال لهنّ : الرأي عندي ان تذهبن الى بحيرة قريبة من هذا المكان، فيها ماء غامر ومرعى خصيب ، وترونني مستعدّاً لأن انقل كلّ واحدة بمفردها فتضمنّ الحياة لأنفسكنّ .

فصدقت الاسماك زعمه ، وقبلن ان يرسلن احداهنّ لتتبين البحيرة وتعود اليهنّ بالخبر اليقين ، وقبلت كبراهنّ ان تقوم بهذه المهمّة ، فحملها الغرنوق الى تلك البحيرة الجميلة ، وارجعها بسلام ، فما ارتابت

الاسماك بصدقه وقبلن ان ينقل كلّ واحدة بمفردها الى البحيرة .

وعبر الغرنوق يحمل كلّ يومٍ واحـــدة فيجيء بها الى ظلّ شجرة فيأكلها حتى اتى عليهنّ جميعاً. وكان في ذلك الغدير سرطان ، لم يطمئن اليه ولكنَّه قبل حذراً ان ينقله الى تلك البحيرة فقال له: ولكن اعلمني كيف تقبض عليّ لتنقلني الى البحيرة ؟

فقال الغرنوق : ساقبض عليك بمنقاري .

فاجابه السرطان : ربما اقع اذا قبضت عليّ بمنقارك .

فقـال الغرنوق : سلّم اليّ امرك ولا تخشَ شرّاً ، فاني سأرفق بالقبض عليك فلا يصيبك سوء .

فقال السرطان في نفسه : اني لا اظنّ ان هـــذا الغرنوق ينقل الاسماك الى البحيرة ، وان كان قد فعل فيكون قـد عمل معروفاً كبيراً. واخيراً قبِل ان ينقله الغرنوق على شريطة ان يقبض هو ، اي السرطان ، بكلابتيه على عنق الغرنوق لئلا يقع ، فقبل الشرط وطار بـهِ يقصد البحيرة التي اراه اياها ثمَّ عرَّج بهِ الى الشجرة . فقال له السرطان : يا عمّي ان البحيرة هنا وانت تقصد بي مكاناً آخرَ فلِمَ ؟

فقال له الغرنوق : أتظنُّ اني أنا عمّــك العزيز ، ومتى كنت ذلك او متى كنت عبـدك لانقلك من مكانٍ الى آخر ؟ فتعالَ والقِ نظرك على كومة حسك الاسماك التي تحت الشجرة ولا بـــدَّ من اكلك كما اكلت السمكات .

فاجابه السرطان : اذا كنت قد خدعت الاسماك واحتلت عليها

فافترستها ، فاني لا ادعك تفترسني بل سأقضي عليك واميتك شرَّ ميتة ، وسادقّ عنقك والقي بك ارضاً فنموت معاً ، وشدَّ بكلاَّبتيه على عنق الغرنوق فصاح مستغيثاً ، وتساقطت الدموع من عينيه لانّه رأى الموت امامه . وقال : بحقّ يا سيدي اني ما قصدت ان آكلك ولكن لاختبر رباطة جأشك، فابقِ على حياتي ونحن اخوان في السراء والضراء.

اجابه السرطان : حسن ، إذن طِرْ بي الى البحيرة وهنالك نتصافى ونتآخى ، فطار به الغرنوق ووضعه على شاطىء البحيرة ، على ان السرطان شدّ على عنقه واورده الحتف وغاص في الماء .

وتابع « الواحد المبارك » قوله : ان الرجل المخادع الذي يحاول ان يخدع الناس سيبلى بمن يخدعه ويورده الحتف .

الاستحقاقات الاربعة

قيل : ان رجلاً غنيّاً كان يدعو البراهمة الى بيته فيقدّم اليهم تقدمات ثمينة ويقيم ذبائح للآلهة ، ولو انه كان يقدّم الف ضحيّة كلّ شهرٍ في الف عطيةٍ فانّها لا توازي خطفة تأمّل في حياة البرارة والطمأنينة

والاستحقاقات على اربعة انواع :

تقدمة كبيرة واستحقاق زهيد .

تقدمة ضئيلة واستحقاق ضئيل .

تقدمة ضئيلة واستحقاق عظيم .

تقدمة عظيمة واستحقاق عظيم .

ان هذا يشبه رجلاً يضحي كثيراً للآلهة ولا ينال إلا قليلاً .

والتقدمة الصغيرة والجزاء الزهيد ، لمن قدّم ذلك وقلبه ما زال يتشهّى ويميل الى الشرّ .

والتقدمة الزهيدة والجزاء الكثير ، للرجل المملوء محبّة ويرغب في ان يزداد حكمة وبرارة .

والتقدمة الكبيرة والجزاء الكبير ، للرجل الغنيّ الذي يتخلّى عن الانانية فينكر نفسه في سبيل عمل الخير والاحسان ، فيضيء العقول المظلمة ويسدّ احتياج المعوزين .

نور العالم

قيل ان برهمياً كان يقطن مدينة « كوشانبي » قد استوعب « الفيدا » وتفهمها حتى انّ احداً لا يقدر ان يباريه علماً بها ومعرفة ، وكان من أمره ان حمل مصباحاً وراح يمشي به في وضح النهار ، ولمّا سئل عن سبب ذلك قال :

إنّ العالم تكتنفه الظلمة ، ولذلك احمله لأنير به العالم ما استطعت. فسمعه « شارمانا » فقال له : يا صديقي ، اذا كانت عيناك لا تريان النور الطالع في كلّ يوم فلا تَدْعُ العالَمَ ظلاماً ، إنّ مصباحك لا يحسب شيئاً امام نور الشمس ، ولا تعجب بنفسك لانك ما قدرت ان تنير عقول الآخرين .

فسأله البرهميّ : أين هي الشمس التي تتحدّث عنها ؟ فقال : ان حكمة « تتغاتا » هي شمس العقل التي لا ينفد شعاعها ليل نهار ، ومَن آمن به فلا يضلّ طريقه الى « النيرفانا » التي ينعم فيها بالبركة السرمدية .

الحياة الناعمة

بينما كان «بوذا» يبشّر بعقيدته هدايةً للعالمين، بجوار «شرافاستي» جاءه رجلٌ مثرٍ، فيه مرض عضال، فسجد له بجُهدٍ وقال: «يا بوذا، شرف العالم» اعذرني لأني لم احيّك التحية اللائقة بك، وذلك لما بي من اوصابٍ تحول دوني ودون الحركة بَلْهَ مرض النوم.

فنظر اليه «تتغاتا» وقال له: أَتريد أن تعرف سبب أوجاعك؟

— نعم يا سيّد.

فقال «الواحد المبارك»: خمسة أشياء سبّبتْ لك المرض هي:

التخمة في الأكل، محبّة النوم، اتباع الملاذ، الفكر الدائب، والمشاغل الدنيويّة. فروّض نفسك على الكفاف من كلّ شيء، تشفَ من كلّ ما بك وتطول حياتك.

وذهب الغنيّ وهو يفكّر بكلمات «بوذا». وبعد أنْ روّض جسده مقتنعاً بالكفاف من كلّ شيء شفيَ من كل اوصابه ورجع الى «شرف العالم بوذا» يقول: لقد انقذتني من كلّ آلامي، فدعني استنير بهدى تعاليمك.

فقال «بوذا»: إنّ رجل العالم يهتمّ بما للعالم والجسد، وامّا رجل الحقيقة والحكمة فيهتمّ بما للنفس، والسالك بطمأنينة على هدى الحقيقة يربح الدنيا والآخرة، مبتعداً عن الخطيئة، فيطول عمره.

مواصلة البركة

كان « اناباهارا » عبد « سومانا » يحصد في الحقل ، فمرّ به « شارمانا » بقصعته واستجداه طعاماً ، فترك العبد الحزمة من يده واسرع الى بيته واحضر له ارزّاً .

وبعد ان اكل « الشارمانا » دعا للعبد بالخير والبركة ، وحدث ان كانت ابنة « سومانا » في النافذة تشهد ما وقع بينهما ، فقالت : لقد احسنت عملاً يا « اناباهارا » ، لقد عملتَ حسناً .

فسمع ابوها « سومانا » كلماتها فاسرع الى عبده واستوضحه الخبر فقصّ عليه ما كان من أمره وامر « شارمانا » ، فقدّم له دراهم ورغب اليه ان يقاسمه البركة .

فقال له « اناباهارا » : دعني اسأل « الشارمانا » اوّلاً . فذهب وسأل « الشارمانا » فأجابه بالمثل الآتي :

كان في قرية من القرى مئة بيتٍ لا نورَ مصباح فيها إلاّ في بيتٍ واحدٍ ، فتسارع اهل القرية اليه يقتبسون النور لمصابيحهم وما لبثت القرية حتى أُضيئت كلها . ومثل المصباح مثل البركة تعطى لمن يسألها مجّاناً .

فرجع « اناباهارا » الى سيّده وقاسمه البركة ، فسُرّ « سومانا »

وقدّم لعبده دراهم فأبى ان يأخذها وقال : يا سيدي ان البركة تُمنَحُ ولا تباع فاقبلها مني هبة .

فأجابه السيد : يا أخي «أنابهارا» انك عتيقٌ منذ الساعة وتعيش معي صديقاً مكرّماً فاقبل مني هذه الهدية هدية احترام وهبة صداقة .

•

الاحمق المغفل

كان برهميّ غني متقدّم بالسن ، قد علق بالدنيا وحطامها ، فابتنى لنفسه بيتاً كبيراً فخماً ، فارسل اليه «بوذا» تلميذه «آنندا» يسأله لماذا يشيّد مثل هذا البناء الفخم ، ويبشّره بالحقائق الاربع النبيلة ؛ ويعرّفه طريق الخلاص. فأراه البرهمي المنزل الفخم وما فيه من غرف وغيرها وعرّفه القصد من بنائه ، ولم يصغِ الى تعاليم «بوذا» فقال له «آنندا» : إنه لمن الحمق ان نقول : لنا اولاد وغنى ، ومن قال بذلك لا يكون سيّد نفسه ، فما نفع الاولاد والغنى والخدم ، ان كنّا لا نفكّر بما يصيبنا من تغيير في المستقبل ؟

وما كاد «آنندا» يتركه حتى صعق البرهميّ وسقط ميتاً . فقال «بوذا» للذين حوله : هوذا احمق قد اهتمّ بما للعالم ولم يعرف شيئاً عن الحقيقة ، فكان كمحموم يأخذ الحساء بطرف الملعقة مفكّراً بذاته تاركاً خلاص نفسه التي لم ينفعها ما شاده وجمع وأبقى في دنيا لا استقرار فيها بل تغيير وتبديل

الضلال في الصحراء

كان احد تلاميذ «بوذا» قد انقطع الى الصحراء متعبداً ، فشقّ عليه العيش ، وراودت عقله تجارب ، فقال في نفسه : وعلى مَ اقضي حياتي في بؤسٍ وشقاء في هذه الصحراء وحيداً ، لأحظى بانتقالٍ حسن ، وما ضرّني اذا انتقلت بولادتي الآتية الى طبقة المنبوذين ، وقد سئمت اليوم حياة التقشف. فترك الصحراء وعاد الى «جاتفانا» فنظره الاخوة وقالوا له : لقد تصرّفت تصرّفاً قبيحاً لتركك منسكك الصحراوي ، بعد ان قطعت العهد على نفسك مختاراً ان تعيش عيش التقشّف والبرارة. وأقبلوا به على المعلّم .

ولمّا رآه «الواحد المبارك» قال : اني اعلم انكم جئتم بهذا التلميذ رغم ارادته ، فما الداعي ؟

قالوا : انه رجع الينا عابثاً بنذوره وما قطعه على نفسه من امر الطاعة والحياة النسكية .

فقال له «تتغاتا» : أصحيح ما يقولون ؟

اجابه : نعم أيها «الواحد المبارك» .

فقال له : ان حياتك الحاضرة هي الوقت الذي تحرز فيه النعمة ، فاذا كنت ترغب في العود الى حياة العالم ، تخسر البركة وكل ما بذلته من

زهدٍ وتقشّف يذهب سدى . وعلامَ تريد ان تترك القوافل تضلّ في الصحراء وكنت بركة انقاذٍ لها من وعساء الطريق ، وهي تمرّ بك حاملة الماء على خمس مئة عجلة فلا يرويها إلاّ ماء بركتك .

وما كاد «الواحد المبارك» ينطق بهذه الكلمات حتى تغيرت اسارير التلميذ ، وتطاولت اعناق رفاقه الى «الواحد المبارك» يرجونه ان يوضح لهم ذلك .

فقال : اصغوا وعوا ما اقول : ولد في ايام «براهمادتا» الذي كان يملك في «كاشي» «بودهيساتفا» من عُيلةٍ عُرفت بالتجارة ، فلمّا كبر «بودهيساتفا» وشارفَ الحُلمَ شدّ له ابوه تجارة على خمس مئة عجلة ، فوصل بعد متاعب شاقة وآلام مبرّحة الى صحراء رمالها نار ، لا يقوى احد على قبض حفنةٍ منها ، ولشدّة حرارة شمسها كان يصعب على المسافرين ان يسلكوها نهاراً ، فكانوا يشدّون احمالهم ويَسْرون ليلاً ومعهم الحطب والماء والزيت والأرزّ فلا يحطّون الأحمال ويرتاحون إلاّ عند منبثق الفجر ، فيأكلون ويلجأون الى ظلالٍ يقيمونها درأً للحرارة . وفي المساء عند غياب الشمس كانوا يعمدون الى ثيرانهم فيشدّونها الى العجلات ويمضون وراء الدليل الامين الذي يهديهم سواء السبيل ، فيصل بهم الى المكان المطمئنّ فيبيعون ويشترون مغتبطين فرحين ، ناسين كلّ ما قاسوه من مشاق واتعاب .

فهؤلاء المسافرون الذين تبعوا دليلهم وعملوا بارشاده خلصوا الى ما تصبو اليه نفوسهم فربحوا واطمأنوا الى حياة اليسر والراحة ، وما

خسرت صفقتهم ، ونسوا حيـــاة الألم والاوجاع التي لن يعودوا اليها بعد .

وليس من العدل في شيء ان يترك المنقطع الى الزهد والتقشّف ما انتدب نفسه اليه ، وبذل جهداً في سبيل الاستنارة ، ويلتفت الى الوراء ويبيع آجلًا بعاجل يتبدّد سراباً . بل عليه ان ينظر الى الامام فيواصل حياة الحقيقة مستجدياً محبّاً مرشداً العِطاشَ الى ماء الحيـاة في صحراء العالم المحرقة .

بوذا الزارع

كان « بهارادفاجا » برهميّاً ميسوراً ، وفيما هو يحتفل بخصب الموسم جاءه « الواحد المبارك » بقصعةٍ مستجدياً طعاماً ، فقدّم له تلاميذه الاحترام إلاّ البرهميّ الذي غضب وقال : يا « شارمانا » أليس من الخير لك ان تذهب وتشتغل فتربح عيشك من ان تستجدي ؟ انظر اليّ فاني أفلح وازرع ومن فلاحتي وزرعي آكل ، فلو كنت تتصرّف تصرّفي لربحت رزقك وطعامك .

فأجابه « تتغاتا » : أيها البرهميّ ألا تعلم اني افلح وازرع مثلك ومن فلاحتي وزراعتي آكل ؟

أجابه البرهمي : أتعني أنك فلاح ، فأين ثيرانك وحبوبك وسكة الفلاحة ؟

فقال « الواحد المبارك » : الايمان هو الحبوب التي ازرعها ، والعمل الحسن الماء الذي ينمي الحَبّ ، والحكمة والتواضع هما السكّة ؛ وعقلي هو الملك الهادي ، والشريعة هدفي الذي ارمي اليه ، فأبدّد الضلال والشرّ واجني ثمر الخلود في « النيرفانا » وهو آخر عمل الزارع .

وللحال أسرع البرهميّ ووضع ارزّاً وحليباً في قصعة ذهب وقدّمها الى « الواحد المبارك » وقال : هل لسيدي معلم الانسانية ان يشاركني بطعامي الارزّ والحليب لأنّ « غوتاما » المحترم يفلح ويزرع ويحمل ثمار عدم الموت

المرفوض

قيل إنّ « بهاغافانت » كان يسكن « شرافاستي » في « جيتافاتا » فذهب على عادته يستجدي طعامه فمرّ ببيت كاهنٍ برهمي يقدُ ناراً فوق مذبح ليقدّم ضحية فسمعه يقول : اجلس هناك ايها الراهب ؛ اجلس هناك يا « شرامانا » لأنك مرفوض .

فقال « الواحد المبارك » . من هو المرفوض ؟ المرفوض هو الرجل المملوء بغضاً وغضباً ، هو الشرّير المراوغ، هو المعتنق الضلالَ والممتلىء غشّاً وخبثاً .

ان كل من كان مهيّجاً او بخيلاً يرتكب خطيئة الحسد والشرّ وبدون خشية يخطىء ولا يستحي يكون هو المرفوض .

ولا يكون المرفوض مرفوضاً بالولادة، ولا يكون البرهميّ برهميّاً بالولادة بل بالاعمال التي يأتيها فهي وحدها تجعله مرفوضاً او برهميّاً

المرأة عند البئر

بينما كان «آنندا» تلميذ «بوذا» المتقدّم ذاهباً في قضاء رسالة «للواحد المبارك» مرّ ببئرٍ بالقرب من قرية، فرأى ابنة اسمها «براكريتي» من طبقة المنبوذين، فسألها ان تسقيه ماءً. فقالت له: أيُّها البرهمي، كيف تسألني ماءً لتشرب وانت برهمي مقدّس وأنا منبوذة وضيعة، والبراهمة لا يخالطون المنبوذين؟

فأجابها «آنندا»: أنا لا اسألك اذا كنت منبوذة او برهمية وانما اسألك ماءً لأشرب.

فاضطرب قلب الفتاة فرحاً وقدّمت له ماءً فشرب وانصرف شاكراً لها، وما كاد يغيب عن عينيها حتى أحسّت بشيء يدفعها للحاق به، ولمّا وصلت الى مقرّه عرفت انه من تلاميذ «غوتاما شكياموني» فجاءت الى «الواحد المبارك» باكية وقالت: ساعدني يا سيّد على ان أعيش مع «آنندا» الذي احبته نفسي فاخدمه واتعهد اموره.

فقال لها «الواحد المبارك» وقد فهم ما يجول في خاطرها: اعلمي يا «براكريتي» ان قلبك مملوء حبّاً «لآنندا» وهو ما أحبّ إلاّ لطفه ووداعته، فاقبلي انت الوداعة واللطف واستعمليهما نحو الآخرين.

الحقّ الحقّ اقول لك: ان المنبوذين يقتبلون الخلاص ويُنقذون

من آلامهم واتعابهم والبراهمة يبقون بعيـــدين عن الخلاص . وانت يا «براكريتي» لتحلّ عليك البركة ، وانك وان كنت من طبقـة «ماتنغا» فستكونين مثالاً حيّاً للأشراف من الرجال والنساء ، وانك وان كنت من طبقة دنيئـة ، فان البراهمة سيتعلـّمون منـك درساً ويستنيرون ، فاسلكي سبيل العدل والـبرارة ولسوف تكونين نوراً مشعّاً بمجدك الملوكي ، وملكة بين الملكات على عرش الجلال .

صانع السلام

جاء في الأخبار ان مملكتين متاخمتين وقع بينهما خلاف في ايام «تتغاتا بوذا» من اجل ممرٍّ، وكادت الحرب تنشب بينهما لو لم يتدارك الأمر «الواحد المبارك» الذي جاء الى كلٍّ واحدٍ من الملكين يسأله عن السبب الذي من اجله يرغبان في الحرب. فقال لهما، بعد ان عرف بيّنة خلافهما : ان لهذا الممرّ قيمة عند بعض النـاس في استخدامه، وستتحاربان من اجلـه لينفرد احدكما بـه ، ولا شكّ ان قسماً من رجالكما سيُقتلون وربما تُقتلان انتما ، أمن الحكمة ان تخسرا حياتكما من اجل هذا الذي لا توازي قيمته قيمة الدم الانساني الذي سيُسفك ؟

فأجاباه : ان الحقيقة ما قلت .

فقال : أيكون السدّ اكثر قيمة من الرجال ؟ أَليست قيمة الانسان الذاتية اكبر منه، فلماذا تبذلان الحياة هدراً في سبيل ما لا قيمة له ؟ أوَليس السلام خيراً وابقى لكما ويكون السدّ مشتركاً بينكما يَستعين به رجالكمـا على قضاء حاجاتهم ؟ عندئذٍ زال غضب الملكين وتصالحا متصافحين .

الكلب الجائع

كان ملك يسير في رعيته سيرة ظلمٍ وقهرٍ ، مما دعا حاشيته الى بغضه بَلْهَ كره الرعية له ، فلما جاء « تتغاتا » الى تلك المملكة احبَّ الملك ان يراه، فجاء الى المكان الذي حلّ فيه وقال : يا « شكياموني » اتقدر ان تلقي عليَّ درساً يهديني سواء السبيل فاستقيم ؟ فقال له « الواحد المبارك » : لا يحضرني الا مثل الكلب الجائع .

– وما هو ؟

قال « الواحد المبارك » : قيل ان ملكاً ظالماً كان في بلادٍ ما ، فجاءه « أندرا » إله الغاب بهيئة صياد ومعه « ماتالي » الشيطان الذي اتخذ صورة كلب . فدخل الصياد والكلب حمى الملك ، وشرع الكلب ينبح نباحاً شديداً ، اقلق راحة الملك ومن في قصره، فدعا الملك بالصيّاد فامتثل امام عرشه وسأله عن سبب نباح الكلب ، فاجابه : انه جائع ، فأمر الملك بان يعطى الكلب طعاماً ، وكان شديد النهم فاتى على الطعام كله حتى لم يبقَ مما أُعد للملك وحاشيته شيء ، وبقي الكلب ينبح باشد من نباحه الاوّل ، فأعطي طعاماً آخر حتى فرغت اهراء الملك ، وما زال الكلب ينبح ، فغضب الملك وقال : اما من شيء يكفي هذا الوحش الكَلِبَ ؟

اجابه الصياد: لا شيء يكفيه ايها الملك الا لحم اعدائه. فسأله الملك باستغراب ، ومن هم اعداؤه ؟

اجابه الصياد : ان مثل الكلب الجائع مثلُ الرعية الجائعة ؛ واعداؤها هم الحكام الذين لا يعدلون بين غنيّ وفقير على السواء، ولا يشبع الرعية الا العدل والمعروف والسيرة الحسنة .

وتابع « تتغاتا » يقول : ان تعاليم « تتغاتا بوذا » ترهف السمع وتقود الى محجّة البرارة والاستقامة ، فلا يسمع من اتبعها نباح كلب ؛ لان تعاليم « بوذا » محبّة وسلام وعدد تبدّد الشرّ وتضيء الظلمة .

الطاغية

رأى الراجا « براهماداتا » ذات يوم امرأة على جانب من الجمال الرائع فحلّت في قلبه محلًا رفيعاً ، فاحتال على زوجها ليسلبه اياها ، فاوعز الى مَنْ يلقي عقد جوهر ثمين في عربة التاجر زوجها سراً .

واعلن الملك ان مجهولاً سطا على مجوهراته وسرق اثمن عقد منها فشرع اصحاب الامر يبحثون عن السارق حتى ظفروا به، فاقتيد التاجر المسكين الى السجن وحكم عليه القضاة بالموت وهو بريء ، بينما كانت امرأته في حرمِ الملك .

ولما قدّم البريء الى النطع وارتفع السيف فوق رأسه ، جاء الملك الذي شعر بقبح عمله ليقول للسيّاف قف، قف، ارفع السيف فكأنك تقتل الملك «براهماداتا»، ولكنّ ذلك كان متأخراً ، فان السيف سقط على رقبة البريء وفصل رأسه عن جسده واخذ يتخبط بدمه، وغدا الملك حزيناً ، ولكن عذاب ضميره كان شديداً ، فتغيّرت احواله كلها وعرف انه قد اخطأ وأثم ، فتاب وحاول ان يسلك مسلك القداسة ولكنّ ضميره كان يوبخه ويصور له فظاعة عمله .

فيا من تقترفون المظالم انتبهوا الى انفسكم وانظروا الاشياء باعيانها لا بظواهرها ، ولا تستسلموا الى عبودية الذات فتقعوا في شرّ اعمالكم، واعلموا انكم لا تجنون من العلقم عنباً .

فازافاداتا

كان في مدينة « ماثوري » امرأة مغناج اسمها « فازافاداتا » نظرت يوماً الى « يوباغوبتا » تلميذ بوذا ، المديد القامة ، الجميل الطلعة ، يتردّد في جلال محيّاه ماء الشباب ، فعلقت به وتمنّت ان تضمّه الى صدرها الخافق بالشهوة ، فأرسلت اليه تدعوه الى زيارتها ، فأجابها ان الوقت لم يَحِنْ بعد .

فأُسقط في يد المغناج « فازافاداتا » ودهشت لرفضه ، فارسلت اليه ثانية تدعوه ، قائلة : إنّ « فازافاداتا » تريد حبّاً لا ذهباً من « يوباغوبتا » ، فردّ عليها معمياً الجواب ولم يجبْ طلبَها .

وبعد قليل علقت « فازافاداتا » بحبّ رئيس العملة ، وحدث ان جاء المدينةَ تاجرٌ غنيّ أحبّ المغناج واتصل بها ، ورأت فيه غنًى وقوّة ، وخشيت غيرة رئيس العملة فاحتالت عليه وقتلته ووارت جسده في تلّةٍ مهجورة .

وقلق اقارب رئيس العملة واصحابه لاختفائه فشرعوا يبحثون عنه ، فظفروا بجسده ، وعرفوا قاتله . فقبض على « فازافاداتا » ودفع بها الى القضاء ، ورغبت من القضاة ان يحكموا عليها بصَلْمِ أُذنيها وجدع انفها وقطع يديها ورجليها وان تُلقى في المقبرة ، فاستجيبت الى ما رغبت فيه تكفيراً عن جريمتها البشعة .

وكان في جملة خادماتها واحدة احبتها كثيراً فلحقت بها لتعنى بها الى ان يجيئها اليقين ، ورأى « يوباغوبتا » ان الوقت قد دنا لزيارة « فازافاداتا » فاقبل عليها ولما رأته طلبت الى خادمتها ان تخفيها تحت اثوابها ، واستقبلته بوداعة ولطف وقالت بجسرة : عرضت عليك حبّي يوم كان هذا الجسد غضّاً بضّاً يميس كالسوسنة بين الأزهار ، مزداناً بالحلى والجواهر والحرير ، فأعرضت ، والآن تجيئني وانا في حال كربٍ قد ذبل جمالي وغار وصرت عظماً وجلداً .

– أتيتك ايتها الاخت لأضمن لك جمالاً خيراً من جمالك الزائل ، ولقد رأيت بعين روحي « تتغاتا » يمشي على الأرض معلّماً ومرشداً فآمنت وأمَّا انتِ فرفضتِ ان تصغي الى كلمات البرّ والحقّ والطهارة فرحت تغوصين في شرّ اعمالك ، فاستسلمت الى الشهوات بدون حياء فطوّحت بك اللذة الى ما انتِ فيه الآن . واعلمي يا اختي انّ جمالاً لا يذبل ينتظرك الآن ، إنْ انتِ اقتبلتِ تعاليم السيّد « بوذا » فتشعرين بسلامٍ ما تذوقته من قبل ولا عرفتِه وانتِ في عالم الخطيئة . فاضطربت نفس « فازافاداتا » في داخلها واحسّت بشوقٍ شديدٍ يدعوها الى السلام والطمأنينة والتوبة ، وقالت : حيثما كانت اتعاب كثيرة تكن بركة عظيمة ، فالتجأت الى « بوذا ودهارما وسانغا » مؤمنة واسلمت الروح تائبة فماتت برائحة القداسة متطهرة من جريمتها بالتوبة الصادقة والكفر بالذات .

عرس جانبونادا

كان رجلٌ في مدينة « جانبونادا » مزمعاً ان يحتفل بزواجهِ ، فودَّ ان يرى « الواحد المبارك » في ذلك العرسِ .

وحدث ان مرّ « الواحد المبارك » بمنزله ، وقرأ على اسارير وجهِ العروس ارتياحه لاستقباله، فدخل « الواحد المقدَّس » يحفّ بهِ اعوانه الزهاد ، فاستُقبلوا احسن استقبال .

وبينما كان « الواحد المقدّس » ورجاله يأكلون ويشربون ، رأى العروس ان الأكل لا يكفي المدعوين جميعاً فأسقط في يده وحار في امره، على أنّ الضيوف دخلوا وكانوا كُثُراً، وبرغم صغر المنزل وجد كلّ واحدٍ مكاناً وساهم في الاكل الذي كان يتزايد حتى فاض عن المطلوب.

وسُرَّ « الواحد المبارك » في ان يرى جمعاً كهذا يُسَرُّ ويفرح طرباً مع الطربين ، فاحبَّ ان يزيد فرحهم حبوراً بكلمات الحقيقة ، معلناً بركة البرارة، فقال : إنّه لفرح عظيم ان يعقد الرجلُ على امرأةٍ فيتّحدا برباط الزواج المقدَّس، ويحبَّ احدهما الآخر ، ولكنَّ الفرح الاعظم الذي لا تُفصم عراه ولا يقوى عليه الموت الذي يفرّق بين الخليل وحليلته هو ان نقترن بالحقيقة ونعيش معها بعرسٍ مقدَّسٍ .

فعلى الرجل الذي يحبّ امرأته ويرغب في ان يكون اتحاده بها ابدياً

ان يصون الامانة الزوجيّة صيانة الحقيقة التي تحيا فيه وتسدّد خطواته.

وعلى المرأة التي تحبّ زوجها ، وترغب في ان يكون اتحادها بـهِ ابدياً ، ان تحفظ الامانة الزوجيّة حفظها الحقيقة نفسها وتثق بها فتصونها وتشرّفها .

الحقّ الحقّ اقول لكم : ان العرس يكون مقدساً ومباركاً ومثمراً ، باولادٍ يحكون والديهم أمانةً وقداسةً ، ويشهدون للحقيقة ، وليس من الحقّ ان يعيش المـرء عزباً بل عليه ان يقترن بحبٍّ الحقيقة المقدّسة ، وعندما يجيء « مارا » ليفرّق بين الزوج وزوجـه لا يقوى على ذلك لانـّهما يحييان بالحقيقة التي تضمن لكلّ منهما حياة ابدية ، لأنّ الحقيقة خالدة غير مائتة .

ولم يبق احدٌ من الحضور في العرس إلاّ تهلّل بروحه فرحاً والتجأ الى « بوذا ودهارما وسانغا » مؤمناً .

البحث عن السارق

بعد ان ارسل « الواحد المبارك » تلاميذه يعلنون الحقيقـة ، كان هو نفسه يتردّد من مكان الى آخر ، ليصل الى « بوريفيلفا » .

فعرّج في مسيره على غابة ليرتاح وكان فيهـا نحو ثلاثين شاباً مع نسائهم يفرحون ويطربون ، وبينما هم في مسرّاتهم ماضون ، سطا لصّ على بضاعتهم وسرقها .

فهبّ الشبّان يطلبون السارق ، فرأوا « الواحـد المبارك » تحت شجرةٍ فحيّوه وقالوا : يا سيد هل مرّ بك لِصٌّ يحمل بضاعتنا ؟

فاجابهم: أليس من الخير لكم ان تبحثوا عن انفسكم قبل ان تبحثوا عن السارق ؟

فقالوا : ان البحث عن انفسنا خير لنا وأبقى لنا .

فاجابهم « الواحد المبارك » وقال : إذن ، اجلسوا هاهنا لأبشّركم بالحقيقة .

فجلس الشبّان يسمعون كلماته بشوقٍ ، فما أنهى بشارته حتى مجّدوا العقيدة والتجأوا الى « بوذا » .

في مملكة ياماراجا

كان لرجل برهميّ حسن التديّن، ولد على جانبٍ من الفطانة والذكاء، مُنيَ بمرضٍ عضالٍ اودى بحياته وهو ابن سبع سنوات، فحزن عليه ابوه حزناً شديداً .

ولمّا ووريَ التراب ، عاد ابوه الى حزنه ووكف الدموع سخينةً عليه ، فلم يجد تعزية لقلبه الكسير ، حتى بات كمأخوذ العقلِ مخبولاً ، فراح يبحث عن مقرّ « ياماراجا » ملك الموت يسأله بحنان وانكسار قلب وخضوع ، اذا كان في الامكان ان يعيد اليه ولده . فوصل الى هيكلٍ « لبراهما » عظيمٍ فانخرط في جماعة المصلين وما هي غير برهةٍ حتى اختُطف واستغرق في نومٍ عميق ورأى فيما يرى النائم انه في جبل سحيق بين جماعة « شارمانا » الحكماء فسألهم قائلًا : ألا ترشدوني الى مقرّ « ياماراجا » ملك الموت ؟

فاجابوه : ولِمَ تبحث عنه وما شأنك معه ؟

فقصّ عليهم خبره وما احتُسِبَ بهِ .

فقالوا : ليس لرجلٍ مائت ان يصل اليه ، ولا يقدر ان يجتاز مدينة الارواح التي تعيش في تلك المملكة طاهرة مَرضيــة . ولكنّ ملك الموت « ياما » يأتي في اليوم الثامن من الشهر ويزور المكان الذي انت

فيه ، فتقدر ان تتصل بهِ وتعرض عليه ما انت تائق اليه .

فرح البرهميّ ، وانتقل الى المدينة التي يزورها ملك الموت كما قال « شارمانا » وامتثـل امام « ياما » ملك الموت الذي استجاب سؤله ، وقال له : ان ولدك يعيش في البستان الشرقيّ فرحاً مغتبطاً ، وها هو انظر ، فاذهب اليـه وقل له ان يتبعك ، فدهش الوالد وقال : أنـّى لولدي ان يعيش في الفردوس وهو لم يعمل عملاً صالحاً بعد ؟

فقال له «ياماراجا» : ان ولدك قد حظي بنعمةٍ سماوية، ليس لاعماله الحسنة ، بل لايمانه ومحبّته للسيّد العظيم « بوذا » .

وتابع « الواحد المبارك » قوله : ان القلب المؤمن والمحبّ في هذا العالم هو ظلّ عالم الآلهة ، فهو كجواز بيده عليه بصمة الملك يجتاز به اماكن الأمن والراحة والطمأنينة .

ثمّ ان الوالد اجتاز الى المكان فرأى ولده على خير ما يكون الأولاد فرحاً وغبطةً وسروراً وسلاماً وطمأنينة ، وتقاطرت الدموع من عينيه وصاح : ولدي ، ولدي ، أتذكر والدك الذي احبّـك وسهر عليك برأفة وحنان يوم مرضك؟ تعال وعُد معي الى منزلك الوالدي الحبيب .

ولكن الولد أبى ان يترك رفاقهُ ، فقال : اما وقـد تحرّرت من كل ألمٍ ووجعٍ ، واصبحت مسروراً بوجودي الذي لا ارغب عنـه بديلاً ، فدعني وشأني مرتاحاً ولا تذرف عليّ دمعة ، بل افرح لفرحي واطرب لطربي .

ولما عاد البرهميّ من اختطافه ، جاء الى « الواحد المبارك » وسجد

له ، لانه بدّدَ احزانه وأعاد اليه الطمأنينة، ورجع الى « جانافانا » يخبر قومه بما رأى واطمأن اليه .

فمجّد الجميع « الواحد المبارك » الذي تابع حديثه قائلًا : الحقّ الحقّ اقول لكم : إنّ الانسان عندما يتحرَّر من وجوده العالميّ ، ينحلّ جسده فيرجع الى عناصره الارضيّة وامّا روحه التي هي من فوق فلا يصيبها انحلال البتّة بل تعيش في عالمٍ سامٍ بعد ان تطهّر متنقلة مكفّرة عن ذنوبها فتعيش بين احبائها واقاربها، الاب والام والابن والاخ والزوجة . فهي كضيف عابرٍ في هذا العالم تكفّر عن ذنوبها وتتطهر متخلّصةً من آلام الجسد ، لتحيا في الحقيقة والحكمة الفائقة .

ولما فرغ « الواحد المبارك » من كلامه ، توسّل اليه البرهميّ ان يقبله في جملة الجماعة المؤمنة بهِ ليكون اهلًا لاقتبال الحكمة السماوية التي وحدها تنشر السلام والطمأنينة في القلب .

حبة الخردل

تراءى لرجلٍ غنيّ ان ذهبه تحوّل الى رمادٍ ، فحزن على ما جمّع وثمّر حزناً شديداً ، وأوى الى فراشه راغباً عن الطعام . وعَلِمَ احد اصدقائهِ ما حلّ به فجاءَ يعوده ويسأله عمّا اصابه . وما كان من الصديق الا ّ ان قال له : خير لك ان تبيع رماداً من ان تتاجر بالذهب .

فتخلّى الرجل عن ذهبه وجاء الى السوق وامامه تلال رملٍ فمرّت بهِ فتاة اسمها « غريشا غوتامي » وهي فتاة يتيمة وفقيرة ، فقالت له : أتستبدل الذهب بالرماد وانت الغنيّ المثري ؟

فقال لها الرجل : اليّ بقبضةٍ من هذا الرماد يا فتاة. فقبضت «غريشا» قبضة من الرماد واذا هي تتحوّل الى ذهب فدهش التاجر وقال لها : انك تكونين زوجة لولدي ، لأنّ الرماد يتحوّل في يدك ذهبـــاً لبرارتك وقداستك .

وتزوّجت « غريشا غوتامي » بابن التاجر ورُزقت ولداً ما لبث بعد ان حبا وصار قرّة عين والديه ان مرض ومات، فحزنت عليه امّه حزناً شديداً وجاءت الى «الواحد المبارك» تسأله ان يعيد اليها ولدها، فقال لها «الواحد المبارك»: ان ابنك يعود اليك بشرط ان تحصلي على حبّات خردلٍ من أناسٍ ما أُصيبوا بعزيز ولا مات لهم احدٌ، وراحت

« غريشا » تسأل حبّات خردلٍ من أُناس ما اصابهم الموت بفقد عزيزٍ فما وفـّقت فعرفت ان الموت شرط على الاحياء لا ينجو منـه احدٌ ، عظيم او حقير ، غنيّ او فقير ، الجميع سواء لدى الموت ، فرجعت الى نفسها وتعزّت سالية حزنها وعرفت ان كل مولودٍ مفقود ، والحياة لا تستمرّ على هذه الارض لاحدٍ ، والاستمرار للحيـاة الابدية ، للذين يعملون ثمار البر والمحبّة ويسلكون في سُبُلِ الحقيقة ، فيجوزون الموت متحررين من اوجاعهم مباركين .

•

نتبع السيد لنجوز المجرى

كان في جنوبي « شرافاستي » نهر كبير تقوم على احدى ضفتيه دسكرة تجمع نحو خمس مئة بيت ، قصدها « شرف العالم الواحد المقدّس » ليخلص شعبَها ويبشّرهم بالعقيدة .

ولمّا أشرف على الدسكرة ، جلس في ظلّ شجرة على ضفّة النهر ، فرأى السكان عظمتَه المترائية على قسماتِ وجهه ، فاقبلوا عليه باحترامٍ يحيّونه ، وشرع يعلّمهم ويبيّن لهم طريق الخلاص فلم يصغوا اليه .

فتركهم « شرف العالم بوذا » ومضى ولكنّ « شاريبوترا » رغب في ان ينظر اليه عن كثب ويسمع تعاليمه الخلاصية ، فجاء الى ضفة النهر المقابلة ، ورأى ان المجرى الغمر يحول دونـــه ودون الوصول الى « الواحـد المقدّس » ولكنّ ايمانه كان قويّاً فقال في نفسه : سأجوز الغمر مهما عمق ، ولا أخشى . ومشى على وجه الماء كأنـه يمشي على ارضٍ صلبة .

ولمّا وصل الى منتصف المجرى حيث الماء الغامر ، اضطرب قلبـه وكاد يغرق ، ولكنه ذكر قوّة ايمانه فتشدّدت عزائمـه ومشى فوصل الضفة الثانيـة بأمنٍ وسلامٍ ، وما كاد اهل القرية يرونه حتى أخـذهم العجبُ واشتـدّت دهشتهم وقالوا : كيف تمكن « شاريبوترا » من اجتياز الغمر ولا جسر هنالك ولا عبّارة ؟

فأجابهم « شاريبوترا » : لقد عشت بالجهل والعماوة حتى سمعت صوت « الواحد المبارك » فأتيت متشوّقاً لسماع تعاليمه الخلاصية ، وعرفت أنّ كلّ شيء مستطاع بالايمان ، فاجتزت المجرى سعياً على قدميّ برغم تدفق المياه الصاخبة .

وترونني الآن ممتثلًا امام « السيد المبارك » . فقال « شرف العالم بوذا » : يا « شاريبوترا » إنّ للايمان فعلًا عظيماً ، وقوّة لا تدانى ، وبدونه لا يقدر احد ان يجتاز الخضمّ العالميّ الصاخب الى ضفة الخلاص . فمن تغلَّب على شهواته وبدّدَ الشكّ والوهم من عقله تمكَّن من اجتياز مجرى العالم فيصل الى النجاة من الموت ، فيخلد .

ولمّا سمع اهل القرية كلام « تتغاتا » تهلّلوا ممجدين عظمته ، وآمنوا بعقيدته خاضعين لأوامره ، مقتبلين اسمه المبارك .

مرض الزاهد

مرض زاهدٌ متقدّم في السنّ ، فقعد عن كلّ حركة ، واهمله رفاقه فلم يعنوا به ، وحدث ان قدم « شرف العالم الواحد المقدّس » الى « فيهارا » اي الدير حيث الزاهد المريض ، ولمّا عرف من امره ما عرف امر بأن يُغلى ماءٌ ، وتوجّه الى غرفة المريض يخدمه ويساعده على الشفاء وقال :

ان « تتغاتا » جاء العالم ليكون صديق الفقراء وطبيب المرضى ومحامياً عن غير المحميين ، ويخفّف آلام الجسد ومن اتبع « دهارما » معاً ، ويمنح العميان بصراً ، والمترددين الشاكّين بصيرة ، ويكون للأيتام عوناً ، وللضعفاء مساعداً ، وللشيوخ تعزية ، ويكون قدوة في المحبة .

إنّ عمله الذي من اجله جاء العالم هو ان يصل بالعالم الى خليج الحياة العظيم فيضيع فيه كما يضيع النهر الكبير في الاوقيانوس العظيم .

وبقي بقرب الشيخ الزاهد المريض ، وعلم بمقدمه حاكم المدينة ، فاقبل عليه يقدّم له الاحترام مرحّباً به ، وعرف بما صنعه « الواحد المبارك » نحو الزاهد المريض ، فتعجّب . فقال له « بوذا » :

كان في ما مضى من الأيام ملك عاتٍ ، يحمّل رعيته أحمالاً ثقيلة وينزل بهم ظلماً مبرّحاً ، فأمر أحد ضباطه ان يقيّد رجلاً بقيودٍ ثقيلة ،

ففكّر الضابط بنفسه وقال : ان هذا المسكين لا يقوى على حمل هذه القيود، فلأرفق به قليلاً . ولمّا جاء المسكين يسأل الملك الرحمة، أنزل على جسده ضرباتٍ شديدة افقدته الوعي ، وبحسب سُنّة التغيّر وشريعة « ديفاداتا » مات الملك وتخلّى عنه اعوانه ، ووُلد ثانيـة بدنيا الآلام والعذاب ، وقد نسي ماضيه بصعقتي الموت والولادة .

فالرجل هو هذا الزاهد المريض الذي لم يلتفت اليـه رفاقه ، فتُرك يتألم مكفّراً عن ماضيـه، ولكنّ « بوذا » الذي هو « تتغاتا » المولود انساناً، يجب عليه ان يساعد التائبين ويعطف على المتّكلين عليه. وتابع قائلاً : ان من يتألم لألم الآخرين من الأمم والأبرياء ، يرث مقر راحة في الامكنة العشرة . والذي يتعلّم كيف يتألم صابراً ، يتطهر ويختار ما يخفّف عنه الأوجاع والآلام . ولمّا سمع الزاهـد المريض اقوال « المبارك » ، سجد أمامـه نادماً ومعترفاً بخطاياه ، فأُحصي في مختاري ملكوت السيد .

الايام الاخيرة

الوداع

اقام « الواحد المبارك » في جبل يدعى « قمة النسر » بالقرب من « راجاغريها » في حكم اجاتاشاترو» ملك «ماغادها» الذي عقب «بمبيسارا» .

ففكر الملك يوماً انه يرغب في القضاء على مملكة « فريجي » قضاءً مبرماً ويعفّي أثرها ، فطلب الى وزيره الاول «فارشاكارا» ان يذهب الى « الواحد المبارك » يسأله عن صحته وينهي اليه بما انتوى الملك ان يفعل ، واوصاه ان يحرص كل الحرص على ما يجيب بدون زيادة او نقصان .

فامتثل الوزير وقصد « الواحد المبارك » وحيّاه باحترامٍ وعرض عليه رسالة الملك . وكان « آنندا » يجلس وراء « الواحد المبارك » فقال له : أسمعت يا « آنندا » رسالة الملك ، ومملكة « فريجي » تقيم اجتماعات عامّة تقدّس فيها العقيدة التي بشرتهم بها ؟ اجابه «آنندا»: نعم سمعت ذلك .

فقال « الواحد المبارك »: ان مملكة «فريجي» مؤمنة، رجالاً ونساء

واطفالاً ، بالعقيدة المقدسة ، ويجب ان تنمو وتزدهر ، لا ان تخرب وتضمحلّ لما فيها من عبقِ القداسة .

ثم ان « الواحد المبارك » التفت الى رسول الملك وقال : يا « فارشا كارا » ان مملكة « فريجي » قد استنارت بنور الحقيقة، وسلكت طريق البرارة، ولذلك يجب ان تنعم وتسعد مزدهرة، فابلغ الملك ذلك. ومضى الرسول يحمل جواب الرسالة التي جاء بها الى « الواحد المبارك » .

وجاء «الواحد المبارك» الى «راجاغريها» حيث كان الاخوة مجتمعين في الهيكل ، ولما صار بينهم قال : اتيت اعلمكم ايها الاخوة الزهاد ان يوم الرحيل قد دنا ، فاصغوا وعوا :

لقد عشت معكم ايها الاخوة زمناً طويلًا علمتكم به طرق الخلاص والنجاة ، وليس لي وصية اتركها لكم الا ان تسلكوا حسناً وتعملوا الصلاح مستنيرين بنور الحقيقة ، تعيشون عيشة اخوة متحابين متصافين، تمارسون مراسم المسالك السبعة بحكمة فائقة ، ممتلئين فرحاً وتواضعاً ، حرصين على ذواتكم مبتعدين عن كل تجربة ، عالمين انكم مقبلون على « سانغا » الذي ينتظر قدومكم بحياة مزدهرة مباركة .

فكونوا ايها الاخوة على اقوى ما تكونون ايماناً ، بقلب متواضع معرضين كل الاعراض عن الخطيئة ، متشوّقين الى الحكمة التي تملأ عقولكم وتنيرها .

السلوك الحسن

قضى « الواحد المبارك » مدّة في « قمة النسر » بين الاخوة يتحدث اليهم بالعقيدة مثبّتاً ايمانهم ، يعلّمهم ان يسلكوا حسناً ، وردّد على مسامعهم العظة التي القاها في غير مكانٍ :

عظيمة هي الثمار ، وعظيمة هي الطمأنينة عندما نسلك حسناً .

عظيمة هي الثمار، وعظيمة هي البصيرة عندما نطمئن الى نفوسنا ، فيهدأ العقل ويتغلب على اعمال الشرّ ، مبتعداً عن الانانية والذات الامّارة بالسوء .

عظيمة هي ثمار الحكمة والتأمّل ، فانهما يبعدان الجهل والغباوة .

عظيمة هي ثمار الحقيقة ، ثمار الحكمة ، ثمار البرارة .

وعظيمة هي ثمار قهر الذات ، وقهر الخطيئة ورذلها .

ايمان شاريبوترا

مشى « الواحـد المبارك » يحفّ به جمع غفير ، يقصد « نالندا » فالتجأ الى غابة « منغو » يستريح .

ولم يستقر بهم المقام حتى شاهد المحترم « شاريبوترا » مقبلاً نحوه ، فحيّاه باحترام وقعد ثم قال :

إنّ ايماني « بالواحد المبارك » عميق وعظيمٌ جدّاً ما بلغه احد غيري.

فمن هو اعظم حكمة من « الواحد المبارك » في ملء العالم كلـه ؟

فقال له « الواحد المبارك » : عظيمة هي الكلمات التي ينطق بها فمك . الحقّ الحقّ اقول لك يا « شاريبوترا » ، ان ما يُوحى اليك هو ترنيمـة انخطاف تُلهمها .

الحقّ اقول لك : ان كثيرين يعلمون ان « الواحد المبارك » كان منذ الأزمنة القديمة وتراءى لكثيرٍ من البوذيين ، وأنت ألا تعلم ذلك؟

– كلا يا سيّد .

– هل اقتبل اولئك الناس المباركين الذين سيكونون في مستقبل الأيام بوذيين مقدّسين ؟

– كلا يا سيّد .

– وانت يا « شاريبوترا » أما عرفتني « كبوذا المقدّس » ؟

– لا ، ولا كذلك يا سيّد .

– أما تعلم يا « شاريبوترا » ان قلوب البوذيين الماضين والذين يجيئون في المستقبل ، هم كبوذا المقدّس ؟

– كلا يا سيّد .

– إذن فلِمَ نطقت بهذه الكلمات العظيمة ، واعلنت هذه الترنيمة الايحائية العليا ؟

– يا سيّد اني لا اعلم قلوب البوذيين الماضين والذين سيجيئون وجلُّ ما عرفته وتعلمته من « الواحد المبارك » الذي هو « تتغاتا ودهارما وسانغا » هو الايمان وانه لمن العدل ان يكون لك مدينة او مملكة قوية الاساس ثابتة الأركان يحيطها سور وباب واحد ، ولها ملك يرعى رعيته بواسطة حرّاس امناء اذكياء ، ومجرّبون وحكماء ، يرفضون سكنى الغرباء فيها ولا يقبلون إلاّ الأصدقاء الذين كشفت لهم الحقيقة ، فلا يدخلها مخلوق لم يُعطَ ، وكلّ من دخل اليها او خرج منها يجب ان يمرَّ من الباب الذي هو حدّ الايمان وهو ما عرفته وفهمته .

فالبوذيون المقدّسون الذين ترفعوا عن كل شهوة ، الكبرياء واللذة والشك ، وسلكوا سبيل الانواع العقلية الأربعة وهي : النباهة والصدق والحكمة والمحبة ، قد جازوا السراط واستقرّوا في الراحة والخلود .

وعلى كلِّ بوذيّ ان يستنَّ هذه السنّة من الآن كما نرى ذلك في سلوك « الواحد المبارك » ربّنا .

فقال له « الواحد المبارك » : ما اعظم ايمانك يا « شاريبوترا » فأنت ملك المدينة وحارسها ، فحاذر ان يضعف ايمانك ، ويسفَّ ارضاً .

باتاليبوترا

بعد ان مكث «الواحد المبارك» مدة في «نالندا» ذهب الى «باتاليبوترا» وهي في مقدّمة مدن «ماغادها»، ولمّا سمع التلاميذ والاخوة بقدمه، اسرعوا الى استقباله متجهين به نحو بيت الأمة، ولمّا وصله غسل رجليه، ودخل القاعة واتكأ الى عمودٍ متجهاً نحو الشرق، وكذلك غسل التلامذة والاخوة والمحتفون به ارجلهم، ودخلوا القاعة متحلّقين حوله، منهم مَن اتجه نحو الغرب ومنهم من اتجه نحو الشرق.

وبعد ان استقرّ بهم المقام قال «الواحد المبارك» يخاطب الجمع: خمسة اشياء تعود على مقترفها بالخسران والحسرات:

١ العمل الرديء ينتج الفقر ويوقع في الكسل.

٢ الصيت السيّىء ينتشر ويكون فيه اذلال وصغارة.

٣ الفكر الرديء يخجل صاحبه ويحقّره سواء كان في جماعة البراهمة او النبلاء او رؤساء البيوت او شارمانا.

٤ في الموت يضطرب متألماً متوجّعاً.

٥ بعد انحلال الجسد يبقى العقل في عذابٍ شديد وآلام وحسرات.

وخمسة اشياء تنتج السعادة والغبطة:

١ العمل الحسن، يمجد صاحبه، ويسدّد خطواته في جميع اعماله.

٢ الصيت الحسن ، تاج مسرّة وغبطة .

٣ الفكر الصالح ينبل ويتسامى سواء كان في جماعة البراهمة او النبلاء او رؤساء بيوت او شارمانا او موظفين .

٤ يموت مرتاح العقل مطمئناً .

٥ بعد عطلة الجسد يبقى العقل سعيداً مغتبطاً .

وحيثما كان ، فاعماله الحسنة تضمن له بركة السماء وسلامها . هذه عاقبة الاعمال الجيّدة المباركة .

وبعد ذلك انصرف « الواحد المبارك » الى ملاطفة التلامذة والاخوة ، يحدّثهم باحاديث تقوية صالحة ، ثمّ صرفهم ليطمئنوا الى مضاجعهم ، فهبّوا من اماكنهم لامسين يمينه واعدين ان يكون لهم مثاله قدوة حسنة ، يتّبعون العمل الجيّد فلا يحيدون عنه .

وكان الملك في ذلك الوقت قد ارسل الى عامله في « باتاليبوترا » ان يحصّنها . فلمّا شاهد « الواحد المبارك » الفعلة منصرفين الى اعمالهم مجدّين قال : ان من يبني قلعة يضمن لنفسه قوة ، ولكن هذه المدينة المباركة ستكون مقرّ التجار ، يبيعون ويشترون البضائع على اختلافها ، فلا يصيبها حريق او غرق بطغيان المياه او خصام .

ولمّا سمع الحاكم هذه النبوءة سُرّ واغتبط واطلق على باب المدينة الذي جازه « بوذا » الى نهر الغَنْج « باب غوتاما » . وما ان وصل « الواحد المبارك » الى نهر الغَنْج ، حتى تقاطر اليه الناس محيين مرحبين ، وقد سأله غير واحد ان يبارك مركبه بمروره فوقه ، على أنّ السفن كانت

كثيرة فما اراد « الواحد المبارك » ان يخصّ مركباً دون آخر ، فامر بأن تجتمع معاً ومنحها البركة ثم اجتاز النهر سعياً على المياه بدون ان ينزل في سفينة ولذلك سمّي المكان « عبّارة غوتاما » . وكان يبشر الجمع ويعلن الحقيقة وطريق الخلاص .

مرآة الحقيقة

جاء «الواحد المبارك» الى قرية «ناديكا» يصحبه جمع غفير من الاخوة، ونزلوا معاً في ساحة القرية، واذا بالمحترم «آنندا» يقبل على «المبارك» ويعرض عليه اسماء الاخوة والاخوات الذين ماتوا وهم قلقون لمصيرهم، فلا يعلمون هل يولدون في أجساد حيوانات، أو يكونون في جهنم، او يتراءون اشباحاً أم يولدون في مكان حزن وألم؟

فأجابه «الواحد المبارك» وقال: ان الذين يموتون قاهرين الشهوات الثلاث: اللذة، والذات، والانانيه، لا خوف عليهم، ولا هم يولدون في ألمٍ او عذابٍ، وعقلهم لن يعود الى اقتراف شرّ أو خطيئة، لأنهم نالوا الخلاص الابدي. فعندما تتعطل اجسادهم وتتفلّت الأرواح منها، فلا يبقى إلاّ الفكر الصالح والعمل المبرور، فيولدون في مكانٍ رفيع يمارسون الفضيلة والبرارة ويجتازون الهدف وهو اوقيانوس الحقيقة الخالدة ويستقرّون في سلام النيرفانا حيث لا وجع ولا حزن ولا تنهّد.

والانسان في قلقٍ دائم لمصيره بعد الموت، وكل حيٍّ يموت، وان عرف الحقيقة واستقام له فهمها، فهو أبداً قلق على مصيره، وهاءنذا اعلمك يا «آنندا» معنى مرآة الحقيقة. فاعلم ان تعاليمي قد بدّدت

جهنم وازالتها عن المؤمنين ، والولادة في الحيوان او البقاء كشبح او الولادة في حزنٍ وألم قد انقشعت عن الذين وصلوا الى الخلاص فلن يعودوا الى المادّة .

ومرآة الحقيقة يا «آنندا» هو الشعور بالحصول على الايمان «ببوذا» والتصديق لما جئت به انا «الواحد المبارك» المقدّس الأوحد والحكيم الأوحد ، فأملأ الجميع نوراً مقيّداً العالم بكلام الحقيقة ومعلّماً آلهة الناس .

فمن آمن وصدّق، وسلك سبيل الخلاص، شعر انه قد نجا من كل حزن وألم فلا تُصيبه صعقة ولادة في حيوانٍ ما بل يرتفع الى عقل أعلى.

فمن ظفر بمرآة الحقيقة فلا يخشى قلقاً واضطراباً فيشعر بسلام ، والطمأنينة تبارك حياته بين رفقائه الأحياء .

امبابالي

وجاء «الواحد المبارك» وجمعاً غفيراً من الاخوة الى «فيشالي» واستقرّ في غابة المرأة المغناج «امبابالي» وقال للاخوة : ليفكّر كل من الاخوة متأملاً بالعالم وما فيه من ألم وحزن ، مسببين عن الشهوة وضلال التفكير . ولتكن عقولكم يقظة منتبهة دائماً ، سواء أكلتم أم شربتم ، مشيتم ام قعدتم ، نمتم ام استيقظتم ، تكلمتم ام سكتّم .

وكانت الفينانة المغناج «امبابالي» قد سمعت بمقدم «الواحد المبارك» وحلوله في غابتها ، فركبت عربتها وجاءت تقصده ، وكانت الطريق وعرة غير صالحة لسلوك العربة ، فترجّلت منها ، ومشت نحو «الواحد المبارك» وانتحت ناحية من مجلسه وقعدت باحترام .

وجاءت ، تطلب الاستنارة تائبة ، وما عليها من الألبسة إلاّ ثوب بسيط عادي وقد تعطلت من حلاها وجواهرها ، ومع ذلك فكانت اجمل من وقعت عليها عين ، فقال «الواحد المبارك» في نفسه : ان هذه المرأة لم تتحمّل مشاقّ السير وهي شابة يرغب فيها الامراء والملوك ، إلاّ لكي تتخلّى عن حياة الدنس وتتوب مستنيرة بالحقيقة . انها جاءت تطلب الحكمة وقلّ أن يكون مثلها بين النساء اللواتي سلكن سلوكها .

وبعد ان استقرّ بها المقام ، أخذ «الواحد المبارك» يفرح قلبها

بتعاليمه الخلاصيّة وهي تصغي اليه بوجهٍ متهلل فرحاً وإشراقاً ، ثم انها نهضت وقالت :

هل « للواحد المبارك » ان يتكرَّم فيشرّفني بزيارة منزلي مباركاً طعامي ، والاخوة ، غداً ? فكان صمت « الواحد المبارك » دليل القبول .

وكان في تلك الناحية عائلة كريمة غنيّة تُعرف بعائلة « ليكشافي » سمعت ايضاً بمقدم « الواحد المبارك » ونزوله في غابة المغناج « امبابالي »، فشدّوا عرباتهم ، ولبسوا أفخر ما عندهم من الألبسة وجاؤوا يطلبون « الواحد المبارك » . وبينما كانت « امبابالي » عائـدة الى منزلها ، كان شبّـان « ليكشافي » على عرباتهم في طريقهم الى « الواحد المبـارك » فزحمت عربة « امبابالي » عرباتهم ، فقالوا لها : لِمَ تزحميننا بعربتك ?

اجابت : ايها الشبّان ، لقد دعوت « الواحد المبارك » والاخوة ، ليبارك طعامي غداً ، ولذلك ترونني مسرعة .

فقالوا لهـا : هل لكِ ان تتخلّي لنا عن هـــذه الدعوة لقاء مئة ألف ذهب ?

فقالت : لو قدمتم لي مقاطعة « فيشالي » بما فيها من خراج وعائدات لا اتنازل عن هذا الشرف العظيم الذي نالني .

فتركها شبّان « ليكشافي » وأَقبلوا على « الواحـد المبارك » ، فلمَّا رآهم من بعيد ، قال للاخوة : دعوا الاخوة الذين لم يشهدوا الآلهـة بعد ولم تتمّ استنارتهم، ان ينظروا الى شبان « ليكشافي » بألبستهم الفاخرة كأنهم خالدون .

ولمّا وصلوا الى المكان الذي لا يمكن للعربات ان تجتازه ، ترجلوا جميعاً ومشوا سيراً على الاقدام ، متجهين نحو « الواحد المبارك » . ولمّا وصلوا اخذ كل منهم مكانه باحترام ، بالقرب منه ، فحدّثهم « الواحد المبارك » بلطفه ووداعته معلناً لهم الحقيقة الجليلة ، ثمّ انهم سألوه ان يشرّف قصرهم ويبارك طعامهم مع الاخوة . فقال : لقد وعدت « امبابالي » بذلك .

فودّعه شبان « ليكشافي » ملتمسين يمينه ، ولمّا وصلوا الى ديارهم رفعوا ايديهم وقالوا : أيتها المرآة العاهرة ، لقد فُضلتِ علينا ، لقد تركناك وشأنك ايتها الفتاة الطائشة .

وامّا الفينانة المغناج « امبابالي » فقد انصرفت في الليل تُعدُّ الارزّ والحلويات وغيرها ، وانتظرت قدوم « الواحد المبارك » . وفي الصباح ارتدى « الواحد المبارك » ألبسته واخذ قصعته وجاء والاخوة الى منزل « امبابالي » وقعد في المكان الذي أُعدّ له ، وقدّمت « امبابالي » اليه الطعام ووقفت على رأسه تخدمه .

ولمّا شبع « الواحد المبارك » اخذت « امبابالي » كرسيّاً واطئاً وجلست بالقرب من « الواحد المبارك » مصغية اليه متهللة فرحة وقالت : هل للسيّد ان يقتبل مني هذا المنزل هدية برسم الاخوة الذين يرئسهم « بوذا » ؟ فقبل « الواحد المبارك » الهدية ، وبارك عملها ومضى .

اعلان بوذا للفراق

بعد ان مكث «الواحـد المبارك» ما اراد في غابـة «امبابالي» انصرف مع الاخوة الى «بيلوفا» بالقرب من «فيشالي»، وهنالك اعلن الاخوة، قائلاً: ها ان فصل الشتاء قد جاء، ودنا الموت، و«الواحد المبارك» سيقاسي آلام مرضٍ مبرّح.

وليس من الحكمة في شيء ان اترك الحياة قبل ان اثبّت الاخوة في الايمان، فتغلّب على اوجاعـه واستجمع قواه، وخرج الى الهواء الطلق وقد شفي بارادتـه. فتقدّم اليه تلميذه «آنندا» فقال: انني احسّ بألم شديد وكدر، وأرى ان الافق قد اظلم امام عيني، وأمّا الآن فأشعر بشفاء «الواحد المبارك» قد سرّي عني الحزن كما سرّي عن الاخوة جميعاً، فارغب منك يا سيّد ان تعلّمنا ايضاً وترشدنا الى ما به الخلاص قبل ان تجوز بحر الحياة هذه.

فأجابه «الواحـد المبارك»: ماذا تنتظر مني بعد يا «آنندا» وقد اعلنت الحقيقة لك وللنـاس اجمع؟ فاعلم ان «تتغاتا» لم يُبقِ شيئاً مستوراً إلاّ اعلنه وعرّفه الناس اجمع، وما بقي احـــدٌ إلاّ وقد جاورت الحقيقة فكره، وقدت الاخوة وعلّمتهم.

واعلم يا «آنندا» اني وان بارحت العـالم فاني انا «تتغاتا» اكون

معكم فاسدّد خطواتكم ، وقد تركت لكم التعاليم كلها ، واعلم اني كبرت وشخت واشرفت ايامي على الزوال ، ودلفت الى الثمانين عاماً ، وانهدّ الجسم الترابي ليفلّت منه «تتغاتا» فاحرص يا «آنندا» ودع الحقيقة تضيء فيك وفي الاخوة معاً ، ولا تسألوا مساعدة من احدٍ غير الحقيقة . ابحثوا عن الخلاص في الحقيقة لا في غيرها .

وليضيء نورك يا «آنندا» ونور الاخوة معتصمين بالحقيقة باحثين عن الخلاص لا عن غيره . علّم الاخوة ان يتخلّصوا من آلام الجسد واحزان العالم ، وليتخلّوا عن الاحساس العالميّ ، وهو مصدر تنهد وحزن واوجاع ، وكن انت بعد ان افارق هذه الارض ، المصباح الذي يستمدّ منه الاخوة النور حكمة ومعرفة . انك انت يا «آنندا» قد عرفت الحقيقة واعطيتك فكن معلّماً ومرشداً ولتتقد فيك غيرة التعليم .

اخبار بوذا بموته

قال « تتغاتا » يخاطب تلميذه « آنندا » : في السنوات المتأخرة جاء « مارا » الشرير الى « بوذا » المقدس ثلاث مرّات يجرّبه . فوقف « لبوذا » على باب المكان الذي كان فيه وقال : لا تذهب يا سيّد بل اصبر لانه في مدة سبعة ايام يكون لك مملكة واسعة تحكم بها على الاقطار الاربعة ، وعلى ألفيْ جزيرة . فاصبر ولا تذهبْ .

اجابه « بوذا »: اني اعلم ذلك ولكني لا ارغب في ان اكون العاهل عليها ، لانني جئت « بوذا » لاقدّم الفرح وانير العقول .

ثم ان « مارا » اقترب من « تتغاتا » ثانية وهو يغتسل في نهر « نيرانجا » وقال: لقد نحل جسدك مما حمّلته صوماً وقهراً ، وشبح الموت متراءٍ على قسمات وجهك ، فما نفعُ هذا الاجهاد؟ فتعال وعِشْ مزهوّاً بالحياة.

اجابه « الواحد المبارك »: ايها المعاند الشرير، لمَ تجيئُني وقد رأيت مني صدوداً؟ فسدّد سهمك الى غيري وانقلب عني، فاني ما رأيت لحياة هذا العالم قيمة، فهي تعارك الموت والموت يعاركها، وخير لي ان اتخلّص وانجو من عذاب العراك .

فترك «مارا» الشرير «تتغاتا» وقال : ها قد مرّ عليّ سبع سنوات وانا اتبع « الواحد المبارك » خطوة خطوة لأعثره ، فما قويت عليه ، وجاء المجرّب للمرّة الثالثة الى « الواحد المبارك » وهو جالس تحت

شجرة رعاة « نياغرودا » على ضفـّة نهر « نيرانجا » وقد تألق وجهه نوراً ، جاءه الشرير « مارا » وقعد بالقرب منه وقال : متى تبرح الوجود ايها السيد ؟ ومتى يموت « الواحد المبارك » ؟ لقد آن له ان يبرح العالـَمَ . اجـــابه « الواحد المبارك » : لا ، لن اموت قبل ان اثبّتَ الاخوة والاخوات والتلامذة والتلميذات في الحكمة، واعلـّمهم الكتب ليعملوا الواجب ويعتصموا بالحقيقة ، وابشـّر الامم بالخلاص وبالعقيدة المقدّسة ليتبدّد من امامها كل عقيدة دونها ، منتشرة في ملء العالم .

وفي السنوات الاخيرة جاءني « مارا » الشرير ايضاً ثلاث مرّات ، وقعد بالقرب مني وقال : ابرح هذا العالـَم وتخلَّ عن وجودك فيـه يا سيّد . فقلت له : اذهب عني واعـلم : ان غاية « تتغاتا » ان يفرح قلوب العالم اجمع ويعدّ لهم مكاناً سعيداً .

فقال « آنندا » عندئذ « للواحد المبارك » : تنازل يا سيّد وابقَ معنا فلا تبرح العالم رأفة به .

اجابه « الواحد المبارك » : كأنك يا « آنندا » ما عرفت « تتغاتا » بعد ، اما عندك ايمان ؟

– نعم يا سيّد .

وقرأ « الواحد المبارك » الحزن الشديد في قلب « آنندا » تلميذه الحبيب فقال له : اما عندك ايمان يا « آنندا » ؟

– نعم يا سيد ، اني مؤمن .

– اذا كان ايمانك شديداً « بتتغاتا » فلمَ تضطرب؟ اما اخبرك « تتغاتا »

للمرّة الثالثة ، ان على كلّ حيّ سواء كان عزيزاً ، قريباً او بعيداً ، ان يفارق احبته واقاربه ، وليس لمخلوقٍ ان يبقى ، وشرط تقمّصه واجب لتطهيره ، وانحلال الجسد امر واقع لا بدّ منه . فمن أَيْنَ لجسدي ان يبقى وكيف لا ينحلّ ، وليس لأحد ان يخلد ، او يبقى في وجوده ، في هذا العالم ، والخلود هو الفناء في « النيرفانا » .

فانحنى « آنندا » باحترام وعرف ان « تتغاتا » يخبر عن موته .

فقال له « الواحد المبارك » : اذهب الآن واجمع في الهيكل الاخوة الموجودين في « فيشالي » .

وجاء « الواحد المبارك » الى اجتماع الاخوة وجلس على الدّكة امامهم ، ولما استقرّ بهم المقام قال : ايها الاخوة الذين نلتم نعمة الحقيقة وعرفتموها واستوعبتموها واستنرتم بنورها ، واخذتم الدين الحقّ ، فاسعوا ان تنشروه مبشرين به في العالم كله .

وعلى كلٍّ ان يغفر الاساءة ويسامح فلا يضلّ قلبه فتخسر صفقته ويقف عند نصيبه ، فلا يصل « النيرفانا » . فليحرص كلٌّ على قلبه من السقوط والتجارب ، وليترك العالم وما فيه من مظاهر تبهر ولا تشبع ، وليبحث جاهداً عن الطمأنينة العقلية متئداً في المأكول والمشروب ، فلا يتناول الا ما يقيم به الأود ، مكتفياً بضرورة ما يحفظ الجسدَ .

اسلكوا ايها الاخوة في الحقائق الاربع بطمأنينة لتجتازوا الطريق الشاقّ ، متقمصين لنطهر انتم وانا ونظفر بالحقيقة . مارسوا التأملات كما علمتكم . حاربوا الخطيئة .

اسلكوا طريق القداسة . كونوا اقوياء الارادة . أرهفوا سمع اروا حكم ولتنر الحكمة عقولكم فتظفروا بالمسالك الثمانية النبيلة التي تقودكم الى « النيرفانا » .

تمسكوا « بتتغاتا » الذي ينقلكم الى المكان الابدي ، وها انا اقول لكم الآن : ان كل مركّب ينمو ويشيخ وينحلّ فابحثوا عن الشيء الدائم الذي لا ينحلّ. ابذلوا في سبيل الخلاص وتصرّفوا بحكمة وتعقّل.

•

شوندا الحداد

وجاء « الواخد المبارك » الى « بافا » فسمع به « شوندا » الحدّاد وكان « الواحـد المبارك » في غابة « المنغو » فاقبل على « بوذا » اي على « الواحد المبارك » وحيّاه باحترام ورجاه ان يقبل دعوتـــه الى الطعام والاخوة معاً ، فقبل « بوذا » الدعوة . وراح « شوندا » يُعِدّ الارز والكعك ولحم الخنزير البريّ المقدّد .

وجاءَ « الواحد المبارك » وأكل في بيت «شوندا» ، ولما فرغ من الأكل أَحسّ بوجع وألمٍ ولكن بارادتـــه القوية تحمّل ذلك بصبر وبدون تذمر .

وقال « الواحد المبارك » لتلميذه «آنندا » انه يرغب في الذهاب الى «كوشيناغارا » ، وبينما هما في الطريق ، تعب « الواحد المبارك » فانتحى جانب الطريق وقعد تحت شجرة يستريح قليلاً ، وقال لتلميذه «آنندا » : اطوِ الرداء اربع طيّات والقهِ عليّ لاني تعب وارغب في الراحة . فاتمّ «آنندا » رغبة سيّده .

وبعـد ان اطمأنّ « الواحد المبارك » الى الراحـة قال يخاطب تلميذه «آنندا» : ارجو ان تجلب لي قليلاً من الماء فاني عطش، واريد ان اشرب .

فقال له «آنندا » : ياسيّد، لقد مرّت بنا نحو خمس مئة عربة تحمل ماءً، والنهر على قيدِ بضعة اذرع منا ، وماؤه صافٍ عذب فهل « للواحد المبارك » ان يصحبني اليه فيروي عطشه ويثلج صدره بمائه النمير ؟

فكرّر عليه «الواحد المبارك» القول ثانية: ارجو منك يا « آنندا » ان تجلب لي قليلًا من الماء لأني عطش ، واريد ان اشرب .

فاجابه « آنندا » : دعنا يا سيّد نذهب الى النهر .

فقال له « الواحد المبارك » للمرّة الثالثة : ارجو منك يا « آنندا » ان تجلب لي قليلًا من الماء لأني عطش ، واريد ان أشرب .

فقال له «آنندا »: لك ما اردت يا سيّد. وأخذ القصعة وجاء النهر يستقي منه، واذا هو عكِرٌ، فصعد «آنندا» الى قرب منبعه ، فرأى ماءً صافياً عذباً رائقاً ليس فيه قذى ، فقال في نفسه : ما اعجب « تتغاتا » واعظمه .

واستقى « آنندا » ماءً واتى الى السيـد يقول : هوذا الماء ايها « الواحد المبارك » قد احضرته ، فليشرب الواحـد المغبوط ، ليطفىء غليل صداه معلم الانسان والآلهة معاً .

فشرب « الواحد المبارك » . وحدث في ذلك الوقت ان مرَّ بهمـا شاب « مالاوي » من المنبوذين اسمه « بوكاشا » من تلامذة ارادا ـ كلاما يقصد « بافا » .

فلما رأى الشاب المالاويّ « الواحـد المبارك » قاعداً الى جذع شجرة ، قصد اليه وحيّاه باحترامٍ ، وأخذ مقعده في ناحية قريبة منه .

وشرع « الواحد المبارك » يعلّمه ويفرح قلبه باحاديث دينيّة تقويّة قد بعثت في قلب الشاب « المالاوي » غبطةً وفرحاً .

فقال له الشاب المالاوي « بوكاشا » : تنازل ايها الصالح وفتش لي عن ثوبين لامعين يصلحان للارتداء .

اجابه « الواحد المبارك » : ليكن لك بحسب رغبتك، وللحال تمثّل ثوبان لامعان كالذهب يصلحان للارتداء ، فاخذهما « بوكاشا » وقدمهما الى « الواحد المبارك » وقال : هذان ثوبان ذهبيان لامعان ليباركهما « الواحد المبارك » بالقبول .

فقال له « الواحد المبارك » : البسني ثوباً وألبس « آنندا » ثوباً . وتجلى « تتغاتا » بثوبه يتألق بهاءً كالشُّهب، عليه مهابة وجلال، فقال « آنندا » « للواحد المبارك »: ما ابهى جمالك فان إهابك يتألق بهاء وإشراقاً باجمل من الجمال الذي لا يوصف .

فقال له « الواحد المبارك » : « لتتغاتا » حالان يظهر فيهما ساطعاً متألقاً، حال ليليّة يا « آنندا » يصل بها « تتغاتا » سدرة الجمال البهيّ، وحال ليليّة ثانية يشرق بها على الارض التي يسكنها .

وتابع « الواحد المبارك » خطابه قائلًا : ارسل يا « آنندا » مَن يقول « لشوندا » الحداد انّ « تتغاتا » يموت وقد كان آخر طعامه عندك ، انه بشّرك يا « شوندا » بموت « تتغاتا » لانه أكل طعامك ، أترى من الحسن ان يموت « تتغاتا » بطعامك ؟ ولقد سمعت من فم « الواحد المبارك » ان « تتغاتا » قد اقتبل الطعام والثمار فيما هو بنوره

العلويّ ، ولم يكن بوجوده الارضيّ . ان الطعام والثمار قد كانا بكثرة فائقة ، وقد قصدت يا « شوندا » بذلك ان يكون لك غنى وصيت حسن ويطيل « كارما » عمرك وتولد ولادة حسنة ، ترث من بعدها ملكوت السماء . ان عملك هذا يضاعف لك الطعام والثمار والثروة ، ويضمن لك راحة لأنّ العطاء جيد .

وختم المبارك قوله :

إنّ مَنْ يُعطي يربح كثيراً ، ومن يقهر الذات يتخلّص من الآلام ، ورجل الاستقامة يبتعد عن الخطيئة وينفي عنه كلّ شهوة دنيئة . بالزهدِ ونكران الذات ، والابتعاد عن الخطيئة نصل الى « النيرفانا » .

ميترايا او الوديع

اقبل « الواحـــد المبارك » على غابة « شالامالا » من اعمال « يوبافارتانا » في « كوشيناغارا » يحفّ به جمع غفير من الاخوة، والغابة على ضفّة نهر « هيرانيافاتي » ، فلمّا اطمأنّ « الواحد المبارك » الى نفسه قال لتلميذه « آنندا » : أن اعـدّ لي محملًا يقودني الى الشمال الى مشجرةِ « شالا » لأني تعب ، واريد ان اضطجع هنالك .

فقال « آنندا » : لك ما اردت يا سيّد . وذهب وأَعـدّ المحمل فاضطجع فيه « الواحد المبارك » منخطفـاً عن وجوده ، محمولاً الى تلك الغابة وكانت جرداء، فاذا هي مملوءة بأنوار الزهر ولم يكن الفصل ربيعاً ، وتفتحت ابواب السماء، واذا اصوات من الاجواء تعلن مقدم « بوذا » فامتلأ قلب « آنندا » فرحـاً واخذه عجب شديد ، فقال له « الواحد المبارك » : لا تعجب يا « آنندا » فان « تتغاتا » لا يرحّب « بالواحـد المبارك » فقط بل بالاخوة والاخوات المخلصين ، الممتلئين محبّةً ، العاملين لمرضاته ، وان « تتغاتا » ليتراءى لهم مرحباً ، فاسلك يا « آنندا » حسناً وامتلىء نعمةً وقدّس « تتغاتا » ، بهذا يا « آنندا » تمجد السيّد . ومضى « آنندا » من ثمّ راجعاً الى « فيهارا » اي الدير، وقعد حذاء الباب مطرقاً الى الارض حزيناً ، يبكي فراق « الواحـد المبارك » ويقول : واأسفاه اني ابقى وحيداً منفرداً اعلّم ، فمن ذا

الذي ينجز العمل بعد ذهاب المعلّم الذي كان يذوب وداعة واتضاعاً؟

ثمَّ ان « الواحد المبارك » دعا الاخوة اليه وقال : أيها الاخوة ، أين هو « آنندا » ؟ فذهب احد الاخوة ودعا « آننـدا » فجاء وقال « للواحد المبارك » : ان ظلمة كثيفة تكتنف طلاب الحكمـة ، ان العالم بأسره يشعر بحاجة ملحّة للنور ، و « تتغاتا » يشعل مصباح الحكمة فينيره ، اما الآن وقد خبا المصباح وتبدّدَ النور ، فمن ينيره ؟

فاجابه « الواحد المبارك » وكان جالساً بقربه : كفى يا « آنندا » فلا تستسلم الى الاضطراب ، ولا تبكِ . وقـد علمتك في مناسبات سابقة ، انه لا بُدّ ان يتفرّق الاحباء « يومٌ يكرّ عليهم ونهـار » ، واعلم ان الجهلة يحرصون على الذات ويتمنون دوامها واماّ الحكمـاء فلا يطمئنون الى «الذات» التي لا تلبث ان تضمحلّ لأنَّ كلّ مركّب منحلّ لا محالة ، واما الحقيقة فهي وحدها تبقى . فلِمَ احرص على هذا الجسد اللحمي ، ومن الواجب ان ينحلَّ مهما سما في المعرفة ؟ وانـه لمن الواجب ان افارق الارض وقـد اتممت العمل المفروض ، وبات عليَّ ان اسكنَ الى الراحة .

لقد كنت معي مدّة طويلة يا «آنندا» بالافكار والاعمال والمحبة، وقد اعطيتك عطاءً قيّماً ، فكن يقظـاً واعلم انك ستتحرَّر من كلّ عمل شرٍّ واحساس بالذات الغاوية والجاهلة .

ومسح « آنندا » دموعه وقال « للواحد المبارك » : من يعلّـمنا ويرشدنا عندما تتوارى عنا ؟

اجـــابه الواحد المبارك : انا لست « بوذا » الاول الذي يجيء هذا العالم ولا انا الآخر . واعلم انه في الوقت المعين سيظهر **بوذا** آخر في العالم وهو الواحد القدوس ، المستنير انارة كليّة والممتـلىء حكمة، يعرفه العالم بأسره، ولا يماثله احد البتـّة، فهو معلـّم الملائكة والاموات. انه سيظهر لك ويوقظ فيك الحقيقة التي علمتك اياها وسينشرُ مذهبـه الخلاصي بمجد عظيمٍ، يبشـّر بالروح والحقّ المكتوب ويعلن حياة عبادة باطنة مقدَّسة طاهرة، كما علمتكم انا الآن، وتلاميذه سيعدّون بالألوف بينما تلاميذي يعدون بالمئات. فقال له « آنندا »: و كيف نعرفه يا سيّد؟

قال « الواحد المبارك » : انه « ميتيريا » يُعرف بلطفـه ووداعته ومحبّته الـكليّة الشاملة .

نهاية بوذا

واندغامه في النيرفانا

في ذلك الزمان ، جاء « المالاويون » الى غابـة « يوبافارتاناشالا » ليشهدوا « الواحد المبارك » ، وكان يصحبهم الشبّان والشابات والنساء وكلّهم بحزن شديدٍ ، اقبلوا لينالوا البركة من الواحد المقدّس .

فلمّا شاهدهم « الواحد المبارك » قال لهم : تبيّنوا الطريق جيّداً ، وطهروا ذواتكم بتؤدة وانتباه ، واعلموا انه لا يكفي ان تشاهدوني ، بل اسلكوا سلوكاً حسنـاً ، وحرّروا انفسكم من شباك الاحزان ، وسيروا قُدماً في طريق الحقّ .

ان المريض المستشفي يبرأ بواسطة الدواء ولا يحتاج الى طبيب ، فالذي لا يترسَّم تعاليمي ويعمل بها لا تنفعـه رؤيتي ، وكلّ من يسير في طريق الاستقامة والبرّ هو مني على قيدِ شبرٍ وليس بعيداً عني .

والذي هو بقربي ولا يترسَّم تعاليمي ويعمل بها فهو بعيـد عني . إنَّ من يطيع « دهارما » يفرح دائماً ببركة « الواحد المبارك تتغاتا » .

وحدث ان جاءَ الفقير « سوبهادرا » الى غابـــة « شالا » وقال للمحترم « آنندا » : لقد عرف فقراء كثر قد بلغوا الى ارذل العمر ، ان « تتغاتا » يظهر للعالم بشخص « بوذا » وعلاماته قد انطبقت على « شارمانا

غوتاما» وهو « تتغاتا »، هو « بوذا » الذي حلّ بيننا ، وقد آمنت به وبالحقيقة التي اعلنها وقد بدّدت من عقلي كلّ شكٍّ وريب ، وارغب اليك ان تسمح لي بمشاهدته .

فقال له المحترم « آنندا » : كفى يا صديقي « سوبهادرا » لا تقلق « تتغاتا ». « فالواحد المبارك » تعب .

وسمع « الواحد المبارك » ذلك فدعا اليه « آنندا » وقال له : لا تسيء الى «سوبهادرا» ودعه يشهد «تتغاتا» فهو طالب معرفة واستنارة، وهو يفهم كلّ ما اقول له .

فقال المحترم « آنندا »: تقدَّم يا « سوبهادرا » الى «الواحد المبارك» الذي افرح قلبه وأجذله بكلمات الحكمة التي من اجلها صاح «سوبهادرا» ليتمجّد الربّ ، ليتمجّد ، ما اعظم ما رأيت وما سمعت من فمه ، فقد اعلن ما كان مستتراً، وعبّد الطريق فلا يعثر كلّ من سلك فيها ، انه انار الظلمة ، فمن له عينان فليبصر ، ان الحقيقة اعلنها « الواحد المبارك » واني الجأ اليه مؤمناً به ، فارجو ان يقبلني في عداد تلاميذه، فاني آمنت به منذ الآن والى الابد .

وغبَّط الفقير « سوبهادرا » « آنندا » لانه كان من الملازمين « للواحد المبارك » الآخذين عنه التعاليم .

والتفت « الواحد المبارك » الى « آنندا » وقال : لا يظنّ احد منكم ان كلماتي قد انتهت بانتقالي من هذه الارض ، ولا يظن احدٌ ان ليس معلّم بعد . فاعلم يا « آنندا » ان الجسد ينحلّ وأما «تتغاتا»

فيبقى ابداً وتبقى الحقيقة التي اعلنها لكم ، واني وان غبت جسداً فانا معكم وفيكم ، فثبّت الاخوة واهتم بكلٍّ منهم .

ثم التفت الى التلاميذ وقال : لا يشكّ احد منكم بامرِ « بوذا » او الحقيقة والطريق ، ولا تضطرب عقولكم ولا تقلق ، اما كنتم وجهاً لوجهٍ مع « الواحد المبارك » يعلمكم ويغدق من بركته عليكم ؟

وصمت التلاميذ ولم ينبسوا ببنت شفة .

فقال له « آنندا » : ما من احدٍ يشكّ في « بوذا » وفي الحقيقة وفي الطريق .

اجابه « الواحد المبارك » : ان ما تقوله خارج عن القصد، وانا اعلم ان الجميع يؤمنون بي. وتابع « الواحد المبارك » القاء مواعظه على الاخوة مذكّراً ومنبهاً ، ومشدّداً ايمانهم ، ويعرّفهم ان الخلود ليس للجسد وانما هو للشخصيّة ، وما زال يخاطبهم كذلك حتى استرخى ، وتفلّت من وجوده الارضي واندغم في « النيرفانا » .

وللحال اظلمت الشمس والقمر لم يعطِ نوره وتزلزلت الارض واضطرب الاخوة واخذهم حزن شديد ، لا يبدون حراكاً ، ثم ان التلميذ « آنورودها » قال: قد قضي كلّ شيءٍ وتمّ، فعزّى الاخوة وبيّن لهم ان لا نفع للبكاء والحزن، وعلّمنا « الواحد المبارك » ان ليس لجسدٍ ان يخلد بل ينحلّ واما « تتغاتا » فهو باقٍ ابداً .

وصرف « آنورودها وآنندا » الليل بقرب جسد « الواحد المبارك » يقيمان الشعائر الدينيّة ، وانتشر الخبر وجاءَ « المالاويّون » بالطيوب

والموسيقى وقد تساقطت ازهار « مندارا » من السماء ووقفت المياه عن مجاريها .

وجاء « المالاويّون » واخذوا الجسد واحرقوه بأبهةٍ ملوكية بين صدح الموسيقى وارسال الاناشيد احتفـاءً بملك الملوك ، وقسمت بقايا « الواحد المبارك » ثمانية اقسام ، اخذ « المالاويون » قسماً ووزّعت الاقسام السبعة الباقية بين الملوك السبعـة الذين آمنوا ببوذا وتفرّق الاخوة يبشرون بالحقيقة التي تسلـّموها من المعلم العظيم .

النتيجة

الثالوث البوذي

لما صار « الواحد المبارك » الى « النيرفانا » اجتمع الاخوة يبحثون في حفظ عقيدة « دهارما » سالمة من كل هرطقة وشقاق .

فوقف « يوبالي » وقال : ان معلمنا العظيم قال للاخوة : ايها الزهاد ، بعد ان اصير في « النيرفانا » احترموا بعضكم بعضاً واخضعوا للشريعة التي اعطيتكم اياها ، لانها النور الذي يبدّد الظلمة فهي جوهرة تشرق لامعة مضيئة في حياتكم .

اطيعوا « دهارما » الذي ظهر بينكم، اتبعوه بيقظة وانتباه واسلكوا الطريق التي عبّدها لكم .

هذه هي كلمات « الواحد المبارك » .

ان « بوذا » قد ترك لنا تعاليمه الثمينة التي سلّمنا اياها « تتغاتا » وهو في الجسد ، فلنحترمها ونقدّسها ، والا فما نفع حفظ بقايا السيد ان كنّا لا نتبع تعاليمه ؟

ثم وقف بعده « آنورودا » وقال : لنحفظ في عقولنا ايها الاخوة

ان « غوتاما شودهادانا » كان الحقيقة المنظورة بيننا ، انه « الواحد المقدّس الكامل » وهو « الواحد المبارك » وقد حلت فيه الحقيقة العليا وصارت انساناً واعلنها لنا .

ان « تتغاتا » علمنا ان الحقيقة كانت في البدء قبل ان يولد في هذا العالم ، وهي ، هي بعد ان صار الى « النيرفانا » المباركة .

ان « تتغاتا » قال :

انا « الواحد المبارك » ، انا الحقيقة الممثّلة والموجود الخالد الذي ظهر في العالم .

ولنحفظ جيداً ان ليست الشريعة هذه ولا تلك التي علـّمنا اياها في « دهارما » ، بل هي « بوذا » الحقيقة الخالدة التي ظهرت بيننا بمجدٍ عظيم .

ان « لدهارما » شريعة واحدة ، لا تتبدل ولا تتغيّر ، إنها الحقيقة التي لا يجوز عليها تغيير وتبديل .

ان الحقيقة تخفى على العميان الذين لا يرغبون في ان يبصروا ، ولكنها تظهر للباحث عنها في بصيرته ، الحقيقة هي « بوذا » التي تبقى معنا وتنفي عنّا كل عقيدة باطلة . لنحترم الحقيقة ، لنغمس في الحقيقة ونلبسها في قلوبنا ، ولنخضع لها صاغرين ، فالحقيقة هي « بوذا » سيدنا ومعلـّمنا وربّنا .

ثم وقف « كاشيابا » وقال : بالحق انكم نطقتم حسناً ايها الاخوة فلا يخدعنا شيء ولا يضلنا عن عقيدتنا ، لانّ في « الواحد المبارك »

ثلاث شخصيات وكل شخصية مساوية لأختيها بكل شيء بالعظمة والكرامة .

يوجد « دهارما كايا » و« نيرمانا كايا » و« سامبوغا كايا » و« بوذا » هو هذه الثلاثة ، « فسامبوغا كايا » هو البركة التي حلت فيه فكان « بوذا » المحب العالم ومعلّمه .

و « نيرمانا كايا » المعلّمة قد اكتنفت ملء عقله .

« فبوذا » هو المبارك بين الجميع والمسؤول عن العقيدة، انه روح «سانغا » وهو معنى الوصايا التي تركها لنا بكامة قداسته، انه « دهارما »، انه « دهارما كايا » الجسد المميّز بالشريعة ، فلو لم يظهر بيننا بشخص «غوتاما شكياموني » لما كانت لنا هذه التعاليم المقدسة والعقيدة الطاهرة.

ان هذه التعاليم المحفوظة في « سانغا » قد وصلتنا فعرفت الخليقة « شكياموني » العظيم ولولاه لما كان عرف لا نحن ولا غيرنا الحقيقة الخالدة التي تجسّدت بيننا .

لنحفظ اذن ايها الاخوة ونحترم التقاليد، ولنذكر «غوتاما شكياموني» لاننا بهذين نخدم الحقيقة ونربح انفسنا .

وكل عين يقظة روحيّة تتبين الحقيقة وهي في متناول كلّ من حصل على معرفة « بوذا » وفهم تعاليمه .

وقد أقرّ الاخوة ان يجتمعوا في « راجاغريها » ويعقدوا مجمعاً يبحثون فيه بعقيدة « الواحد المبارك » الطاهرة نقية ويحفظونها في كتاب بالكتابة المقدسة ، تكون مصدراً تعتمد عليه الاجيال المقبلة .

غاية الوجود

ان الحقائق الخالدة تكتنف العالم باسره ، متصرّفة بالطبيعة بحسب النواميس الموضوعة لها منذ البدء، والعالم المحموم بما تراكم فيه من مظاهر قد اغمض عينيه عن النظر والتأمّل ، واصمّ أذنيه عن سماع التعاليم ، فلم يفكّر بالسبب الذي وُجدَ من اجله .

فامام هذا لم يكن للحقيقة المبدعة ان تتخلى عما اوجدت وابدعت، فشاءت ان تحلّ في الارض، ولكن لم يكن لها مكان لتظهر به بمجدها العظيم فاحبت ان تظهر وقد اشتاقت النفوس اليها ، فاخذت تبحث عنها جادّة لتتخلّص من آلام الوجود .

فكان الحبّ وبازائه البغض ، الفضيلة وبإزائها الرذيلة ، الشهوات وبازائها الامساك والعفّة، الصديق وبازائه العدوّ، الصلاح وبازائه الشرّ.

الاخ يقتل اخاه لاشباع شهوة فيه، وعمّ الفساد واستشرى، وشاءت الحقيقة ان تنقذ الانسانية من حزنها وآلامها، ولم ترَ المكان اللائق بعظمتها لتجوز هذا العالم وتخلّصه من آلامه واحزانه وشروره .

وكان العالم المتألم ينتظر بفارغ الصبر ذلك المخلّص ليريحه من متاعبه .

فتحنّنت الحقيقة وجازت هذا العالم بشخص « بوذا » العظيم ، المعلم المقدّس ، معلم الانسانية والآلهة معاً . ولما نما « بوذا » واكتمل شرع

يعلّم الناس طريق الحقّ والعبادة العقلية ، علمهم ان ينظروا الاشيـاء كما هي بأعيانهـــا ، وبدون ان تبهرهم ، وعلـّمهم ان يسلكوا سبيل الحقيقة والبرارة ، وأنـّهم يتغيّرون وينتقلون من حالة الى حالة اخرى في الاحياء المخلوقة ليتطهروا ويربحوا قلباً نقيّاً وايماناً .

فكانت بيننا الحقيقة الخالدة العظيمة ، المتجلـّية بشخص « بوذا » .

فيا « بوذا » ايها « الواحد المبارك » ايها « الواحد القدوس » ايها « الواحد الممتلىء كمالاً » يا من ظهرت فيك الحقيقة، والحقيقة كانت بك على الارض وبها كانت ملكوت الحقيقة .

هذه الحقيقة التي لم يسعها احد من الاحياء الا « بوذا » فقد ظهرت لنا جسداً بشخصه المقدّس، وجاء معلـّماً ومبشراً، فمن اقتبله فقد اقتبل الحقيقة ، وتخلـّص من الحزن والألم والموت والولادة وصعقتهـا ونال خلاصاً ابدياً .

ان الحقيقة التي حلـّت بيننا علمتنا سُبُل الممرّات الثمانية النبيلة وهدتنا الى البرارة ، وأرتنا الطريق بالمحبّة ، فطوبى للسالكين فيها .

ان البوذيين كلهم يدهشون ويمجّدون
الحقيقة التي ليس لها مثيل على الارض،
لقد اظهرت لنا طريق الحياة ،
فنحن نحييها باحترامٍ وتقى ،
ان البوذيين جميعهم يعلـّمون حقيقة واحدة ،
الحقيقة التي بيّنت الحقّ من الباطل للضالين ،

الحقيقة رجاؤنا وراحتنا .

فنحن نستنير بها باحترامٍ وافتخار ،

ان البوذيين كلّهم باحساسٍ واحدٍ وفكرٍ واحد ، قد وجدوا « بوذا » بينهم .

لنقدّس رباط النفس المقدّس الذي يربطنا معاً ، فنطمئن الى بركته حتى يوم هجرتنا الاخيرة .

انجيل بوذا

المدخل

الامير سيدهارتا يصير بوذا

تأسيس ملكوت البر

جوهر واحد

الامثال والحكايات

الايام الاخيرة

النتيجة